السلسلة الأكثر مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز

المئة

NETFLIX
يعرض الآن
على نتفليكس

اليوم 21

كاس مورجان

ترجمة: أحمد ليثي







"سريعة الوتيرة أخَّاذة.. يبدو أن العديد من القضايا المثيرة قد ظهرت في مجتمع ما بعد نهاية العالم هذا".

- The Bookbag

"مظلمة وخاطفة.. مزيج من أمير الذباب وعبر الكون ومباريات الجوع".

- Booklist

"إن نَسْج كاس مورجان لعناصر الثقافة الشعبية (البوب) مع السياسة جعل لقراءة أعمالها جاذبية خاصة".

- School Library Journal

"سيقع عشاق مباريات الجوع في حب هذه السلسلة".

- Sun Journal

100

اليوم

21





إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: The 100 (Day 21)
- العنوان العربي: الـ 100 (اليوم 21)
- طبع بواسطة: Little, Brown and Company

- ترجمة: أحمد ليثي
- تحرير: محمد الجيزاوي
- تدقيق لغوي: أسماء أبو المجد
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: فبراير / 2023م
- رقم الإيداع: 4387/2023م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-230-0

الآراء الواردة في هذا الكتاب تُعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار



السلسلة الأكثر مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز

المئة

NETFLIX
يعرض الآن
على نتفليكس

اليوم 21



كاس مورجان

ترجمة: أحمد ليثي

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

تحرير وتدقيق:

▪ ميساء طه ▪

▪ mohamed ▪

ترتيب وتصميم:

▪ أشرف غالب ▪



إلى والديَّ وجديَّ، الذين اعلموني النظر إلى الكلمات وإلى العالم بدهشة.

الفصل الأول

ويلز

لم يشأ أحد أن يقترب من القبر. وعلى الرغم من أنَّ أربعة منهم قد دُفنوا في مقابر مُتواضعة بالفعل، لكن لا يزال بقيتهم منزعجين من فكرة دفن جثّة في باطن الأرض.

لم يكن أحد يُريد أن يسند ظهره إلى الأشجار أيضًا. فمُنذ أن شهدوا حادثة الاعتداء، كان بإمكان طقطقة غصن خشبي أن تكون كافية لتحدث توتّرًا كبيرًا بينهم. ولذلك، كان المئة الذين تجمعوا لتوديع آشر متراصّين باكتظاظ في نصف دائرة، تنتقل أعينهم بين جثث على الأرض، وظلال تطل عليهم من الغابة.

لم يكن لطقطقة النار التي تبعث على الهدوء أثر في هذه الليلة، فقد نفد الحطب منهم في الليلة الماضية، ولم يكن أي منهم على استعداد لأن يُغامر بالخروج. ورغم أن ويلز كان بوسعه جمع الحطب، فإن عمله في حفر المقبرة منعه من ذلك، إذ لم يتطوَّع أحد لمساعدته في حفرها سوى فتى أركادي هادئ الطباع يُدعى إريك.

همست مولي، وهي تقف على حافة الحفرة العميقة كما لو أنَّها تَخاف ابتلاعها هي الأخرى: «أمتأكد أنَّه ميت؟».



ورغم أن مولي في الثالثة عشرة من عمرها، لكنها تبدو أصغر. تذكَّر ويلز مساعدته لها بعد الاصطدام، حينما كانت الدموع والرماد تملأ وجنتيها المستديرتين. أما الآن فقد بدا وجه الطفلة أضعف وأنحف، وعلى جبينها جرح يبدو أنه لم يُعتنَ به جيدًا.

وقعت عينا ويلز على عنق آشر رغمًا عنه، فرأى موضع الجرح الغائر حيث اخترق السهم حلقه. مر يومان منذ موت آشر، يومان منذ رؤيتهم لظلال مجهولة حطمت كل ما كان يعرفه المستوطنون، وكل ما ظنُّوا أنهم يعرفونه.

أُرسل المستوطنون إلى الأرض كونهم مواد قابلة للاختبار على اعتبار أنهم سيكونون أول من تطأ أقدامهم الأرض منذ ثلاثمئة عام، لكنَّهم كانوا على خطأ، فالبعض لم يُغادر الأرض قط.

حدث الأمر سريعًا. ولم يشُكْ ويلز في شيء حتَّى سقط آشر على الأرض مختنقًا وهو يُمسك بالسهم الذي أصاب حلقه. وعندما استدار ويلز، رأى انعكاس ظلالهم في الشمس، لكنَّهم كانوا أقرب إلى الشياطين منهم إلى البشر. رمش ويلز متوقعًا أن تختفي ظلالهم. فلم يظن أنهم حقيقيّون على أي حال. إلا أن الهلوسات لا تطلق سهامًا.

حمل ويلز جسد أشر إلى خيمة الإسعافات بعدما فشلت نداءات الاستغاثة في تحقيق أي نتيجة، حيث كانوا يخزّنون كل الإمدادات الطبية التي انتشلوها من الحريق، لكن الإمدادات لم تكن مُجدية. ففي الوقت الذي كان ويلز يبحث فيه عن ضمَّادات، كان آشر قد فارق الحياة.

كيف يمكن أن يكون هُناك بشر على الأرض؟ هذا مُستحيل. فلم ينجُ أحد من الكارثة. هذا أمر لا شك فيه، وهو راسخ في عقل ويلز رسوخ الحقيقة التي تقول إن الماء يتجمَّد عندما يصل إلى درجة صفر مئويّة، أو حقيقة أن الكواكب تدور حول الشمس. ومع ذلك، رآهم ويلز بأم عينيه. رأى بشرًا لم يهبِطوا معهم من سفينة الإنزال. الأرضيّون.



قال ويلز لمولي وهو يقف على قدميه متبرّمًا قبل أن يدرك أن معظم المجموعة تحدق إليه: «لقد فارق الحياة».

منذ عدة أسابيع، كانت تعابير وجوههم تتباين بين الانزعاج الكامل منه والازدراء الصريح له، فلم يكن بينهم من يصدق أن ابن المستشار مسجون بالفعل، إذ كان من السهل على جراهام إقناعهم أن ويلز أرسل للتجسّس لصالح والده. لكن الآن، كانوا جميعًا ينظرون إليه بترقُّب.

في خضم الفوضى بعد الحريق، نظّم ويلز فِرقًا لفرز بقية الإمدادات القابلة للاستخدام، وبدأ بناء مقار دائمة للمبيت. ويلز الذي كان اهتمامه بالعمارة الأرضيّة يُثير حفيظة أبيه العملي، تمكن من بناء ثلاث كبائن في منتصف ساحة المُخيّم.

نظر ويلز إلى السماء المعتمة، يود لو أنه يفعل أي شيء ليحمل أباه على النظر إلى الكبائن التي شيدها. لا ليثبت أنه على حق، خاصّة بعدما رأى إصابة والده بطلقة نارية بأُمّ عينيه، لكن لأن سخط ويلز سيتلاشى إذا رأى والده ما شيّده. كل ما كان يرجوه الآن، أن يسلم أباه بأن الأرض ديار البشر مرة أخرى. فقد كان على بقية المستوطنة أن تنضم إليهم بمجرد أن تصبح الأرض آمنة لاستقبالهم، إلا أن مرور ٢١ يومًا دون تلقِّي أي إشارة من السماء لهو نُذر شرٍّ.

ركَّز ويلز على المهمّة التي بين يديه عندما نظر إلى الأرض مرة أخرى، إذ كانوا يتمتمون بكلمات وداعيّة بحق الصبي الذي كان على وشك أن يرسلوه لمكان معتم لكنه مُريح.

قالت فتاة تقف بجانبه مُرتعشة: «هل يمكن أن نتحرَّك من هنا، لا أريد أن أقضي الليل في هذا المكان؟».

عاجلتها فتاة أخرى بشفتين دقيقتين تميلان إلى العبوس تُدعى كيندال: «انتبهي إلى كلامكِ».

في البداية، افترض ويلز أنَّها فتاة فينيكسيّة، لكنه أدرك من نظرتها المتعجرِفة ونغمة صوتها المتقطِّعة أنه مجرد انطباع عن الفتيات اللواتي نشأ معهنّ. كان ذلك ممارسة



شائعة بين الولدانيين والأركاديين الشباب، ذلك على الرغم من أنه لم يلتقِ من يفعل ذلك بطريقة واضحة مثل كيندال.

التفت ويلز يمينًا ويسارًا بحثًا عن جراهام، الفينيكسيّ الأخير بجانب ويلز وكلارك. فلم يكن يُحبذ تركه يتولّى السيطرة على المجموعة، لكنَّه كان الصبي الوحيد الذي ارتبط بعلاقة صداقة وطيدة مع آشر، فكان من الطبيعي أن يكون أكثر استعدادًا للحديث عنه في جنازته. ومع ذلك، كان جراهام من الوجوه التي لم يرَها بين الجمع، بجانب بيلامي الذي انطلق بعد الحريق مباشرة مع كلارك للبحث عن أخته، كلارك التي لم تترك شيئًا سوى كلمات سامة ألقتها في وجه ويلز قبل أن تغادر المكان: «أنت تدمّر كل ما تلمسه بيديك».

تسبَّبَت طقطقة خشب صدرت من الغابة، في إطلاق صيحات الجمع. ومن دون تفكير، جذب ويلز رفيقته مولي خلفه بيد، والتقط مُعولًا باليد الأخرى.

بعد زحظة، خرج جراهام إلى ساحة المُخيم، محاطًا بصبيَّين آركاديين بعد -آتزوما وديميتري- وفتاة ولدانية تدعى ليلا. كان الفتيان الثلاثة يحملون كمية كبيرة من الخشب، بينما حملت الفتاة بعض الأغصان تحت ذراعها.

قال صبي ولداني يُدعى أنطونيو، ناظرًا إلى الأدوات التي يحملها الفتيان الثلاثة على أكتافهم: «هذا إذن ما كنتم تستخدمون فيه الفؤوس، كنا في حاجة لاستخدامها منذ قليل».

رفع جراهام حاجبيه وهو يتطلع إلى الكبائن الجديدة. أدرك أنهم اكتسبوا المهارة اللّازمة لبنائها أخيرًا، فلم يكن ثمّة فجوات في الأسطح هذه المرة، ما يعني أن الطقس سيكون أدفأ وأكثر جفافًا في الليل. ورغم ذلك، لم تكن الكبائن مزوَّدة بنوافذ بسبب الوقت الطويل الذي يستغرقه صنعها، فمن دون توفر المواد الخام من البلاستيك أو الزجاج، سيكون عليهم تحمُّل عبء أكبر من مجرد سد الفجوات في الجدران.

قال جراهام وهو يرفع كومة الخشب في يده: «ثق بي سيكون الحطب أكثر أهمية».



سألته مولي: «حطب للنّار؟»، لكنها جفلت عندما صدرت منه شخرة وهو يضحك.

استقرت عيناه على آشر وقال: «لا، رماح. ستأوينا بضع عشش خشبيّة لكنها لن تحفظ أمننا، علينا أن نُدافع عن أنفسنا، وفي المرة القادمة التي يظهر فيها هؤلاء الشياطين، سنكون على أهبة الاستعداد».

واعترى وجه جراهام تعبير غير مألوف، كأنه اكتسى بغشاء من الغضب والخُيلاء التي تكشف عن فجيعة حقيقيّة. سأله ويلز محاولًا أن يهدّئ الأجواء: «هلّا تنضم إلينا لدقيقة؟ أظن أنّنا كنا نرثي آشر ببضع كلمات، أنت تعرفه جيدًا، وربما تحب أن...».

قاطعه جراهام متجنِّبًا جثة آشر وهو ينظر إلى ويلز: «يبدو أنك تمسك بزمام الأمور، واصل ما بدأته أيها المستشار».

عند مغيب الشمس، كان ويلز وإيريك يضعان آخر ذرة تراب على المقبرة الجديدة، فيما راحت بريا تُزيّن اللّافتة الخشبيّة بالورود. أمَّا بقية المجموعة، فقد تفرَّقت إما لتجنّب مُشاهدة جنازة حقيقيّة وإما لحجز بقعة في إحدى الكبائن الجديدة. إذ كانت كل كابينة قادرة على حمل عشرين إنسانًا بسهولة، وثلاثين إذا كانوا مُرهقين للغاية - أو يشعرون بالبرودة- لدرجة أنها لن تشكو من الأقدام الشاردة المُمتدة عبر كومات الأغطية المُحترقة، أو من المرافق الملتصقة في الوجوه.

أُحبط ويلز لكنه لم يكن متفاجئًا، عندما اكتشف أن ليلا طالبت بإحدى الكبائن لجراهام وأصدقائه مرة أخرى، تاركة الفتيان الأصغر سنًّا يرتجفون من البرد وهم مُستيقظون طوال الليل في ساحة المخيّم التي يملؤها الضباب. فحتَّى مع وجود حراس متطوّعين يُراقبون المكان طوال الليل، لن يقضي شخص في الخارج ليلة هادئة أبدًا.

قال ويلز لجراهام عندما رآه يمر أمامه حاملًا بعضًا من رماحه: «بما أنك وديميتري ستتوليان النوبة الثانية من الحراسة، فلمَ لا تنامان في الخارج؟ سيكون من الأسهل عليّ أن أجدكما حينما تنتهي نوبتي».

وقبل أن يتمكن جراهام من الرد، سارت ليلا إليه بتمهّل وتعلقت في ذراعه وزيفت نبرة صوت حادّة وعالية بعيدة عن نغمة الانكسار: «وعدتني أن تبقى إلى جانبي الليلة، أتتذكر؟ أخشى النوم وحدي».

قال جراهام لويلز وهو يهز كتفيه فيما كان بوسع ويلز أن يسمع الابتسامة المُتعجرفة في صوته: «آسف، لا أحب أن أخلف وعدي».

ثم ألقى جراهام رمحه لويلز الذي تلقفه بيد واحدة: «سأتولى نوبة ليلة الغد إذا لم نكن جميعًا موتى حينئذٍ».

ارتجفت ليلا بشكل مبالغ فيه، ووبّخته قائلة: «ليس من المفترض أن تتحدَّث هكذا».

قال لها جراهام وهو يطوق ذراعه حولها: «لا تلقي بالاً، سأحميكِ، وإذا لم أستطع، سأجعل آخر ليلة لكِ على الأرض أعذب لياليكِ». ضحكت ليلا، فيما قاوم ويلز رغبته في سبِّهما.

قال إيريك بينما يبزغ فجأة من الظلال: «ربما يجب عليكما أن تناما في الخارج، بهذه الطريقة، قد ينعم بقيتنا ببعض الراحة».

قالت ليلا: «بربك، لنذهب قبل أن تتخلى تامسين عن السرير الذي حجزته لنا».

ثم نظر إيريك إلى ويلز: «أتريدني أن أتولى نوبتك؟».

هزّ ويلز رأسه: «لا بأس، بريا تتفقّد المنطقة المحيطة».

- أتعتقد أنهم سيعودون مرة ثانية؟

نظر ويلز خلف ظهره، باحثًا عن أي متلصّصين في الظلام، ثمَّ أومأ: «لم يكن ظهورهم مجرد تحذير، بل استعراض للقوة، وبغض النظر عن هويتهم، فهم يريدوننا أن نعرف بأنهم ليسوا سعداء بوجودنا هنا».



- من الواضح ذلك.

قال إيريك ذلك، والتفت لينظر إلى حيث دفن آشر وسط ساحة المُخيم. وزفر متمنّيًا لويلز ليلة سعيدة، واتّجه صوب كومة الأغطية حيث كان فيليكس وبعض الرفاق الآخرين يتحلقون حول نار المخيم على غير العادة.

رفع ويلز رمحه على كتفه واستدار ليبحث عن بريا. ولم يكد يسير بضع خطوات حتَّى اصطدم كتفه بشيء، ورنَّت صرخة في الظلام.

مدّ ويلز إحدى يديه وقال: «هل أنتِ بخير؟».

قالت الفتاة مرتجفة: «أنا بخير».

لقد كانت مولي.

- أين تنامين الليلة؟ سأساعدكِ حتى تعثري على مكان نومكِ.

بصوت خفيض: «في الخارج، فلم تكن هناك مساحة كافية في الكبائن».

شعر ويلز برغبة في أن يُمسك بجراهام وليلا ويقذفهما في جدول المياه.

- هل تشعرين بالدفء؟ يمكنني أن أجلب لكِ غطاء.

كان سيسرقه من جراهام إذا اضطر إلى ذلك.

- لا بأس، فالليلة دافئة، أليس كذلك؟

نظر ويلز إليها بشك، فدرجة الحرارة انخفضت إلى حد كبير بعد غروب الشمس. وضع باطن يده على جبهتها، فشعر بدفء بشرتها.

- هل أنتِ متأكدة أنكِ على ما يرام؟



- ربما أشعر بقليل من الدوار.

ضغط ويلز على شفتيه، ذلك أنهم فقدوا الإمدادات في الحريق، ما يعني أن المؤن قد تقلصت بشدّة.

قال ويلز وهو يخرج من جيبه عبوة بروتين لم يسعفه الوقت لتناولها: «تناولي ذلك».

هزت رأسها وقالت بصعوبة: «لا بأس، لا أشعر بالجوع».

انطلق ويلز للعثور على بريا، بعدما قطعت له مولي وعدًا بأن تُخبره إذا لم تشعر بتحسّن في اليوم التالي. صحيح أنهم تمكّنوا من حفظ بعض الدواء من الحريق، لكن ما الفائدة التي تعود على المرء إذا لم يعرف كيفيّة استخدامه؟ وتساءل إلى أي مدى ابتعدت كلارك وبيلامي حتى الآن، وما إذا كانا قد وجدا أي إشارة على وجود أوكتافيا. ثم سرت قشعريرة في وجهه عندما فكر في المخاطر التي تواجه كلارك في الغابة، إذ غادرت مع بيلامي قبل الهجوم، ولم ينمُ إلى علمهما أن هناك أناسًا غيرهم في المكان، الأرضيون الذين لا يعرفون طريقة للتواصل غير تصويب السهام المميتة.

زفر وهو يَميل برأسه إلى الخلف لينظر إلى السماء، متمتمًا ببعض الصلوات لأجل الفتاة التي خاطر بحياته عدة مرات لحمايتها، الفتاة التي توهّجت عيناها بالكراهيّة عندما أخبرته أنها لا تُريد أن تراه مرة أخرى أبدًا.

الفصل الثاني

كلارك

سارا مسافة يومين دون أن يتوقّفا لساعة أو اثنتين طلبا للراحة. ورغم أن كعبي كلارك يحترقان، لم يظهر بيلامي أي علامة على التوقف. لكن كلارك لم تهتم بذلك، بل تقبلت الألم، فكلما انشغلت بأوتار قدميها، تشتت تفكيرها عن آلام قلبها، وعن الصديقة المفقودة التي لم تتمكن حتى الآن من العثور عليها.

التقطت نفسًا عميقًا. حتَّى لو كانت معصوبة العينين، ستتمكَّن من الشعور بغروب الشمس، لانتشار رائحة الزهور البيضاء التي تتفتح ليلاً، وتكسو جذور الأشجار فتبدو كامرأة ارتدت أفضل ملابسها استعدادا لحفل عشاء. تمنَّت كلارك لو أنها عرفت دور هذه الزهور في السلسلة التطورية. هل دورها جذب الحشرات الليلية فقط؟ تطغى رائحة الزهور المميزة في المسافات التي تفصل الأشجار عن بعضها بعضًا حيث تنمو جذورها متقاربة، لكن كلارك أحبت هذه الأشجار أكثر من أشجار التفاح التي رأتها في وقت سابق مع بيلامي تقف في صف منتظم، وشعرت بوخز في عنقها وهي تتذكر جذوع الأشجار المتباعدة، التي تقف كحراس منتصبة الظهر في ترتيب دقيق.

كان بيلامي على بعد عدّة أمتار أمامها، لكنه كان هادئًا للغاية، تمامًا كما لو كان في واحدة من رحلات الصيد. والفارق أنه لم يكن يتعقب أرنبا أو يطارد غزالة هذه المرة، بل كان يبحث عن أخته.

مر يومٌ كاملٌ منذ أن رأيا آخر أثر من آثار قدميها، لكن ثقل الحقيقة كان مر يوم يشق جدار الصمت لدرجة أن كلارك كانت تشعر أنه يطبق على أنفاسها. لقد فقدا أثر أوكتافيا.

توقف بيلامي أعلى التلة، فوقفت كلارك بجواره. كانا يقفان على الحافة، وعلى بعد عدة أمتار أمامهما، تنحدر الأرض بشدة لتنتهي ببحيرة تترقرق مياهها. في الأعلى كان القمر ضخمًا وساطعًا، فيما كان ثمة قمر آخر يرتعش في الأسفل منعكسًا على سطح البحيرة.

قال بيلامي من دون أن ينظر إليها: «منظر جميل».

لكن نبرة صوته شابتها بعض الصرامة. وضعت كلارك يدا على ذراع بيلامي. جفل لكنه لم يبتعد.

. أراهن أن أوكتافيا كانت لتقول ذلك أيضًا. يجب علينا أن نهبط مرة أخرى لنرى إن كان هناك أي علامة على...

لكنها أمسكت لسانها. فمن غير المعروف عن أوكتافيا أنها كانت تتنزه وحدها في الغابة. ولم يكن أي منهما قادر على أن يصبر نفسه بذلك. لكن اختفاء أوكتافيا المفاجئ، وطريقة انطباع آثار قدميها على الأرض تدل على أنها كانت مجرورة. لقد أختُطفت أوكتافيا.

لكن من الذي خطفها؟ خطر على بال كلارك صف أشجار التفاح مرة أخرى، فارتعشت.

خطا بيلامي عدة خطوات للأمام: «يبدو أنَّ الأرض أقل انحدارًا هنا». ثم أخذ بيدها قائلًا: «تعالي».

لم يتفوها بكلمة في طريقهما إلى أسفل المُنحدر، لكن عندما انزلقت كلارك على بقعة من الطين، أحكم بيلامي توازنه وساعدها كي تتوازن.



وفي اللحظة التي وصلا فيها إلى مستوى الأرض، تركها وهرول إلى حافة المياه بحثًا عن أي أثر من آثار قدميها.

وقفت كلارك تحدق إلى البحيرة مشدوهة، كما لو أن الاندهاش قد حلّ محل الإنهاك الذي طال أطرافها. كان سطح البحيرة أملس كالزجاج، وبدا القمر في انعكاسه كأحد الأحجار الكريمة التي تراها أحيانًا في قسم المُعاملات، مغلقًا عليه في صندوق شفاف.

عندما استدار بيلامي، كان التعبير الذي ارتسم على وجهها قد تلاشى، فقال: «علينا أن نستريح، لا فائدة من التجوال في الظلام من دون مسار واضح».

أومأت كلارك، وأنزلت حقيبتها إلى الأرض، ثمَّ رفعت ذراعيها إلى الهواء وتمطّت، كانت مُتعبة ومبلّلة بالعرق، وعلى جسدها طبقات وطبقات من الأتربة التي كانت في حاجة ماسة لإزالتها.

سارت ببطءٍ صوب البُحيرة، وربضت عند الحافة لتمرّر يديها على السطح. بمجرد هبوطها على الأرض، ثابرت على تنقية كل ما وجدته من مياه يمكن استخدامها في الشرب أو الاستحمام لئلّا تكون ملوَّثة بالبكتيريا الإشعاعيّة. لكنها فقدت قطرات اليود التي تُساعدها في التنقية، وبعد مشاهدة النار وهي تأكل صديقتها المقربة بينما يقيدها صديقها السابق، بدا التفكير في تنقية المياه هو أقل مشكلاتها الآن.

زفرت كلارك بعمق وأغمضت عينيها، تاركةً التوتر يتلاشى وهو يخرج مع زفيرها في نسيم الليل. وقفت على قدميها واستدارت لتنظر إلى بيلامي. كان لا يزال واقفًا في مكانه، يحدّق بحدة عبر البحيرة بطريقة جعلت كلارك ترتجف. حثتها غريزتها البديهيّة على الصمت ومنحه مساحته الخاصة. لكنها تراجعت وارتسمت على وجهها ابتسامة خبيثة.

ومن دون كلمة، خلعت كلارك قميصها المنقوع في العرق، وركلت حذاءها، ونزعت عنها سروالها القذر. سارت على كعبيها متمنِّيةً لو أنَّ بإمكانها رؤية النظرة التي ترتسم على وجه بيلامي وهو يُشاهدها تخطو نحو البحيرة لا ترتدي سوى ملابسها الداخلية.

كان الماء أبرد مما تتوقع، ارتجفت بشرتها، لكنها لم تعرف إن كانت ترتجف من هواء الليل أم من نظرات بيلامي المصوبة نحوها.

خاضت في بركة المياه وهي تهذي من البرودة فيما كانت المياه تغمر كتفيها، إذ كانت المياه في المستوطنة شحيحة للغاية بحيث لا تكفي لاستحمام أي شخص، لدرجة أن هبوطها في البحيرة كان المرة الأولى التي تشعر فيها بأن جسدها مغمور بالكامل في المياه. حاولت نزع قدميها من طين البركة لتطفو، شاعرة بدرجة غريبة من القوة والهشاشة معًا. وللحظة، نسيت أن أعز صديقاتها قد أكلتها النار، ونسيت أنها هي ورفيقها فقدا أثر أوكتافيا، ونسيت أن ملابسها الخفيفة ستكشف جسدها فور خروجها من المياه.

- أعتقد أن تفكيرك بالإشعاع شوَّش عقلكِ.

التفتت كلارك لتجد بيلامي ينظر إليها بمزيج من المفاجأة والبهجة. وقد عادت نظرته المتكلفة المألوفة. أغلقت عينيها، وتنفَّست نفسًا عميقًا، ثمَّ توارت تحت المياه، وخرجت مجددًا وهي تضحك بسُخرية، قائلة: «حسنًا».

تقدم بيلامي للأمام وقال: «أيخبركِ حدسكِ العلمي الغريزي أن المياه خالية إذن من الإشعاع؟».

هزت كلارك رأسها وقالت: «لا»، ثم رفعت يدا في الهواء في حركة استعراضية كأنها تُعاينها، «يمكن أن ينمو لي زعانف وخياشيم ونحن نتحدث».

هزّ بيلامي رأسه في وقار ساخر: «حسنًا، أعدكِ أني لن أكرهك إذا ما نمت لكِ زعانف».

- أوه، ثق بي، لن أكون المسخ الأخير.

رفع بيلامي حاجبيه: «ماذا تقصدين؟».



ضمَّت كلارك يديها، وملأتهما بالمياه، ونثرتها على وجه بيلامي وهي تقهقه من الضحك: «الآن ستنمو لك زعانف أيضًا».

- لم يكن من اللائق بكِ فعل هذا.

بدت نبرة صوت بيلامي خفيضة وتهديدية، وللحظة، اعتقدت كلارك أنها أغضبته بالفعل. لكنه بعد ذلك، أمسك حافة قميصه وخلعه في لمح البصر.

كان القمر بدرًا ساطعًا نوره على الأرجاء، فلم تكن بحاجة لأن تُخطئ الابتسامة التي ارتسمت على وجه بيلامي وهو يضع يده على زر سرواله، ليخلعه ويلقيه جانبًا وكأنه لم يكن السروال الوحيد الذي لديه. كانت قدماه مفتولتي العضلات شاحبتين في سرواله الداخلي الرمادي، شعرت كلارك بالإحراج لكنَّها لم تُشح بوجهها عنه.

دخل بيلامي إلى البحيرة وطوى المسافة بينهما في خطوات معدودة. كان يتفاخر بأنه علم نفسه السباحة خلال رحلاته لجداول المياه، وللمرة الأولى، لم يكن يُبالغ في كلامه. اختفى تحت المياه لفترة حتَّى شعرت كلارك بالقلق. ثم أمسك معصمها فجأة، فاستدارت حول نفسها متوقعة رشة من المياه انتقامًا منها. لكن بيلامي حدق إليها للحظة قبل أن يرفع يده ويمرر إصبعه حول عنقها، ويقول بنعومة: «لم تنمُ لكِ خياشيم بعد».

ارتجفت كلارك وهي تنظر إليه. أعاد شعره إلى الوراء، وقطرات المياه تقطر من لحيته. وتشع عيناه القاتمتان بحدّة لدرجة أن وجهه كان بعيدًا كل البعد عن ابتسامته المرحة المُعتادة. لقد كان من الصعب تصديق أنه نفس الصبي الذي كانت تضع يديها على كتفيه وهما يتجولان في الغابة.

لقد تغير شيء في نظرته، أغلقت عينيها، لأنه كان على وشك أن يقبّلها. لكنه سمع صوت طقطقة خشبية صادرًا من الأشجار، فالتفت سريعًا: «ما كان ذلك؟».

لم ينتظر إجابة منها، بل خرج إلى الشاطئ مسرعًا، وتركها وحدها في المياه. شاهدت كلارك رفيقها وهو يلتقط قوسه ويختفي في الظلال. تنهدت، وبصمت أنَّبت نفسها



لحماقتها. لو كان أحد أفراد عائلتها مفقودًا، لما أضاعت الوقت باللعب في المياه. أمالت وجهها إلى الخلف تاركةً قطرات المياه تقطر من شعرها فيما راحت تنظر إلى السماء وتفكر في الأجسام التي تتقافز بين نجمين أمام عينيها. ما الذي يمكن أن يقوله والداها لو رأياها هنا الآن، في الكوكب الذي طالما حلما أن يدعواه الديار؟

مالت كلارك لتنظر إلى التابلت الخاص بوالدها وسألته: «أيُمكننا أن نلعب لعبة أطلس؟».

كانت شاشة التابلت مملوءة بمعادلات رياضيّة معقدة لم تستطع كلارك فهمها. لكن عندما تصل إلى عمر الثامنة فقط، سيكون عليها دراسة علم الجبر. عندما سمعت كورا وجلاس عن دراستها لعلم الجبر، امتعضتا وهمستا بصوت عالٍ عن عدم جدوى علوم الرياضيات بأكملها. لكن كلارك حاولت أن أنه دون وجود علوم الرياضيات لما كان هناك أطباء ولا مهندسون، ما يعني أن الإنسان كان سيموت من أتفه الأمراض، ذلك إذا لم تنفجر المستوطنة أولاً. لكنها ما وجدت منهما سوى ضحكات السخرية، وقضيا باقي اليوم يتضاحكان في كل مرة تمر بجانبهما.

عبس والدها قليلاً وهو يمرر إصبعه على الشاشة ليعدل بعض المعادلات: «انتظري دقيقة، عليَّ إنهاء هذا أولًا».

أمالت كلارك وجهها إلى التابلت: «أيمكنني أن أساعدك، أُراهن أني يمكنني أن أحل أصعب لغز في المعادلات».

ضحك وعبث بشعرها: «أنا على يقين من أنكِ قادرة على ذلك. لكنكِ تساعدينني بمجرد جلوسك بجانبي، لأن رؤية وجهك تذكرني بمدى أهمية أبحاثي».

ابتسم وأغلق البرنامج الذي كان يعمل عليه، وفتح الأطلس، الذي كان عبارة عن كرة أرضية هولوجرامية ظهرت في الجو أمام الأريكة التي كانا يجلسان إليها مباشرة.



مررت كلارك إصبعها في الهواء فدارت الكرة. أشارت إلى مخطَّط لدولة كبيرة للغاية وقالت: «أي دولة هذه؟».

- لنرَ، إنها السعودية.

ضغطت كلارك بإصبعها على المخطط، فتحول للون الأزرق وظهرت الكلمات: مكة الجديدة.

- هذا صحيح، فهذا البلد تغير اسمه عدة مرات قبل حدوث الجائحة.

أدار الكرة وأشار إلى بلد صغير على الجانب الآخر من الكرة الأرضية: «وما اسم هذا البلد؟».

قالت كلارك بثقة: «تشيلي».

- حقًّا؟ أظن أن الجو حار للغاية في هذه المنطقة.

امتعضت كلارك: «أبي، هل ستطلق هذه المزحة في كل مرة نلعب فيها اللعبة؟».

ضم كلارك إلى حضنه: «في كل مرة، على الأقل حتى يكون بوسعنا زيارة تشيلي في الحقيقة. حينها ستكون مزحة سخيفة».

- ديفيد.

صاحت أم كلارك من مكانها في المطبخ حيث كانت تخلط عبوات البروتين مع بعض الخضروات. فلم تكن تحب النكات التي يطلقها زوجها حول الرجوع إلى الأرض، فوفقًا لأبحاثها، فإن العودة إلى الأرض تستلزم قضاء مئة عام أخرى حتى يكون الكوكب آمنًا من الإشعاعات.

- ماذا عن الناس؟



التفت أبوها للجانب الآخر: «ماذا تقصدين؟».

- أريد أن أرى أين كان الناس يعيشون. لماذا لا أرى أي بيوت يعيش فيها الناس؟

ابتسم أبوها: «أخشى أنه ليس لدينا تكنولوجيا توفر لنا هذه التفاصيل. لكن الناس كانوا يعيشون في كل مكان»، مرر إصبعه على طول أحد الخطوط المتعرجة، «كانوا يعيشون بجانب المحيطات، وفوق الجبال، وفي الصحراء، وعلى ضفاف الأنهار».

- ولماذا لم يفعلوا أي شيء عندما علموا بوقوع الكارثة؟

خرجت أمها من المطبخ لتنضم إليهما على الأريكة. قالت عندما جلست: «لقد حدث كل شيء في لمح البصر، ولم يكن هناك أماكن وفيرة يمكن للناس أن يختبئوا فيها من الإشعاعات. أعتقد أن الصينيين كانوا يبنون ملجأ هنا».

ثم صغَّرت الخريطة، وأشارت إلى نقطة في أقصى اليمين، ثم مررت إصبعها على مكان أعلى الخريطة، وتابعت: «وسمعنا حديثًا عن وجود ملجأ آخر بجانب بنك البذور، هنا».

قال الأب: «وماذا عن ملجأ ماونت ويذر؟».

عبثت أم كلارك بالكرة: «من المُفترض أنه في المنطقة التي كانت تدعى فرجينيا».

اقتربت كلارك برأسها لترى بشكل أفضل، وسألت: «وما ماونت ويذر؟».

- قبل عدة سنوات من حدوث الكارثة، شيّدت حكومة الولايات المتحدة ملجأ كبيرا تحت الأرض خشية حدوث حرب نووية. ورغم أن هذا الاحتمال قد بدا بعيد الحدوث، كان عليهم تشييد هذا المكان لحماية الرئيس، الذي يقوم مقام المستشار عندنا، وعلى كل حال، لم يستطع أحد الهروب إلى الملجأ عندما وقعت الواقعة، ولا حتى الرئيس، فقد حدث كل شيء فجأة.

قفز سؤال غير مُريح من بين عدة أسئلة أخرى في رأس كلارك: «وكم عدد من مات؟ آلاف؟».

قال أبوها: «بل مليارات».

- مليارات؟

قفزت كلارك على قدميها وسارت حتى وقفت بجانب النافذة الصغيرة، الدائرية، المنقوشة بالنجوم: «أتعتقدان أن كل من ماتوا هنا الآن؟».

سارت أمها ناحيتها، وأراحت يدها على كتف ابنتها: «ماذا تقصدين؟».

- من المُفترض أن الجنة في مكان ما في الفضاء.

ضغطت أمها على كتفها وقالت: «أظن أن الجنة موجودة حيث نتخيلها. ولقد كنت أظن دائمًا أن جنتي ستكون على الأرض. في إحدى الغابات، في مكان مملوء بالأشجار».

وضعت كلارك يدها على يد أمها: «ستكون جنتي حيث تكون جنتك».

قال أبوها ضاحكًا: «وأنا أعلم ما الأغنية التي سنسمعها عند الدخول من البوابات البلورية».

استدارت أمها سريعًا: «ديفيد، لا تشغّل هذه الأغنية ثانية».

لكن الأوان كان قد فات، وسمعوا الأغنية تعمل بالفعل في مكبرات الصوت المثبتة في الحائط، وابتسمت كلارك عندما سمعت مُفتتح الأغنية: «الجنة مكان على الأرض».

سألته أمها وهي ترفع حاجبيها: «أتمزح يا ديفيد؟».



ابتسم والد كلارك ووقف ليمسك يديهما، وراح الثلاثة يدورون حول أنفسهم في غرفة المعيشة، ويغنون الأغنية المفضلة لأبيها.

خرج بيلامي من بين صف الأشجار. وعلى الرغم من أن العتمة كانت تُخفي تعابير وجهه، لاحظت إلحاح صوته: «كلارك، عليكِ رؤية ذلك».

تعثرت كلارك في الماء وسارت بصعوبة حتَّى وصلت إلى الضفة الطينيّة، مُتناسيةً أنها لا ترتدي من الملابس سوى أخفها، ثم ركضت متجاهلة الصخور تحت قدميها الحافيتين ولسعة برد الليل.

كان يجثو على الأرض، محدِّقًا إلى شيء لم تستطع كلارك رؤيته بعد.

- بيلامي، هل أنت بخير؟ ما هذا الصوت؟

- لا شيء، ربما كان صوت طائر أو شيئًا من هذا القبيل، انظري إلى ذلك، آثار أقدام.

أشار إلى الأرض وومض الأمل في ابتسامته: «إنها آثار قدمي أوكتافيا، أنا على يقين من ذلك. لقد وجدنا أثرها».

تصاعد الأدرينالين إلى دماغ كلارك بينما تميل إلى الأمام لترى بشكل أفضل. بدا أن هناك آثار أقدام أخرى بالفعل على بعد عدة أمتار، مطبوعة على بقعة من الطين، وقد بدا أن الأثر حديث نسبيًّا، وكما لو أن أوكتافيا قد سارت على هذه البقعة منذ عدة ساعات فقط. لكن قبل أن تجيب كلارك، وقف بيلامي، وشدَّها ناحيته، وقبَّلها.

كان لا يزال مبللًا، يلتصق جسده الرطب بجسدها فيما يضع يده على خاصرتها. وللحظة، تلاشت الدنيا حولهما. وكل ما كانت تشعر به هو دفء أنفاسه، ومذاق شفتيه. حرك إحدى يديه من خاصرتها إلى أسفل ظهرها فارتعشت، وانتبهت فجأة أنهما كانا يقفان في ملابسهما الداخلية، يقطران ماءً.

هب نسيم الليل العليل بين أوراق الشجر الكثيف فمسّ مؤخرة عنق كلارك. فارتعشت ثانية، وببطء، حرر بيلامي شفتيه من شفتيها، وربت على ظهرها صعودًا وهبوطًا: «أنتِ ترتعشين من البرد».

مالت برأسها إلى اليمين: «أنت ترتدي ملابس أقل مني».

مرر بيلامي إصبعه على ذراعها، ثم قال بمكر: «يمكننا أن نكون متعادلين إذا كانت ملابسك تزعجك».

- أظن أنها ستكون فكرة جيدة أن نرتدي ملابسنا وننطلق في الغابة لنتبع آثار قدمي أوكتافيا.

رغم أن كلارك لا تعرف أن آثار الأقدام سوف تتلاشى في الليل، لكنها كانت تُدرك أن بيلامي لم يكن لينتظر كثيرًا بعدما وجد آثار قدميها.

نظر إلى كلارك وقال: «شكرًا لكِ».

وانحنى ليُقبلها مجددًا قبل أن يُمسك يدها ويصطحبها باتجاه الشاطئ. ارتديا ملابسهما سريعًا، ثم حملا حقيبتيهما وتوجها إلى الغابة مرة أخرى. كان الأثر يسهل متابعته رغم أن بيلامي كان يتحقق من كل أثر طويلًا قبل أن يخطو خطوة واحدة. هل اكتسب حدة البصر من طول ممارسة الصيد؟ أم أن هذا عرض جانبي ليأسه من إيجاد أخته؟

قالت عندما توجه إلى أثر لم تره: «بغض النظر عن الخياشيم، لكني أظن أنك اكتسبت تقنية الرؤية الليلية».

كانت تُلقي مزحة بالطبع، لكنها عبست حين تذكرت أن مستويات الإشعاع في الأرض لم تكن كبيرة كما كانا يخشيان، لكن ذلك لا يعني أنهما كانا بمأمن بعد، لأن ظهور التسمُّم الإشعاعي مُنخفض المستوى قد يستغرق أسابيع، حتى لو كانت الخلايا قد بدأت في التفتت بالفعل. وهذا السبب الذي أرجأ وصول سفن الاستطلاع إلى الأرض.

ماذا لو لم يكن المجلس يفكر في العودة إلى الأرض لأن البيانات الحيوية أثبتت أنها غير آمنة؟

تسارعت ضربات قلبها بينما تنظر إلى جهاز المُراقبة المعلّق على حزام خصرها وأحصت عدد الأيام منذ هبوطهما على الأرض. نظرت إلى القمر، كان على وشك الاكتمال. لكنه كان فضيًّا شاحبًا في أول ليلة وصلا فيها إلى الأرض. انتفضت معدتها عندما تذكرت أهم نقطة في بحث والديها. اليوم الذي تسوء فيه حالة المرضي هو اليوم الحادي والعشرون.

قال بيلامي وهو غافل عن قلقها: «لقد تعودت النظر في الظلام، كما أني عندما تسللت إلى مخازن المستوطنة، لم أجد بها أي كهرباء».

جفلت كلارك عندما جُرحت من غصن شجرة: «عن ماذا كنت تبحث؟».

وفكرت كلارك لو أن أي شخص في المستوطنة ظهر عليه أعراض تسمم من الإشعاع، سيمكن للقليل من الدواء أن يساعده، حتى وإن كان كمية قليلة للغاية.

- قطع خردة، أقمشة، أو أي مصنوعات أرضية تستحق المبادلة في قسم المعاملات.

كانت نبرة صوته عادية لكنها استطاعت أن تُلاحظ عليه مسحة من الإجهاد.

- لم تكن أوكتافيا تحصل على ما يكفي من الطعام، لذا كان عليّ أن أجد سبيلاً للحصول على أكثر من الحصة المسموح بها.

أخرج الواقع كلارك من أفكارها. وانفطر قلبها عندما مر في خاطرها نسخة صغيرة وهزيلة من الشاب الذي أمامها، وهو يقف وحيدًا في الظلام في مُنتصف حجرة المخزن. صاحت به وهي تختار الكلمات المناسبة، لكنها بترت كلامها عندما لاحظت جسمًا يلمع عبر الظلال من خلف الأشجار. كانت تدرك أن عليها مواصلة السير، فليس لديهما وقت ليضيعاه. لكن الطريقة التي كان يلمع بها الجسم هي ما جعلتها تتوقف.



قالت وهي تلتفت لتتحرك نحو الجسم: «بيلامي، تعال لتشاهد هذا».

كان هناك جسم على الأرض، مشتبك في جذر الشجرة. مالت كلارك لتلقي نظرة أقرب فرأت جسمًا معدنيًّا. تشمَّمت رائحته بوضوح ومررت إصبعها على الجسم الطويل ذي الأجزاء الملتوية. إلى أي شيء ينتمي هذا الجسم؟ وكيف انتهى به المطاف هنا، في منتصف الغابة؟

- كلارك، إلى أين ذهبتِ؟

- هُنا، عليك رؤية هذا.

جاء بيلامي سريعًا إلى جانبها، وقال وهو يتنفس بصعوبة: «ما الذي يحدث، لا يمكنك أن تغادري هكذا، علينا أن نبقى معًا».

حملت كلارك الجسم المعدني في ضوء القمر: «انظر، كيف يمكن أن ينجو هذا من الكارثة؟».

اعتدل بيلامي في جلسته: «ليس لدي أي فكرة، والآن، هل يمكن أن نتابع السير، ليس علينا أن نفقد الأثر».

كانت كلارك على وشك إعادة القطعة مرة أخرى إلى الأرض، عندما لاحظت حرفين مميزين محفورين على الجسم المعدني (ت.ج) تريليون جلاكتيك.

- يا إلهي، لقد جاء هذا الجسم من المستوطنة.

- ماذا، لا بد أنه جزء من سفينة الإنزال، أليس كذلك؟

هزَّت كلارك رأسها: «لا أظن ذلك، لا بد أننا على بعد ستة كيلومترات من المخيم. ولا سبيل لظهور هذا الجسم جراء حادث تصادم، وإن كان كذلك، فلن يكون ناجمًا عن الحادث الذي مررنا به».



تشتَّتَتْ كلارك فجأة، كما لو أنها تُحاول التمييز بين الحلم والحقيقة. تابعت: «هناك أجزاء مُتناثرة على الأرض، يمكن أن يكون هذا شيئًا يدلنا على...».

ثمَّ شاب صوتها نحيب عالٍ عندما شعرت بألم في ذراعها اليسرى.

- كلارك، هل أنتِ بخير؟

حاوطها بيلامي بذراعه، لكن لم يكن بمقدورها النظر إليه. كانت عيناها معلقتين بشيء على الأرض. شيء طويل، ومُظلم، وملتوٍ.

حاولت أن تُشير لبيلامي بوجود مخلوقٍ ما، لكنها اكتشفت أنها غير قادرة على الحركة.

- كلارك، ما الخطب؟

فتحت كلارك فمها، لكن لم يكن هناك صوت. بدأ صدرها يضيق، وشعرت بألم حاد في ذراعها.

سمعت بيلامي يقول: «اللعنة».

لم يكن بمقدورها رؤيته. وبدأ العالم يدور حولها. السماء والنجوم وأوراق الشجر تدور في الظلام. وأفقدها الألم الحاد الذي شعرت به في ذراعها توازنها. كان كل شيء يتلاشى. وقعت على صدر بيلامي، ثم شعرت أنها مرفوعة في الهواء. لا وزن لها، كما لو كانت في البحيرة، كحالة أبويها الآن.

صاح بها بيلامي من مكان بعيد: «كلارك، ابقي معي».

لكن الظلام كان يلفُّ قدميها وذراعيها. ولم يعد هُناك إلا الصمت.



الفصل الثالث

جلاس

رفعت جلاس رأسها عن صدر لوك، مُحاولة دفع خوفها. ابتسمت وهي تتَّخذ وضع الجلوس وتترك قدميها لتهبطا من الأريكة. لم تكن جلاس متأكدة إذا كان نقص الأكسجين هو ما يصيبها بالدوار، أم أن أنها مرهقة فقط من الاستيقاظ طوال الليل. مستلقيةً على السرير مع لوك، وآخر ما تود فعله هو النوم. لم يعرفا مقدار الوقت الذي قضياه معًا، لذا كانت كل لحظة بالنسبة إليهما غالية. فقد قضيا الليالي الأخيرة في أحضان بعضهما بعضًا، يتهامسان حول طرق الهروب التي لم تكتمل، ويحفظ كل منهما إيقاع دقات قلب الآخر.

قال لوك بصوت مُنخفض: «ربما ينبغي لي الخروج بحثًا عن مزيد من المؤن».

لكنَّ كليهما كان يعلم خطورة هذا الاقتراح. فمنذ إغلاق المعابر بين السفن، وصلت الفوضى في والدن إلى مُنتهاها. فقد تحولت استماتة الولدانيين لإيجاد الطعام وتخزينه إلى عنف جامح. أما لوك وجلاس، فقد حبسا نفسيهما في شقة لوك الصغيرة، نظرا إلى أنهما قد تزودا بحفنة قليلة من عبوات البروتين، وبذلا قصارى جهديهما لتجاهل الأصوات التي تتردَّد في الردهات، والصياحات الغاضبة لجيران يتعاركون على المؤن، والبكاء المحموم لأمهات يبحثن عن أطفالهن الضائعين، والأزيز الخشن لمن يجاهدون لالتقاط أنفاسهم.

- لا بأس، لدينا ما يكفينا لعدة أيام، وبعد ذلك...



قطعت جلاس كلامها ونظرت بعيدًا.

- أنتِ خبيرة بالتزام الهدوء تحت ضغط، وهذا أمر مخيف قليلًا، كان عليكِ أن تكوني حارسة.

ثم مرر إصبعه على ذقنها. وقال ردًّا على تعبير الشك الذي ارتسم على وجهها: «أنا جادّ، دائمًا ما اعتقدت أنه بإمكان النساء أن يكن حارسات عظيمات. ومن العار على فتيات فينيكس أنهن لم يفكرن في ذلك».

ابتسمت جلاس سرًّا، متخيلة دهشة أعز أصدقائها ويلز عندما ظهرت في اليوم الأول من تدريب الضّباط، وعلى الرغم من أنه كان مصدومًا لدرجة منعته من الكلام، لكنَّها كانت متأكدة من دعمه. قبل أن تلتقي لوك، كان ويلز هو الشخص الوحيد الذي يحترمها، وهو الذي آمن بأنها تمتلك مواهب أبعد من المُزاح وتصفيف الشعر.

- أعتقد أني يمكنني أن أُحاول، ما دام لم يحاول أحدهم إعدامي بالطرد إلى الفضاء.

كانت الكلمة وحدها كافية لتُشعرها بغثيان وهي تتخيَّل التقدم إلى مكان بلا جاذبيّة.

تنحنح لوك، وقال بسُخرية: «أنتِ تعرفين أنهم لا يطردون الأشخاص المُهمِّين».

كان لوك من صفوة فيلق الحراس الذين تدرَّبوا للعمل كونهم مهندسين أيضًا، وصاروا مسؤولين عن إجراء الإصلاحات الحيويّة والخطيرة في السفينة. لم تكن لتنسى إلى أي مدى كانت مرعوبة منذ عدة أسابيع مضت، وهي تُشاهد لوك يقف على سطح السفينة من الخارج لفحص غرفة معادلة الضغط متعدِّدة المهام. ولعشرين دقيقة، كانت ضربات قلبها تخفق بشدة، فقد كان كل ما يحفظه من الضياع في الفضاء مجرد حبل رقيق. الحبل، ودعوات جلاس الصادقة.

- حتَّى لا أنسى، لقد كنت جميلة للغاية في الزي الرسمي.

- أتُريدني أن أجرِّب بدلتك؟



ابتسم لوك: «ربّما يمكن أن نفعل ذلك لاحقًا».

لكن بمجرد أن قال ذلك، ابتسم. فكلاهما يعرف أنهما لن يفعلا ذلك لاحقًا. وقفت جلاس على قدميها وقذفت بشعرها على كتفها قائلة: «هيا».

أمسكت يد لوك وأردفت: «لدي فكرة لإعداد الغداء».

- حقًّا؟ وهل اتخذتِ قراركِ بالتهام عبوة البروتين التي جلبناها منذ يومين أم ثلاثة أيام؟

- أنا لا أمزح، لنجعلها مناسبة خاصة. لماذا لا يمكننا استخدام الطبقين؟

تندُر المتعلقات الأرضية في والدن، لكن عائلة لوك كانت قد احتفظت بطبقين بديعين وحملوهما إلى السفينة. تردَّد لوك لجزء من الثانية، ثمَّ وقف على قدميه قائلًا: «يبدو أنها فكرة حسنة، سأحضرهما».

واعتصر يد جلاس قبل أن يختفي في غرفته، حيث كان يحتفظ بالمتعلقات الثمينة في مكان سري.

ذهبت جلاس إلى مرحاض صغير ملحق بغرفة لوك، ونظرت إلى نفسها في المرآة المخدوشة فوق الحوض. في الماضي، كانت ترى أن افتقاد أي حمام لمساحة تسمح لها بالتزين أمر محبط، لكنَّها مُمتنّة الآن لأن بمقدورها أن ترى مظهرها بعد ثلاثة أيام في نفس الملابس. مشطت شعرها، وغسلت وجهها بمياه فاترة.

اعتقدت أنها لم تستغرق الكثير من الوقت، لكنها تفاجأت بالتحول الذي حدث في الشقّة عندما دلفت إلى غرفة المَعيشة، إذ أزيلت الأضواء الوامضة الموضوعة على الطاولة واستبدلت بها الشموع.

قالت جلاس بدهشة وهي تقترب لتُلقي نظرة: «من أين جئت بتلك الشموع؟».



لم يتبقَّ الكثير من الشموع في أي مكان في المستوطنة، وبالطبع لم يكن هناك أثر لها في والدن.

قال لوك وهو يخرج من غرفته: «كنت أدخرها لمناسبة مميزة».

عندما تكيَّفت عينا جلاس على الظلام، وانتظمت أنفاسها في صدرها. كان لوك قد بدل سرواله إلى الأسود وارتدى ما يبدو أنه سترة تُلائم السروال.

أيُمكن أن تكون بدلة حقيقيّة؟ تندُر هذه البدل في قسم المُعاملات. حتَّى رجال الحراسة في فينيكس يجدون صعوبة في العثور عليها.

رأت جلاس رفيقها لوك ممشوق القوام راسمًا على وجهه نظرة جدية في بدلة الحراسة. في السابق، كانت تراه شخصًا عاديًّا ومرحًا في ملابسه المدنيّة، يلعب المشاكة الأطفال الصغار في الردهة، لكنه بدا واثقًا من نفسه كما لو كان جنديًّا، مع بعض الاختلاف، إذ بات أكثر استرخاء.

قالت جلاس وهي تحاول إخفاء كمي قميصها الرث: «ملابسي لا تليق بالمناسبة».

التفت لوك إلى جلاس وتأملها لفترة طويل قبل أن يقول: «تبدين في أحسن حال».

اختلط صوته بمسحة إعجاب جعلت جلاس ممتنة للشموع، وللضوء الخافت الذي حجب ملابسها القديمة وشعورها المفاجئ بالحرج. أخذت بضع خطوات للأمام وجرت أصابعها على كُمَّي بدلة لوك.

- من أين أتيت بذلك؟

- لقد كان قميص كارتر.

مجرد ذكر اسم كارتر جعل جلاس تجفل وتنتزع يدها، وكأنها قد حُرقت.

- هل أنتِ بخير؟



- نعم، بخير، لكني لم أعرف عن كارتر أنه يحب ارتداء البدل.

كان كارتر صبيًّا يكبر لوك بعدة أعوام، أخذه من الجمعيّة الخيريّة بدعوى موت والدته، لكن جلاس كانت دائمًا ما تشك أنَّه تبنَّاه للحصول على نصيب أكبر من النقاط. إذ كان شخصًا كسولًا، مُتلاعبًا، وخطيرًا، وفي إحدى المرات حاول الاعتداء على جلاس في أثناء مكوثها في شقته. لكن لأن لوك كان لا يزال في طور السذاجة، فقد أعماه ولعه الطفولي بكارتر من رؤية أخطائه، ولم تتمكن جلاس إطلاقًا من إجباره على رؤية حقيقة الرجل الذي كان يراه مرشدًا إلى حدٍّ ما.

هزّ لوك كتفيه: «لم يكن كذلك، بل كان عنده نقص في النقاط في أحد الشهور، فاشتريتُ البدلة منه، والحق أن ذلك كان كرمًا منه، فقد خصّص له الكثير غيرها في قسم المُعاملات».

فكَّرت جلاس في أن قسم المُعاملات لم يخصص له الكثير من البدل، حيث يُمكن أن يعتقل بتهمة بيع بضاعة مسروقة. لكنَّها شعرت بالذنب بعد ذلك، صحيح أن كارتر شخص حقير، لكنه أعدم بسبب تهمة لم يرتكبها. ولقد كان ذلك خطأ جلاس.

في العام الماضي، اكتشفت جلاس الاكتشاف المُرعب في غرف مجتمعهم، وهو أنها حامل، مخالفة وهي تقتضي العقاب في القانون الصارم الذي سُنّ لمعاقبة سكان المستوطنة، بالحبس لمن هم دون سن الرشد، وبالموت لمن هم فوق سن الثامنة عشرة.

للحفاظ على سلامة لوك، فعلت جلاس قصارى جهدها لإخفاء حالتها. لكن عندما اكتُشِفَ حملها، اعتُقِلَتْ وأُجْبِرت على الاعتراف باسم الأب. وكانت جلاس تدرك أنها لو ذكرت اسم لوك، ذي التسعة عشر عامًا، لسيق إلى الموت فورًا. لذا في لحظة من لحظات الرُّعب، ذكرت اسم الرجل الذي كانت ترتجف عند سماع اسمه، الرجل الذي كانت تعرف أنه سيعتقل آجلاً أو عاجلًا: كارتر.

لم يعرف لوك بما فعلته جلاس. ولم يكن أحد في والدن لديه فكرة عن لماذا سيق كارتر في منتصف الليل. على الأقل، كان هذا ما اعتقدته جلاس حتى يومين، عندما هددتها صديقة لوك المقربة، وحبيبته السابقة، كاميل، بأن تكشف سرها إذا لم تفعل ما تطلبه منها.

قالت جلاس بخفوت محاولةً أن تغيِّر الموضوع: «أعلينا أن نتناول الطعام؟».

وضع لوك الطبقين على الطاولة فصدر عنهما طقطقة، ثم قال: «الغداء جاهز».

كانت قطع البروتين صغيرة بشكل مُضحك، لكن جلاس لاحظت أن لوك منحها القطعة الأكبر. على أن الجانب الإيجابي لقطع البروتين الصغيرة سمحت لجلاس أن تستمتع بالمُشاهد المرسُومة على الطبقين، ثمّة هو أنها مشهد يصور حبيبين أمام برج إيفل، فيما يصور المشهد الثاني الحبيبين يصطحبان كلبا في متنزه. لم يعرف لوك القصة وراء الطبقين، لكن جلاس أحبت أن تتخيل أن حبيبين حقيقيين اشتريا الطبقين في شهر العسل، ثم أتيا بهما إلى المستوطنة كونهما تذكارين.

سأل لوك وهو يقطع قطعة من البروتين بملعقته: «من المستغرب أن نرتدي ملابسنا لتناول بعض قطع البروتين».

- لا أعتقد ذلك. لفترة، كان ويلز مفتونًا بذلك الكتاب الذي يحكي قصة شهيرة لاصطدام سفينة كبيرة. على ما يبدو أن جميع من كان على السفينة ارتدى ملابسه وجلس يستمع إلى الموسيقى بينما كانت السفينة تغرق.

سُعِد لوك لأنه عرف تلك الحقيقة الصغيرة من تاريخ كوكب الأرض، لكنه بدلًا من يبدو مبهورًا بالحادثة، جفل، وقال بمودة: «لكن كان ينبغي لك البقاء في فينيكس، لأنَّ القدوم إلى هنا كالتعلق بقشة غارقة».

رغم أن المجلس أهمل والدن وآركاديا، حيث تركا حتى تقلصت إمدادات الأكسجين، فإن فينيكس، السفينة الأم، لا يزال لديها احتياطيات من الأكسجين، ومع ذلك هربت جلاس من سفينتها لتستقر مع لوك في والدن.



قال لوك وهو يتناول قطعة من البروتين: «أتعتقدين أن كاميل نجحت في العبور؟».

جفلت جلاس عندما باغتها لوك باسم كاميل. عندما وصلت جلاس إلى والدن، طالبتها حبيبة لوك السابقة أن تشرح لها كيف تسلّلت من سفينة لأخرى. وعندما تردَّدت جلاس في الإجابة، بسبب علمها أن الحراس مأمورون بإطلاق النار على كل ولداني يحاول الذهاب إلى فينيكس عبر المعبر بعد إغلاقه، همست لها كاميل بأخطر تهديد يمكن أن تتوقعه جلاس: إذا لم تُساعدها جلاس على معرفة سر عبورها، ستخبر كاميل رفيقها لوك بشأن كارتر، ورغم أن جلاس لم تعرف كيف اكتشفت الفتاة سرها، لكنها كشفت سر الفتحة الهوائية التي تربط والدن بفينيكس.

أجابت جلاس عن سؤال لوك، مشيحة بوجهها تجنُّبًا لالتقاء أعينهما: «أتمنّى ذلك».

قال لوك بحرص: «الفرصة ما زالت سانحة بالنسبة إليكِ».

فقد ترجّى جلاس أن تعود برفقة كاميل لكنَّها رفضت.

- يمكنكِ أن تعبري من خلال الفتحة الهوائية و...

وقعت ملعقة جلاس من يدها على الطبق.

- لا.

جاء رفضها أكثر حدة ممَّا توقعت، قائلة: «لقد تحدثنا في الموضوع من قبل».

زفر لوك: «حسنًا، وماذا عن هذا؟».

سحب نفسًا ليتحدَّث لكنه ضحك ضحكة صاخبة عندما التقت عيناه عيني جلاس.

- ماذا؟ ما المضحك إلى هذا الحد؟

- تعبسين في وجهي.



شدَّت جلاس قوامها: «حسنًا، أنا غاضبة ولست أدري لماذا تجد الأمر مُسليًا».

- لأني على يقين أنكِ كنتِ ترسمين نفس التعبير على وجهكِ عندما كنتِ طفلة لا تحصل على مبتغاها.

- لوك، بربك، أنا أتحدث بجدية.

قال وهو ينهض من مكانه: «وأنا أيضًا، تعالي إلى هنا».

ثمَّ أخذ يدها وجذبها ناحيته.

- ماذا لو عبرتِ من الفتحة الهوائيّة ونظرت حولكِ؟ إذا لم يبدُ لكِ أن الحراس يسيرون دوريّات عبر فينيكس، يمكنكِ العودة مرة أخرى حتَّى تُخبريني بذلك.

توقفت جلاس للحظة لتدقق النظر في وجه لوك، محاولة أن تتأكد من أنه يعني ما يقول، وأن ما قاله لم يكن خدعة حتَّى تعود لفينيكس ثمَّ يغلق الفتحة الهوائية للأبد، فلا تتمكَّن من العودة.

- وهل ستعبر معي؟

أومأ لوك: «في حالة عدم وجود حراس بالقرب من مخرج فتحة التهوية، يمكننا أن نحاول العودة إلى شقتك من دون أن يرانا أحد، وحينها...».

ثم انخفض صوت لوك.

أخذت جلاس يده الأخرى في يدها واعتصرتها. فكلاهما يعرف أن التسلّل إلى فينيكس سيوفر لهما بعض الوقت. فالمستوطنة تتفكك، وحتى فينيكس ستفقد الأكسجين في النهاية.

كسر لوك الصمت الذي امتد بينهما لفترة طالت: «من المحتمل أن يبدؤوا في إرسال الناس إلى سفن الإنزال».



- ماذا؟ من دون أن يعرفوا ما إذا كان ذلك آمنًا أم لا؟

لم يكن من المُفترض لجلاس أن تتفاجأ. فالمستوطنة فقدت الاتصال بمئة مراهق أُرسلوا إلى الأرض لاختبار مستويات الإشعاع وهم الآن محبوسون. في الوقع لقد باتوا ٩٩ مراهقًا. نظرًا إلى أنَّ جلاس كانت من المُفترض أن تكون واحدة منهم لكنَّها فرت من سفينتها متسلِّلةً إلى المستوطنة. تألَّم قلبها عندما تذكَّرت ويلز الذي أرسل لهذه المهمة. الحق أنه حلم دوما بالذهاب إلى الأرض. تذكرت أن ويلز كان دائمًا ما يجبرهم على مشاهدة فيلم المصارع في صالة الألعاب الرياضية لأنه يحب الفترة الرومانية من التاريخ، أو كيف كانت تتظاهر بأنها من آكلي لحوم الغوريلا عندما كانت تلعب دور مستكشفة الغابات خلف مكتب والدها.

تمنَّت لو أنَّه لا يزال حيًّا، ولم يُهاجم من قبل آكلي لحوم الغوريلا، أو أنه لم يتعرض للأسوأ بالموت ببطء نتيجة ارتفاع مستويات الإشعاع. تمنت لو أنهم ينجحون في مهمتهم.

قال بشكل قاطع: «ليس لديهم خيارات أخرى، كان يجب عليكِ البقاء في السفينة حين سنحت لكِ الفرصة».

- نعم، حسنًا، لقد تبيَّن أنِّي تركت شيئًا مُهم للغاية ورائي.

مدّ لوك يده وأجرى إصبعه على قلادتها المدلاة التي أهداها إليها في نعم، الذكرى السنوية لهما معًا.

- بالطبع، لا يمكنكِ الذهاب إلى الأرض من دون مجوهراتكِ.

صفعته جلاس على كتفه بمرح: «أنت تدرك ما أتحدث عنه».

ضحك لوك: «لا أطيق الانتظار حتى أراكِ تعبسين في وجهي على الأرض».

- وهل هذا الشيء الوحيد الذي تتطلع إليه؟



حرك لوك يده خلف رأسها وهو يخفض وجهه قليلًا حتَّى يكون بمستوى وجهها، ثم قبَّلها برقة: «لا، أتطلع إلى أكثر من ذلك بكثير».

الفصل الرابع

ويلز

لم يكن هُناك من سبيل لويلز لتمييز الوقت في الليل، لذا كان عليه أن يقدر مواعيد تغيير الورديات. ظل يطوق المنطقة لأربع ساعات متتالية، فتألمت مفاصل قدميه. لكنَّه عندما ذهب ليوقظ إريك، وجد الفتى الأركادي نائمًا ملتفًّا حول نفسه ترتسم على وجهه نظرة مسالمة، فلم يحتمل التفكير في إيقاظه.

بتنهيدة صامتة، مدَّ ويلز ذراعيه أعلى رأسه ثم نقل الرمح من يد لأخرى. لم يكن رمح يده شيئًا يعتد به. لكن دقة السهم الذي قتل آشر كانت مميتة. لدرجة أن الأرضيين إذا ظهروا وصوبوا رماحهم نحو ويلز، فلن يحظى بفرصة النجاة.

صاحت فتاة: «ويلز».

التفت ويلز إلى الخلف في الظلام وهو يرمش: «بريا، هل هذه أنتِ؟».

بنبرة ألم: «لا، أنا كيندال».

- عذرًا، ما الذي حدث، هل أنتِ بخير؟

بمرح: «نعم، كل شيء بخير».

كان أسلوبها مرحًا للغاية على مثل هذا الوقت من الليل.



لكن لحسن الحظ، لم تجعلها حلكة الظلام تلاحظ ارتباك ويلز.

- اعتقدتُ أنك ربما تكون في حاجة لبعض الرفقة.

كان آخر ما يريده ويلز هو أن يدخل في ثرثرة مع أحد.

- أنا بخير. كنتُ على وشك تبديل ورديتي مع إريك.

كان ويلز يكذب. ومن دون أن يرى وجه كيندال، كان بوسعه أن يشعر بالإحباط الذي ينبعث منها.

- والآن، عودي إلى مكانك قبل أن يسرق أحد منك فراشك.

زفرت كيندال وعادت مرة أخرى إلى الكابينة. عندما سمع صوت إغلاق باب الكابينة، عاد ويلز مرة أخرى إلى النظر إلى صف الأشجار. كان متعبًا للغاية، فقد استنفد كل قواه ليمنع جفنيه الثقيلين من السقوط.

وفي وقت لاحق -ربما يكون قد مرت دقائق، أو ساعات- ظهر جسم من بين الظلال. رمش ويلز متوقِّعًا أن يختفي، لكنه خطا نحوه خطوات كبيرة. جن جنون ويلز، فرفع رمحه، وفتح فمه ليطلق تحذيرًا، لكن عندما تجلّى بوضوح، تعثرت الكلمات في فم ويلز.

إنَّه بيلامي. كان يترنح باتجاهه، يعرج ويداه ترتجفان وهو يحمل شخصا. للحظة، ظن ويلز أنها أوكتافيا، لكن حتى في الظلام، لم يكن ويلز ليخطئ شعرها المجعد الأشقر المائل للحمرة. كان سيعرفها على أي حال.

بدأ ويلز يركض، فوصل إليهما في اللحظة التي انهار فيها بيلامي على ركبتيه. على وجهه حمرة، وأنفاسه تتلاحق بصعوبة، لكنه ظل يحمل كلارك حتى سلّمها إلى ذراعَي ويلز.

قال بيلامي وهو يلهث، متكئا بيده على العشب في مُحاولة لاستعادة توازنه، بينما يُعاني ليتكلم: «لقد عضَّها ثعبان».



كان هذا كل ما يحتاج أن يسمعه ويلز. حمل كلارك على صدره، وركض إلى كابينة المشفى. وجد المساحة الصغيرة مكتظّة بالناس، نصف دستة كانوا يشغلون الفرشات والبطّانيّات المُتبقِّية.

صرخ ويلز من دون أن يعبأ بالهمهمات الساخطة والمحتجين النائمين: «تحركوا، الآن».

- ماذا حدث؟ هل عادوا؟

هتف آخر: «هل عاد الأرضيون؟».

- هل هذه كلارك؟ هل هي بخير؟

تجاهلهم ويلز ووضع كلارك برقة على إحدى الفرشات الفارغة، فتنفست بصعوبة عندما أراح وجهها على جانبه.

- كلارك.

وضع يده على كتفها وهزَّها بخفّة مناديًا: «كلارك».

اقترب بوجهه من وجهها. كانت تتنفس، بصعوبة بالغة.

اقتحم بيلامي المكان. أمره ويلز: «أخرِجهم من هنا».

وأشار إلى بقية الصبية الجالسين عند قدم كلارك، يحدقون إليها في وضعيتها الناعسة المرتبكة.

قادهم بيلامي نحو الباب: «ليخرج جميع من في الغرفة».

حينما خرج البقية من الغرفة، ذهب إلى ويلز الذي كان يمزق المؤن الطبية من دون روية.



- كيف يمكن أن أساعدك؟

- ضع عينيك عليها.

ظلّ ويلز يُلقي الضمَّادات والقوارير خلف ظهره، أملا في العثور على الترياق، وتمنَّى أن يميزه حينما يجده. لعن نفسه لعدم جدّيته في تعلم دروس علم الأحياء. ولعن نفسه عندما لم يكن يولي اهتمامًا أوثق لحديث كلارك الذي كانت تقوله بارتجال عن تدريبها الطبي. لكنّه كان مشغولًا بتأمل تعابير وجهها عندما يشرق وهي تتحدث عن تدريبها المهني. والآن، ترقد كلارك أمامه احتمال أن تنغلق عيناها للأبد.

جاء صوت بيلامي من الخلف: «من الأفضل أن تسرع».

وعندما استدار ويلز رآه جالسا بجانب كلارك، يبعد شعرها المُتناثر عن وجهها، في مشهد أعاد إحياء غضب ويلز الذي شعر به عندما كان بيلامي يُقبِّلها في الغابة.

- لا تلمسها.

جفل ويلز لحدة صوته، متابعًا: «فقط امنحها المساحة لتتنفس».

التقت عينا بيلامي عينَي ويلز: «أعتقد أنها لن تتنفس لفترة أطول إذا لم نكتشف كيف نساعدها».

عاد ويلز مرة أخرى لصندوق الإسعافات، عازمًا على أن يبقى هادئًا مهما كلفه الأمر. وعندما وقعت عيناه على قارورة سائل ساطع برتقالي اللون، كاد يقع على ركبتيه من الفرحة.

منذ عدة سنوات، ألقى مجموعة من العُلماء مُحاضرة حول بحثهم في إيدن هول. إذ كانوا يطورون ترياقًا شاملًا، نوعًا من الدواء الذي من شأنه أن يمنح الناس فرصة كبيرة للنجاة عندما يعودون مرة أخرى إلى الأرض. لكن لم يكن البشر فقط هم من

فقدوا حصانتهم الطبيعية، بل امتدت الطفرة على الأرجح إلى النباتات والحيوانات، الأمر الذي جعل العقاقير القديمة عديمة الجدوى.

عقدت المحاضرة منذ زمن بعيد، قبل أن يلتقي ويلز كلارك، وقبل أن . يجبر نائب المستشار والديها على أن يدرسا تأثير الإشعاع في البشر كونها موضوعات للاختبار. في ذلك الزمن، كان على ويلز أن يحضر المحاضرة لمجرد أن هذه مسؤوليّات تقع عليه بصفته ابن المستشار. لكنه لم يتخيل من قبل أن قدميه ستطآن الأرض، ناهيك باستخدام مثل هذا الترياق لإنقاذ الفتاة التي أحبَّها.

صرَّ ويلز على أسنانه وهو يدخل المحقن في قارورة الترياق، مستعدًّا لبثّه في الوريد الأزرق لذراع كلارك. تجمَّد عندما دق قلبه. ماذا لو أنه قد حقنها بترياق خطأ؟ وماذا لو أنه قد حقن دماءها بحقنة هواء مسممة ترسلها للموت حتفًا؟

قال بيلامي: «أعطني إياها، سأحقنها أنا».

فرد ويلز بحزم: «لا».

ورغم أنه لم يكن يحب الاعتراف بهذا، فإن فكرة إنقاذ بيلامي لكلارك كانت تمثل عبئًا لا يتحمله. لقد كان خطؤه أنها أرسلت إلى الأرض في المقام الأول، لكنه لن يسمح لنفسه أن يتحمل خطأ موتها أبدًا.

وفي حركة واحدة، وضع المحقن في جلد كلارك وضغط على مؤخرته، مشاهدًا الترياق وهو يفرغ في جسدها.

همس: «كلارك».

ثمَّ ضغط على يدها قائلًا: «هل تسمعينني؟».

وشبك أصابعه في أصابعها ثم أغلق عينيه: «أرجوك ابقي معي».

وجلس على هذا الحال، يمسك يدها في يده للحظات من الصمت.



أصوات أنفاس بيلامي خلفه وهو يقول: «فلنحمد الرب».

نظر ويلز إلى عيني كلارك المفتوحتين، فزفر وتمايل بخفة وارتياح. سألها ويلز غير عابئ بوهن صوته: «هل أنتِ بخير؟».

سمع فتحت عينيها بقدر ما استطاعت. واستعد ويلز للحظة التي تتذكر فيها كل ما حدث، ولتعابير وجهها التي تتقلّص من الاشمئزاز وهي تحكي. لكنَّها أغلقت عينيها ثانية، وندت عن شفتيها ابتسامة صغيرة.

همهمت: «لقد وجدتُ...».

سألها ويلز وهو يضغط على يدها: «ماذا وجدتِ؟».

- لم يكن لدي...

لكن حديثها انقطع وغطَّت في النوم مرة أخرى. وقف ويلز، والتقط بطانيّة من إحدى الفرشات ووضعها بلطف على كلارك. من خلفه، كان بيلامي لا يزال واقفًا بجسم متيبّس وهو ينظر إلى كلارك، الفتاة التي رغم صلابتها الهائلة، دائمًا ما تبدو أصغر، وأكثر هشاشة وهي نائمة.

تنحنح ويلز ومد يده لبيلامي: «أشكرك لأنك أعدتها إلى هنا».

أومأ بيلامي ببطء، وهو لم يفق بعد من أثر الصدمة: «كنت قلقًا للغاية، لقد اعتقدتُ...».

ثم أجرى يده في خصلات شعره، وانزلق إلى الأرض وجلس مسندًا ظهره إلى الحائط مقابل فرشة كلارك.

أثارت هذه الحركة غيرة ويلز، غير أنَّه وجد نفسه غير قادر على قول أي شيء. بل كان ممتنًّا لبيلامي لأنه أعاد كلارك إلى المخيم، لكن كان من المؤلم بالنسبة إليه أن يفكر فيما كانا يفعلانه معًا في اليومين الماضيَين.

زفر ويلز وجلس على الأرض: «أعتقد أن ذلك يعني أنك لم تجد أوكتافيا».

من دون أن يرفع عينيه، وبصوت بدا هادئًا هدوءًا غريبًا: «لا، لقد وجدنا آثار قدميها، لكن النظر إلى آثار قدميها لا يشي بأنها كانت تركض، بل تُسحب».

- تُسحب؟

كرر ويلز الكلمة فيما كانت قطع الأحجية تتجمَّع من المعلومات التي وصلته حتى الآن، مُشكِّلة صورة مرتبكة.

- لا أصدق ذلك، هل خطفوها؟

أمامه رفع بيلامي رأسه: «خطفوها؟ من الذين خطفوها؟».

روى له ويلز كل ما حدث منذ أن غادر هو وكلارك المخيم، الهجوم المُفاجئ، وموت آشر، والحقيقة التي لا يمكن إنكارها بأن هناك بشرًا غيرهم على الأرض.

عندما تحدث بيلامي أخيرًا، كانت فكّه مشدودة من الغضب: «وهل تظن أن هؤلاء البشر خطفوا أوكتافيا خلال الحريق؟».

أومأ ويلز.

- من هؤلاء؟ وكيف نجوا من الجائحة؟ وما الذي يريدونه هؤلاء الأرضيون الملاعين من أختي؟

- لا أعرف، ربما يدافعون عن منطقتهم، وربما جاء خطفها كتحذير لنا، وعندما لم نُظهر أي علامة على الرحيل، قتلوا آشر حتَّى يؤكدوا على ذلك.

نظر إليه بيلامي نظرة طويلة: «وهكذا تظن أنهم سيعودون مرة أخرى؟». فتح ويلز فمه ليكرر نفس الإجابة الغامضة التي كان يجيب بها على الآخرين في محاولته لمنع انتشار الذعر بين المئة. لكن عندما نظر إلى عيني بيلامي، تلاشت الردود المعلّبة.



- نعم، سيعودون مرة أخرى.

ثم نقل لبيلامي رغبة جراهام المتنامية لبناء جيش، وهو أمر من شأنه أن يؤدي إلى زيادة عدد الضحايا بكل تأكيد.

قال بيلامي بتذمّر: «يبدو أنكم لم تقضوا أيامكم في نزهة هنا أيضًا».

ثم نظر إلى كلارك ليتفقدها، لكنها لم تقدم على أي حركة بعد، رغم أن وجهها هادئ وأنفاسها منتظمة.

- عليك أن تحصل على قسط من الراحة، وأنا سأرعى الجمال النائم هنا، وسأخبرك إذا حدث أي تغير.

في صوت بيلامي ما أزعج ويلز وجعله يقول: «أنا بخير، علي أن أظل مستيقظًا لأُتابع واجب الحراسة على أي حال، لكن أنت من يجب أن تذهب إلى السرير، يبدو عليك الإرهاق».

حدَّق الفتيان إلى عيني بعضهما بعضًا من دون أن يأتيا على كلمة، حتَّى رفع بيلامي ذراعيه أعلى رأسه ومصّ قدميه مصدرًا تنهيدة: «أعتقد أننا سنمكث هكذا لوقت طويل إذن».

جلسا في صمت، يتجنَّب كلٌّ منهما النظر إلى عينَي الآخر، يتحركان فقط لينظرا إلى كلارك في كل مرة تتقلب فيها، أو عندما تشخر وهي نائمة. عاد حفنة من رفاقه مُحاولين الدخول مرة أخرى إلى كابينة المشفى، غير أن ويلز أبعدهم. قد يكون من غير العادل أن ينام الناس في الخارج حينما تكون الأماكن متوفرة في الداخل، لكن ويلز لم يكن بوسعه أن يخاطر بأي شيء من شأنه أن يزعج كلارك. ليس بعد كل ما مرت به.

لم يكن ويلز على دراية كم مر من الوقت، لكن الضوء كان قد بدأ يتسرب من بين فراغات جذوع الأشجار التي شيَّد بها الكابينة، حين أيقظه من غفوته فجأة صوت ارتطام عال، قفز على قدميه فورًا. ثم استيقظ بيلامي سائلًا: «ما الذي يحدث؟».

ومن دون انتظار الإجابة، هرع ويلز للخارج. كانت الساحة لا تزال هادئة وساكنة. والرفاق الذين طردهم من كابينة المشفى أمس انضمُّوا إلى الآخرين حول موقد النار. وبدا أن الجميع لا يزال نائمًا.

كان ويلز عائدًا عندما لمح بعينيه حركة بالقرب من صف الأشجار. شخص يغادر مسرعًا خلف شجرة ويركض إلى عمق الغابة، جسم قصير ونحيف يرتدي رداءً أسود.

ومن دون تفكير، هرع ويلز عبر صف الأشجار، راكضًا بقدميه على الأرض الوعرة، مُتشابكة الجذور. اقترب من ذي الرداء الأسود في محاولة منه لعرقلته. تألم عندما نكزه بضربة في المعدة، لكنَّها ضربة لم تمنع ويلز من القفز على الغريب وإسقاطه على الأرض المبللة. لقد قبض الآن على واحد منهم، الأرضيين.

تسارع ضخ دماء ويلز بسرعة عبر أوردته، واستغرق الأمر منهُ لحظة لينظر إلى الشخص الذي كان يقيد يديه نظرة صافية، صاحب العينين الخضراوين الذي ينظر إلى ويلز بغضب عارم. لقد كانت فتاة.



الفصل الخامس

بيلامي

لم يهتم بيلامي بما إذا كانت الأرضية فتاة. كل ما كان يهتم به أنها جاسوسة، وأنها عدوتهم، وواحدة ممن قتلوا آشر وخطفوا أخته.

تنضح عيناها بالخوف، فيما كان شعرها يتطاير على وجهها وهي تتقلب على الأرض، محاولة أن تفك أسرها. لكن بيلامي، الذي كان راكعا بجانب ويلز، كان يمسك يدها بإحكام. وعلى كل حال، لن يسمحا لها بالهرب قبل أن تخبرهما عن مكان أوكتافيا.

ساعد ويلز على إنهاض الفتاة على قدميها فجذبها بعنف. صرخ:«أين هي؟».

كان وجهه قريبًا من وجهها لدرجة أن أنفاسه كانت تطير خصلات شعرها.

- أين أخذتم أختي؟

جفلت الفتاة لكنها لم تقل شيئًا.

لوى بيلامي ذراعها خلف ظهرها، كما اعتاد أن يعاقب الأولاد في مركز الرعاية عندما كان يضبطهم يضايقون أوكتافيا.

- من الأفضل أن تُخبريني فورًا، أو أنكِ ستتمنّين لو أنكِ لم تخرجي من الكهف الذي جئتِ منه.



قال ويلز بحزم: «بيلامي، اهدأ، نحن لا نعرف أي شيء بعد، قد لا يكون لها علاقة بـ...».

قاطعه بيلامي: «بالطبع لا تعرف».

ثم سحب الفتاة من شعرها حتى ألصق وجهه بوجهها: «من الأفضل ءن تخبريني الآن سريعًا وإلا لن يعجبك ما سيحدث».

صرخ ويلز: «كُف عن هذا، كل ما نعلمه أنها لا تتحدث الإنجليزية، وقبل أن نقدم على أي شيء، علينا أن...».

قوطع ويلز مرة أخرى، لكن هذه المرة بسبب وابل من الصراخ ووقع خطوات باقي المجموعة، التي سمعت أصوات الضجيج، فجاءت لتتحقق.

قال جراهام وهو يشق طريقه إلى المقدمة، بصوت يشوبه بعض التقدير لمن قبض عليها: «لقد قبضتما على واحدة».

قالت فتاة ولدانية وهي مرتعدة: «أهي من الأرض؟».

وقال آخر: «أهي قادرة على التحدث؟».

فيما قال صبي آركادي طويل القامة، يرفع قامته كي ينظر نظرة أفضل: «هي متحولة على الأرجح، وقد تلتقطون منها التسمم الإشعاعي إذا لمستموها».

لم يكن بيلامي يهتم ما إذا كانت الفتاة تحمل مواد إشعاعيّة، أم أن مكوثها في الأرض قد زودها بأجنحة. كل ما كان يحمل بيلامي همّه هو في أي مكان يحتجزون أخته هي وأصدقاءها.

سألت فتاة وهي تنقل رمحها من يد لأخرى: «ما الذي سنفعله بها؟».



قال جراهام كما لو أنه شيء بديهي للغاية: «نقتلها، ثم نضع رأسها على رمح حتى يعرف الآخرون كيف نتعامل مع الجماعات التي تهددنا».

تنهد بيلامي: «ليس قبل أن نحظى أنا وهي بمحادثة قصيرة».

تقلصت عينا الفتاة بينما بيلامي يتقدم نحوها، ورفعت ركبتها في محاولة لنكزه، لكنه تنحى جانبًا، أمره ويلز فيما كان يعاني ليحكم قبضته عليها: «بيلامي، كف عن هذا».

سخر بيلامي: «أتريد أن تحظى معها ببعض المرح أولاً؟ أنا لا أفهم ذوقك في النساء أيها المستشار الصغير، لكني أعتقد أن لكل منا احتياجاته».

تجاهل ويلز رفيقه، واستدار ليطلب حبلًا من صبي ولداني.

- سنقيدها ونحتجزها هنا في كابينة المشفى حتى نعرف ما الذي يمكن أن نفعله بها.

نظر بيلامي إلى ويلز بينما كان الغضب يتصاعد داخل صدره. وفكر أن ذلك لن يكون كافيًا. فكلما طال أمدّ احتفاظهم بالفتاة، زاد الخطر على حياة أوكتافيا. قال بيلامي بغضب، متجرئًا على ويلز في محاولة لاستثارة غضبه، كما لو أن بإمكانه اتخاذ القرار: «عليها أن تخبرنا عن مكان أختي».

لم يكن بيلامي مهتمًا متى ولى الآخرون ويلز قائدًا عليهم، وفضلوه على جراهام. لكن ذلك لا يعني أن ويلز خلص إلى قرار صائب بشأن تلك الفتاة، وهي الرابط الوحيد بينهم وبين أخت بيلامي.

جاء الصبي الولداني راكضًا وفي يده حبل. أخذه ويلز وقيد يدي الفتاة خلف ظهرها، ثم قيَّد قدميها ببراعة بحيث تستطيع أخذ خطوات صغيرة ومتخبّطة إذا سارت. لكن حركات ويلز الخبيرة والسلسة ذكرت بيلامي أن رفيقه لم يكن صبيًّا فينيكسيًّا مدللًا قبل اعتقاله، بل كان يتدرب كحارس، في الواقع، كان يتدرب تدريبات الضباط.

صاح ويلز: «افسحوا الطريق».



كان يقتاد سجينته صوب كابينة المشفى. انزلق شعرها الطويل الأسود عن وجهها، فكان بإمكان بيلامي أن يرى وجهها بوضوح للمرة الأولى. كانت شابة، على الأرجح في عمر أوكتافيا، بعينين لوزيتين خضراوين. لم يكن الفرو الذي اكتست به أعلى ظهرها أغرب ما فيها. لكن الأغرب ما لاحظه بيلامي في بشرتها. إذ كانت بشرة المستوطنين على درجة عالية من التنوع، لكن بشرتهم خرقت عندما نزلوا إلى الأرض قبل أن تلح عليهم كلارك على ضرورة تقليل فترة تعرضهم للشمس. غير أن بشرة الأسيرة لها رونق غريب، ويتوزع على وجنتيها نمش قليل. فعلى عكسهم، ترعرعت الفتاة في ضوء الشمس.

استحال غضبه إلى داء حينما بدأ يفكر في كيفية تعامل قومها مع أوكتافيا. هل يقيدونها؟ أو يحتجزونها في كهف في مكان ما؟ هي تكره الأماكن الصغيرة. هل هي مذعورة؟ وهل تبكي من أجل أن تعود؟ في تلك اللحظة، لو أن الأمر بيده، لأخذ الفأس وشق يده إذا كان هذا سيعيد أخته مرة أخرى.

تبع بيلامي ويلز والأرضيّة إلى كابينة المشفى، التي كانت فارغة الآن باستثناء كلارك النائمة. راقب ويلز وهو يقتاد الفتاة إلى الفرشة الأخرى، ويتفقد ما إذا كانت يدها مقيدة بإحكام خلف ظهرها، ثم أخذ خطوة للوراء، وراح يعاينها بتعبير لا بد أنه تمرن عليه خلال فترة تدريبه.

- ما اسمك؟

حدَّقت إليه وحاولت أن تقف على قدميها، لكن القيد الذي قيدوا به قدميها أفقدها توازنها. وكان سهلا على ويلز أن يدفعها مرة أخرى إلى فراشها.

- هل تفهمين ما أقوله؟

وراح خاطر مربك يتشكل في دماغ بيلامي في فورة غضبه: «ماذا لو أنها لا تتحدَّث الإنجليزية؟ من الوارد أنهم هبطوا في أمريكا الشماليّة، لكن ذلك لا أن الأرضيين يتحدثون اللغة نفسها التي تحدثوا بها قبل ثلاثمئة عام».



يعني جلس ويلز القرفصاء حتَّى تكون عيناه في مستوى عينيها.

- نحن لا نعلم إن كان هناك بشر لا يزالون يعيشون هنا. لكن إذا صدر عنا ما أغضبكم، فنحن نعتذر عنه، لكن...

- نعتذر؟ قد اختطفوا أختي وقتلوا آشر. لسنا مُدانين حتى نعتذر عن شيء.

صوَّب ويلز إليه نظرة تحذير، ثم استدار مرة أخرى إلى الأرضية: «علينا أن نعرف أين أخذتم صديقتنا، وأنت سوف تمكثين هنا حتى تمدينا ببعض المعلومات المفيدة».

التفتت لويلز، لكن بدلا من الإجابة، ضغطت على شفتيها معًا وصوَّبت إليه نظرة غاضبة. نهض ويلز، وحك رأسه في إحباط، ثم استعد للمغادرة.

قال بيلامي وهو ممزّق بين الغضب والحيرة: «أهذا كل شيء؟ أهذه فكرتك عن استجواب المدانين؟ أتعرف ما الذي كان يفعله أبوك وأصدقاء المستشار عندما كانوا يريدون معلومة من شخص ما؟».

قال ويلز برقة مثيرة للغضب: «وهذا ما لن نفعله هنا».

كأن نصف من في المستوطنة لم يخضعوا لاستجواب من قبل حراس أبيه في وقت من الأوقات، سار حتَّى فرشة كلارك، وعدل بطانيتها، ثم توجَّه إلى الباب.

سأله بيلامي مصدوما: «هل ستتركها هنا؟».

وراحت عيناه تتنقلان بين ويلز وبين الفتاة.

- سننظم دوريات لحراسة الكابينة على مدار الساعة، لا تقلق، لن تستطيع الهرب.

أخذ بيلامي خطوة للأمام: «نعم، أنا متأكّد أنها لن تستطيع الهرب لأني سأمكث هنا معها. معهما».



وأشار برأسه إلى فرشة كلارك النائمة، وأردف: «أتعتقد أنها فكرة صائبة أن نترك كلارك نائمة مع قاتلة؟».

وجَّه ويلز نظرة إلى بيلامي: «إنَّها مُقيدة، لن تستطيع أن تؤذي أي شخص».

كان الازدراء في صوت ويلز كافيا لأن يغلي دم بيلامي.

- نحن لا نعرف أي شيء عن هؤلاء القوم، ولا أي نوع من أنواع التحول التي خضعوا لها. أتتذكر الغزالة ذات الرأسين؟

هز ويلز رأسه: «إنها إنسانة يا بيلامي وليست شكلًا من أشكال الوحوش».

شخر بيلامي واستدار لينظر إلى الفتاة. كانت تحدق إليهم، بعينين مفتوحتين، تتنقلان بين ويلز وبيلامي.

قال بيلامي بنبرة هادئة: «حسنًا، سأشعر بمزيد من الراحة إذا راقبتها بنفسي».

كان يعلم أن ويلز لن يسمح له بالبقاء هنا إذا شعر أنه سيقدم على أذيتها.

نظر ويلز نظرة أخيرة إلى كلارك قبل أن يلتفت مرة أخرى إلى بيلامي: «حسنًا. لكن اتركها وحدها الآن. سأعود بعد فترة وجيزة».

عندما غادر ويلز، سار بيلامي إلى الجهة الأخرى من الكابينة وهبط جالسًا بجانب كلارك. حينها غيرت الأرضية وضعيتها على فرشتها بحيث تواجه الحائط المُقابل له، لكن بيلامي كان يعرف من التوتر البادي على كتفيها أنها واعية بكل حركة.

جيد. اعتقد بيلامي أنه من الأفضل أن تظل قلقة حيال ما سيحدث لها بعد ذلك. كلما ازداد خوفها، ازدادت احتمالية أن تسرّ إليه بمكان أوكتافيا. فبيلامي عازم على إنقاذ أخته مهما تعرض له من مصاعب. فقد قضى الخمسة عشر عامًا الماضية مخاطرًا بحياته من أجل سلامتها، وليس في نيته أن يقلع عن ذلك الآن.



كان بيلامي يحب يوم إحياء الذكرى، لكن ليس لاستمتاعه بالإنصات لمُعلّمي مركز الرعاية وهم يسهبون في شرح مدى كونهم محظوظين لأن أسلافهم استطاعوا أن يهربوا من الأرض. لو أن الجد الثالث أو الرابع لبيلامي عرف أن حفيده يستمتع بميزة تنظيف حمَّامات صفيحية عائمة مملوءة بالهواء المكرر في الفضاء، كان على الأرجح سيقول: أتعلمون، أنا بخير حال، اتركوني على الأرض.. لكن بيلامي كان يتطلع إلى يوم إحياء الذكري بسبب خزائنه التي قاربت على النفاد، وهو يوم مثالي للنبش عن المؤن.

انزلق بيلامي خلف مولد خرب حشر بإهمال مقابل الحائط. مثل هذه البؤر يمكن أن تحفظ أغراضًا ثمينة لعقود، ولحسن حظه، وجد هناك مطواة حقيقيّة داخل صندوق خشبي صغير. ابتسم بيلامي حين اقتربت أصابعه من شيء ناعم، وعندما سحبه وجد قطعة قماش زهرية اللون. أهذا شال؟ نفضه متجاهلًا ذرات التراب. كان ما وجده بطانية صغيرة مقلمة بالزهري الداكن. فضها بيلامي بعناية ودفعها داخل سترته.

بينما يشق طريقة عائدًا إلى مركز الرعاية، خطر في باله أن يمنح لقيته لأوكتافيا. فقد انتقلت حديثًا من غرفة صغيرة حيث كانت تنام مع صبايا يبلغن من العمر خمسًا وست سنوات إلى مسكن آخر مع صبايا أكبر من عمرها. ورغم تفضيلها لعب دور الفتاة الكبيرة، فإن المسكن كان لا يزال مخيفًا بالنسبة إليها، ويمكن لبطّانية جميلة مثل هذه أن تجعلها تشعر بالأمان.

لكنَّه عدّل من وضع البطانية تحت ذراعه وشعر بملمس الصوف الناعم تحت جلده، كان يدرك تمامًا أن بطانية كهذه يمكن أن تكون من الأشياء الثمينة. فالحياة في مركز الرعاية قاسية للغاية. ورغم أنه من المفترض أن يكون الطعام قد وزع بالفعل، لكن الأيتام في مركز الرعاية فرضوا نظامًا صارمًا أساسه الرشوة والترهيب. ودون مُساعدة بيلامي، لن تحصل أوكتافيا على ما يكفي من الطعام أبدًا. وبيلامي كان نبَّاشًا محترفًا، فضلًا عن أنه كان قادرًا على مُبادلة كل ما يحتكم عليه مُقابل السعر المناسب، أو رشوة عمال المطبخ مقابل المزيد من الطعام. وعلى مدار السنوات

الماضية، كان عليه أن يطمئن على أن أوكتافيا لديها ما يكفي من الطعام. على كل حال، لم تصل قط إلى مرحلة البربرية على الرغم من أن بريق الجوع تحت عينيها شائع للغاية في مركز الرعاية.

دلف إلى مدخل الخدم الذي نادرًا ما يُستخدم، ودفس بطانيته في مخبئها المُعتاد، كوة في الحائط من النادر ملاحظتها، سيعود لأخذها الليلة مرة أخرى لمبادلتها في السوق السوداء. كانت الممرات الضيقة معتمة ومهجورة، ما يعني أن الجميع لا يزال محشورًا في غرفة الاحتفالات للاحتفال بيوم إحياء الذكرى، وإدخال حقائق مضحكة في أدمغتهم حول التسمم الإشعاعي والجائحة.

استدار بيلامي عن الركن. وللمفاجأة، كان سمع ضجيجًا قادمًا من مسكن الفتيات، وضحكات خليعة لم تكن قادرة على إخفاء صوت البكاء. أسرع بيلامي، واندفع للداخل من دون استئذان. كانت الغرفة الكبيرة فارغة تقريبًا، إلا من بعض فتيات كبيرات متحلقات في دائرة، منشغلات في شيء ساهم في إغفالهن عن مجيئه.

شاهد بيلامي فتاة طويلة شقراء الشعر تمسك شيئا تعلقه في الهواء، ورفيقاتها يتضاحكن، بينما هناك أخرى تمد يدها في محاولة خائبة منها لجلبه. أوكتافيا. حتى في الضوء الخافت، استطاع بيلامي أن يلمح وجنتيها الدامعتين، وعينيها الكبيرتين من بين فجوات أجساد الفتيات اللاتي يعذبنها. سرقن شريطها الأحمر، الوشاح الذي كانت أوكتافيا ترتديه يوميًّا على شعرها الأسود الفاحم.

- أعيديه من فضلك.

كانت أوكتافيا تتوسل لها أن تعيد إليها وشاحها في صوت مرتعش فتألم قلب بيلامي.

قالت إحدى الفتيات الأخريات ساخرة: «لماذا؟ يجعلك ارتداؤه تبدين في مظهر الحمقاوات، أهذا ما تريدينه؟».

قالت فتاة ثالثة: «نعم، نحن نسدي لك معروفًا. لن يقول الناس الآن من هذه الفتاة ذات الوشاح القذر؟».



وقفت الفتاة الشقراء وهي تحمل الوشاح وتستعرضه في يدها: «لا أظن أنه وشاح ثمين. أراهن أنها جاءت به من القمامة أو شيء من هذا القبيل».

ضحكت رفيقتها: «أراهن أن هذا سبب رائحتها الكريهة التي تبدو مثل مكب النفايات».

قاطعها بيلامي: «وهل ستكون رائحتك كالجثة المتعفنة عندما يعثرون عليكِ في النهاية!».

تقدم بيلامي وخطف الوشاح من يد الفتاة الشقراء. دفعهن بعيدًا وانحنى بالقرب من أوكتافيا. اقترب منها ليمسح دموعها: «هل أنتِ بخير؟».

أومأت بشهقاتها المتعالية. أعطاها الوشاح، فأخذته سريعا بقبضتها الصغيرة كما لو أنه كائن حي يستطيع الهرب.

نهض بيلامي، واضعًا يده على كتف أخته، والتفت إلى الفتيات. وقال بصوت قوي: «إذا سمعت كلمة واحدة بشأن مضايقتكن لها مرة أخرى، أعدكن بأنكن ستتمنّين الموت».

تبادلت فتاتان نظرات غاضبة، لكن الفتاة الشقراء رفعت حاجبيها وتكلفت الابتسام قائلة: «لم يكن من المُفترض أن تأتي إلى هنا. فهي تسحب الأكسجين لأنها ولدت بسبب أمك الغبية العاهرة».

قالت جملتها الأخيرة كما لو أنها تلفظ شيئًا مقزِّزًا: «وأختك ستلقى مصير أمها نفسه».

استجابت عضلات بيلامي قبل عقله لكلمات الفتاة الشقراء. وقبل أن يدرك ما الذي يحدث، حملها من عنقها ودفعها إلى الحائط.



- إذا فكرتِ حتَّى في التحدث إلى أختي مرة أخرى، إذا نظرت إليها نظرة غير لائقة، سأقتلكِ.

وأحكم قبضته على عنقها، متغلِّبًا على رغبة مفاجئة ومُخيفة في أن يُغلق فمها إلى الأبد. من بعيد، سمع شخصًا يصيح باسمه فحرر الفتاة وابتعد للخلف عندما حاوطته أذرع الحراس وجذبته بعيدًا.

لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يذهب فيها بيلامي إلى مكتب المديرة، على الرغم من أنَّه لم يصرخ قط بالبذاءات في فترة بقائه على السفينة. أجلسه الحارس الذي جاء به من مسكن الفتيات على كرسي وأخبره أن ينتظر المديرة هنا.

وقال وهو يخرج من الغرفة، مشيرًا إلى الكرسي المقابل لبيلامي حيث تجلس إحدى الفتيات: «وابتعد عن تلك الفتاة».

عبس بيلامي عندما وضع الحارس إصبعه على الماسح الضوئي، منتظرًا فتح الباب، وخرج من الغرفة. هل يعد خنق تلك الحثالة التي كانت تتنمر على أخته خرقًا للقواعد؟ لقد حذر بالفعل من قبل عدة مرات، وكانت مسألة وقت قبل أن يكتب المدير تقريرًا ينزل به أقصى عقوبة. لكنه لن يقضي سوى أيام كخارج عن القانون، ثم من سيعتني بأوكتافيا إذا دخل السجن؟ من الأفضل أن يمكث هنا ويحاول التعامل مع الوضع.

نظر إلى الفتاة، فوجدها في مثل عمره، لكنَّه لم يرها من قبل، من الضروري أنها من القادمين الجدد. كانت تجلس وقدماها أسفلها فيما كانت تعبث في أزرار سترتها بتوتر. شعرها الأشقر نظيف ولامع، أحس بيلامي بشعور مفاجئ من الشفقة عليها وهو يتخيلها ترتدي ملابسها في غرفتها للمرة الأخيرة، وتصفف شعرها بعناية استعدادًا للرحلة إلى هذا الجحيم.

سألته الفتاة مقاطعة أفكاره: «إذن فيمَ أذنبت؟».



كان صوتها خشنًا، كما لو أن فترة طويلة من الوقت قد مرت عليها دون أن تتحدَّث، أو أنها توقفت عن البكاء منذ فترة وجيزة. تساءل بيلامي ما الذي جاء بها إلى هنا، هل مات أبواها أم أنها ارتكبت جريمة استحقت بها عقوبة الإعدام.

لم يكن ثمّة فائدة من الكذب، قال في نبرة مستهترة يستخدمها عندما يناقش أفعاله الطائشة بشكل عام: «لقد تعديت على فتاة».

جفلت الفتاة وجحظت عيناها، وفجأة شعر أن عليه أن يفسر كلامه: «كانت تؤذي أختي».

اتَّسعت عيناها من المفاجأة: «أختك».

على عكس الفتاة الشقراء، كانت كلماتها تبدو مثل شيء نادر ونفيس، ما جعل بيلامي يدرك أنَّها فرد جديد على المكان بالتأكيد، فالجميع في مركز الرعاية يعرف قصته هو وأخته. طبقا للقوانين السكانية الصارمة، لم يكن يسمح بوجود الأشقاء معا لجيل واحد على الأقل.

- حسنًا، واقعيًّا هي أختي نصف الشقيقة، لكننا العائلة الوحيدة في المكان. اسمها أوكتافيا.

ابتسم مثل كل مرة ينطق فيها اسمها.

- هل وصلتِ إلى هنا لتوك؟

أومأت، وقالت: «أنا ليلي».

قفزت الكلمات من فمه قبل أن يدرك مدى سخافتها: «يا له من اسم جميل، أنا بيلامي».

حاول أن يفكر في كلمات يدير بها دفّة الحديث، ليثبت أنه لم يكن محض غبي، لكنه سمع صوت الباب وهو ينزلق مفتوحًا، ودخلت المديرة إلى الغرفة. قالت المديرة موجهة نظرة استنكار صوب بيلامي: «ليس أنت مجددًا».

ما قبل أن تلتفت إلى ليلي وتسألها في نبرة لم يسمعها بيلامي من قبل تصدر من المديرة: «ليلي مارش؟ سررت بلقائك، لنذهب إلى المكتب لأطلعك على كيفية سير الأمور هُنا».

عندما وقفت ليلي ببطء على قدميها، التفتت المديرة إلى بيلامي: «سأضعك تحت الملاحظة لمدة شهر، وإذا خرجت عن القانون مرة أخرى، لن يكون لك مكان هنا للأبد».

سادت على وجه بيلامي علامات تدل على الراحة والارتباك، لكنه على كل حال، لن يُحاول تملّق المديرة حتَّى تغير رأيها. قفز من على الكرسي وهرع إلى الباب. نظر إلى الخلف بينما ينتظر انفتاح الباب. وللمفاجأة، كانت ليلي تنتظر مبتسمة.

الفصل السادس

كلارك

افعل ما شئت، لكن لا تدخل المعمل.

وقع على سمع كلارك صوت بكاء معذب، حتَّى لم يعد باستطاعتها معرفة ما إذا كان الصوت قادمًا من الجهة الأخرى من الحائط، أم من تردد أصوات مبهمة في أعماق عقلها.

تستخدم التجارب مستويات خطرة من الإشعاع. ولا نريدك أن تُصابي.

لم يكن المعمل كما تخيلته في شيء. بل كان مجرد مستشفى وليس ورشة عمل. مستشفى مملوء بالأسرة، وعلى كل سرير يوجد رضيع.

مهمَّتنا الأساسية تحديد الوقت الذي تكون الأرض فيه قادرة على دعم الحياة مجددًا. الجميع يعتمد علينا.

تطلعت كلارك إلى الغرفة بالكامل، باحثة عن صديقتها ليلي. كانت وحيدة، وخائفة. كل من كان حولها يحتضر، أجسادهم الصغيرة تذبل ببطء حتى صارت جلدًا على عظم.



لم نرد قط أن نتوصل إلى الحل بهذا الشكل.

لكن أين ليلي الآن؟ كانت كلارك مُعتادة على زيارتها في غالب الأحيان حينما لا يكون والداها في المعمل، كانت تحضر لصديقتها هدايا، وكتبًا تستعيرها من المكتبة، وحلوى تسرقها من مخزن المدرسة. وفي أسعد أيام ليلي، كان صوت ضحكاتهما يطغى على صوت أجهزة معدل ضربات القلب.

لم تكن فكرتنا. نائب المُستشار هو من أجبرنا على إجراء التجارب على أطفالنا. وكانوا سيقتلوننا إذا رفضنا ذلك.

انتقلت كلارك من سرير إلى آخر، كل منها يحمل طفلاً مريضًا. لكن لم يكن أي منها يحمل أعز صديقاتها. وبعد ذلك، فجأة، تذكرت أن ليلي ليست على قيد الحياة. لأنها كانت قد قتلتها.

باستطاعتهم قتلك أيضًا.

توسَّلت إليها ليلي أن تنهي معاناتها. ورغم أن كلارك لم تكن تُريد ذلك، كانت على علم بأن حالتها لن تتحسَّن. فوافقت على مضض، وأعطت لصديقتها الحبوب المميتة التي أنهت معاناتها.

أخبرت كلارك رفيقتها بعينين دامعتين: «آسفة، آسفة، آسفة».

- لا بأس يا كلارك. ششششش، لا بأس، أنا بجانبك.

فتحت كلارك عينيها. كانت مستلقية على فرشتها، وذراعها ملفوفة بالضمادات.

- لماذا؟ ما الذي حدث؟



كان بيلامي يجلس بجانبها، بوجه متّسخ ومُنهك. لكنَّه كان يبتسم ابتسامة لم ترها كلارك من قبل، ابتسامة واسعة ومشرقة بغير تندر أو سخرية، ومشوبة بحميميّة مُفاجئة، كما لو أن ابتسامته تكشف عن بيلامي أكثر ممَّا عرفته عندما كانا يسبحان معا في ملابسهما الداخلية عند البحيرة.

- الشكر للرب أنكِ بخير. هل تذكرين الثعبان الذي لدغك في الغابة؟

أغلقت كلارك عينيها بينما كانت شظايا ذكرياتها تخترق دماغها. تذكرت حركة الثعبان على الأرض، والألم المُميت الذي سببته اللدغة. لكن حتَّى اللحظة، ظل الإحساس الوحيد الذي كانت تدركه تمام الإدراك هو دفء يد بيلامي على يدها.

- لقد حقناكِ بجرعة من المصل، لكنّي لم أكن على يقين ما إذا فعلنا ذلك في الوقت المناسب.

وقفت كلارك على قدميها، وانتبهت فجأة: «أحملتني كل تلك المسافة إلى المُخيم؟».

توردت وجنتاها من التفكير في أنها كانت غير واعية طوال هذه المدة على ذراعَي بيلامي.

- وهل توصلت إلى المصل وحدك؟

نظر بيلامي نظرة سريعة صوب الباب: «هذا كان يقع على عاتق ويلز».

كان وقع الاسم على صدر كلارك ثقيلًا. فبعدما منعها ويلز من الهرع إلى الخيمة المحترقة لإنقاذ صديقتها تاليا. هربت كلارك من المخيم بدافع من الحزن والغضب. لكن كل ما تشعر به الآن هو الأسى وهي تنظر حولها في كابينة المشفى. رحلت تاليا، لكن ليس بمقدورها أن تُلقي اللوم على ويلز لما حدث. لقد أنقذ حياتها مرتين حتَّى الآن.



في الجهة الأخرى من الكابينة الضيقة، فتاة مكوَّمة على فرشتها. أسندت كلارك جسدها على مرفقيها لرؤية أفضل، لكن عندما لاحظ بيلامي اتجاه نظرتها، جلس على حافة فرشتها، كما لو أنه يحميها. صوب نظرة نحوها إلى الخلف: «أتريدين أن تعرفي قصتها؟».

وفي نبرة صوت حياديّة، حكى لكلارك عن الهجوم الذي راح آشر ضحيته، والفتاة الذي أخذها ويلز رهينة.

اعتدلت كلارك في جلستها: «ماذا، أتقول لي إن هذه الفتاة وُلدت على الأرض؟».

كان جزء منها يتوقع ذلك منذ حادثة البستان، لكن أن تستيقظ لتجد فتاة أرضية على بعد أمتار منها هو أمر صعب الاستيعاب بالنسبة إليها. تفجَّرت في خلايا عقل كلارك ملايين الأسئلة: كيف تجاوز قومها الجائحة؟ وكم عددهم بالضبط؟ وما المناطق التي يسكن فيها من نجوا من الجائحة؟ أم هي تلك المنطقة التي جاءت منها الفتاة فقط؟

همس بيلامي: «اخفضي صوتك».

ووضع يده على كتفها، وأشار إليها بلطف أن تنام على فرشتها مرة أخرى.

- أعتقد أنَّها نائمة، لأني كنت أريدها أن تبقى هنا لأطول فترة مُمكنة، من الغريب انفتاح أبواب جهنم هنا فجأة.

أفلتت كلارك يده ووقفت على قدميها. فالصدمة والحماسة التي انتفضت في عروقها جعلت جسدها كله يرتعش.

- هذا أمر مدهش، عليَّ أن أحدّثها.

سحبها بيلامي من يدها قبل أن تقدم على أي خطوة أخرى: «هذه ليست فكرة جيدة، فقد اختطف قومها أوكتافيا وقتلوا آشر، وقبضنا عليها وهي تتجسَّس علينا».



ثمَّ قال في سُخرية: «على الأرجح أنها تُحاول التوصل إلى قرار من التالي الذي يمكنها أن تأخذه».

حدقت كلارك إليه. لماذا يقدم على التكهن بدوافعها بدلًا من استجوابها؟

- أحاول أحدكم التحدث إليها؟

لم يكن هناك خطورة في المحاولة، لا سيما أن يديها وقدميها مُقيدة. نهضت كلارك على ركبتيها لرؤية أفضل. كانت الفتاة مكومة على جانب، بينما تدير ظهرها لبيلامي وكلارك. ولا يبدو أنها قد تحركت على الإطلاق.

أعاد بيلامي رفيقته مرة أخرى إلى فرشتها بدفعة صغيرة.

- أظن أن الفتاة تتحدث الإنجليزيّة، لم تقل أي شيء، لكن يبدو أنها تفهم ما نقوله. وبمُجرد ما نحصل منها على معلومات مفيدة، سأتوجه بحثاً عن أوكتافيا مباشرة.

كان صوته هادئًا، لكنَّه لم يستطع إخفاء نبرة القلق عندما ذكر اسم أخته، للحظة، فكرت كلارك في ترك الفتاة على فرشتها والعودة للغابة مرة أخرى حيث كان بيلامي يتتبع آثار أوكتافيا. شعرت بقليل من الندم عندما ترك بيلامي مهمة البحث عن أخته ليحملها كل تلك المسافة عائدًا إلى المخيم. قالت ببطء بينما كانت فكرة أخرى تتجمع في عقلها: «بيلامي، هل رأيت الشعار المرسوم في الحطام الذي وجدناه؟ الشعار هو «تي جي»».

كان كل طفل يعرف ما هو «تي جي»، تريليون جالاكتيك، وهي الشركة التي بنت سفينتهم.

- أعرف، لكن ذلك يمكن أن يعني أي شيء آخر.

قالت سريعًا وصوتها يملؤه الحماس: «هذا الحطام ليس من سفينتنا، ما يعني أن الحطام جزء من شيء آخر أرسلته المستوطنة.



ربما من طائرة مسيَّرة؟ أو ماذا إذا...؟».

وصمتت فجأة، متردِّدة في مشاركة شرارة الفكرة التي كانت تتجمَّع في مؤخرة دماغها. ثمَّ أنهت كلامها بشكل غير واضح: «أعتقد أنه من المهم أن نكتشف ما هذا».

ضغط بيلامي على يديها: «بمجرد أن نجد أوكتافيا، سنعود مرة أخرى لنتفقد هذا الحطام».

قالت بهدوء: «أشكرك على كل شيء، أعرف أنك فقدت الكثير من الوقت لأنك أعدتني إلى هنا».

قال بابتسامة: «نعم، حسنًا، لقد كان من العار فقد الطبيبة الوحيدة على الأرض، حتى لو قُبض عليكِ قبل أن تنهي تدريبك. هل يمكن أن تذكريني مرة أخرى بأعضاء الجسم التي يجب على تجنب إصابتها؟ أتفضلين تجنب إصابة المرفقين أم الكاحل؟».

سرَّ كلارك رؤيته في مزاج مرح، لكن ذلك لم يكن كافيًا للتخلص من الذنب الذي يتصاعد في صدرها. خفضت صوتها ونظرت مرة أخرى إلى الفتاة النائمة أمامها في كابينة المشفى.

- الأمر وما فيه.. إذا أردت أن ترحل مرة أخرى، عليك أن تذهب. أشعر بالغم لأنك ضيعت يومًا كاملًا بسببي بالفعل.

قال وهو يبتسم ابتسامة ناعمة: «لا بأس».

نظر إليها شارد الذهن، ثمَّ بدأ بلف خصلة من خصلات شعرها حول إصبعه: «أعتقد أن أفضل ما يمكن أن أفعله الآن معرفة ما يمكن أن تقوله الفتاة قبل أن أعود مرة أخرى لتتبع أثرها».

أومأت كلارك، مستريحة لأن بيلامي لم يكن مُستاء منها، ومستريحة لفكرة أنه لا يخطط للرحيل فورًا.

- أوكتافيا محظوظة لأنك أخوها.

ثم أمالت رأسها صوب بيلامي وتفحَّصته بابتسامة: «أتعرف، إنني أتذكر عندما سمعت أن هناك أشقاء في والدن».

رفع بيلامي حاجبيه: «شمعتي تسبقني، أعتقد أني لا يجب أن أتعجب. كيف أمكنكِ أن لا تتحدثي عن شخص بمثل حُسني؟».

ضربته كلارك على كتفه، ثم وضعت يدها في ضلوعه تدغدغه. رسم على وجهه تكشيرة مبالغًا بها، ثم ابتسم.

تابعت كلارك حديثها: «هذا صحيح، صديقتي ليلي كانت تتذكرك من مركز الرعاية. أعتقد أنها كانت تصف حالتك بهذه الكلمات بالضبط: «ثمّة فتاة لها أخ أكبر منها. أعتقد من الجيد أنها هنا مع شقيقها، لكنَّه جذاب للغاية، ليس لأحد القدرة على النظر إليه مباشرة، النظر إليه باهر، كما لو أنكُ تنظرين إلى الشمس»».

تحوَّل وجه بيلامي إلى الشحوب بدلًا من الابتسام: «ليلي؟ لا أظن أنها ليلي مارش، أليس كذلك؟».

ضاق صدر كلارك عندما أدركت ما انزلق من لسانها للتو. بالطبع كان بيلامي وليلي يعرفان بعضهما بعضًا. فلم يكن هُناك الكثير من الأطفال في مركز الرعاية حينئذٍ، أليس كذلك؟ كانت ليلي نادرًا ما تتبرَّع بالكشف عن معلومات عن حياتها في والدن، ولم تسألها كلارك عن ذلك. لم يكن ذلك قرارًا متعمّدًا، لكن كلارك أدركت الآن أنه من اليسير أن تفكر في ليلي كونها فتاة بلا ماضٍ، ومن دون الناس الذين كانوا يهتمّون لأمرها فيما مضى، كان بيلامي يحدق إليها، باحثًا في عينيها عن المعلومات التي كانت كلارك تستميت في محاولة إخفائها.

- كيف عرفتِ ليلي؟

قالت كلارك غير عابئة بكم الأكاذيب التي نطقت بها في جملة قصيرة: «التقيتها في المستشفى خلال فترة تدريبي، أكنتما صديقين؟».

تمنت كلارك أن يهز كتفيه، ويقول ما يفيد أنه كان يعرفها معرفة غير وثيقة لأنها كانت تعيش في مركز الرعاية.

- لقد كنا...

أمسك بيلامي عن الكلام.

- كنا قد تجاوزنا علاقة الصداقة، فليلي هي الفتاة الوحيدة التي كنت أهتم لأمرها، حتَّى جئتِ.

نظرت إليه كلارك في صدمة: «ماذا؟».

ليلي، صديقتها، التي كانت موضوع اختبار للمصل الذي اكتشفه والداها. كانت تعرف بيلامي...

- هل أنتِ بخير؟ أيزعجكِ أني كنت أهتم لأمر فتاة عندما كنا على السفينة؟

- لا، بالطبع لا، أنا فقط متعبة قليلًا.

تسارعت دقات قلب كلارك، وتدحرجت إلى الجانب الآخر قبل أن تلتقي عيناها عينَي بيلامي. فمن الأفضل أن يظن أنَّها غيورة ومتملكة على أن يحدث أي شيء يقرِّبه من معرفة الحقيقة.

قال وهو غير مُقتنع تمامًا: «حسنًا، لأنَّ ذلك حدث منذ فترة طويلة».

لم تلتفت إليه، فحدثُ موت ليلي يبدو لبيلامي منذ فترة طويلة، لكن كلارك تحيا آخر لحظات صديقتها كل يوم. ولا تزال ترى وجه ليلي كلما تغلق عينيها محاولة الخلود للنوم. ولا تزال تسمع صوتها يتردد في رأسها. لا يزال موت . ليلي يتردد صداه في رأسها، لأنها هي من قتلتها.

الفصل السابع

جلاس

غادر جلاس ولوك شقته للمرة الأخيرة صامتين. أمسكت جلاس يد لوك بينما يدلفان إلى الرّدهة الفارغة المُخيفة، وهي مرعوبة من السكون الذي يلفّ المكان. يبدو أنَّ الفوضى التي عمَّت السفينة في الأيام الماضية قد هدأت، وحلّ محلها مسحة ثقيلة من اليأس. أضواء السقف القاتمة تومض متبرمة، كطفل متعب يجاهد لإبقاء عينيه مفتوحتين.

سلكا السلالم الرئيسية بهدوء، حتَّى وصلا أخيرًا إلى الطوابق السفلى للسفينة، التي تحتوي على أنظمة الكهرباء والسباكة. لم يهمسا بكلمة حتّى أوقفت جلاس رفيقها أمام فتحة تهوية، ثم تمدَّدت لإزالة الحاجز الحديدي.

- اسمحي لي من فضلكِ.

سحب لوك الحاجز الحديدي من الحائط ووضعه على الأرض برقة مبالغ فيها.

- وكنت أظن أنِّي قضيت العديد من الساعات مهمومًا بالمكان الذي يمكن أن أدعوك فيه لموعد، لكن اتّضح أنه يمكننا الخروج في موعد رومانسي عند نظام التهوية.

قالت جلاس: «هذا كله بسببك».



وتكلفت الابتسام على الرغم من الوخز الخفيف للدموع التي شعرت أنها تتجمع في عينيها.

عبث لوك بشعرها وقال: «ماذا، أليس المكان من مقامك؟».

وقفت جلاس على قدميها ومنحته قبلة: «أنت مغامر».

جذبها لوك لأحضانه، وتمتم: «أحبكِ».

ثمَّ رفعها إلى داخل فتحة التهوية، وانتظرها حتّى قفزت للداخل، وأعاد الحاجز الحديدي إلى مكانه مرة أخرى. توقفت جلاس للحظة لتمحو الدموع التي تجمعت على مقلتيها، وهمست، وهي تعلم أن لوك لن يسمعها: «وأنا أحبك أيضًا».

صرَّت جلاس على أسنانها، وبدأت الزحف في المنحدر المعدني الضيق. وهي تشقّ طريقها إلى الأمام، على وقع الأضواء الباهتة، حاولت جلاس أن تتخيَّل نظرة أمها عندما تفتح لها الباب. هل سيجتاحها إحساس بالراحة؟ أم أن جزءًا منها سيظل غاضبًا بسبب مخاطرة جلاس بالتسلّل إلى فينيكس؟ مجرد التفكير في الألم الذي سببته لأمها طوال العام الماضي آلم قلبها. وإذا كانت جلاس ستلاقي نهايتها، عليها أن تستغل فرصة واحدة فقط للاعتذار، فرصة أخيرة لتخبر أمها كم تحبها.

جفلت جلاس عندما ارتطم كاحلها بالحائط المعدني. إذا أخبرها أحدهم منذ عامين فقط أنها في يوم من الأيام ستزحف عبر الفتحة الهوائيّة التي تربط عبر بين والدن وفينيكس، لسخرت منه. فالأيام كانت مختلفة حينئذٍ، وطبيعتها كانت مختلفة. ابتسمت في الظلام. فحياتها الآن معرضة للخطر، لكن إنقاذ نفسها أمر يستحق المخاطرة.

«...عندما اندلعت الجائحة، كان هناك ١٩٥ أمة ذات سيادة، على الرغم من أن الأغلبية العُظمى منها قد انضمت إلى أحد التحالفات الأربعة الأقوى على مستوى

العالم».

تثاءبت جلاس، واضعةً يدها على فمها بفتور. أخفضت المُعلمة الضوء حتّى يسهل على الطلاب رؤية الهولوجرام، فلم يكن أمامها إلا فرصة ضئيلة لملاحظة عدم انتباه جلاس.

«في الأسابيع الستة الأولى للحرب العالمية الثالثة، مات نحو مليوني إنسان...».

همست جلاس وهي تميل على الطاولة: «كورا، كورا».

رفعت كورا رأسها ونظرت إلى جلاس بعينين يملؤهما النعاس.

«وفي الأشهر الستة التالية، مات أكثر من خمسة ملايين إنسان بسبب المجاعة».

- هل وصلتكِ رسائلي؟

فركت كورا عينيها، ثمَّ طرفت مرة أخرى، محفزةً قرنيتها على الرؤية. مررت الرسائل بعينين مغمضتين حتى وصلت إلى الرسائل غير المقروءة، منها واحدة من جلاس تسألها إذا ما كانت تريد أن تذهب إلى قسم المعاملات بعد المحاضرة.

بعد ثوانٍ، ومضت الإشارة في الركن الأيمن العلوي من مجال رؤية جلاس. فرمشت عندما ظهرت رسالة كورا، التي تقول: «يمكن أن نذهب إذا أسرعنا، عليَّ أن ألقى والدتي عند الثالثة».

رمشت جلاس: «لماذا؟».

- الخدمة المدنية.

ابتسمت جلاس، فما الخدمة المدنية بالنسبة إلى عائلة كورا سوى حجة لإجراء زيارات أكثر للحقول الشمسيّة، وهو أمر غير قانوني تمامًا، إلا أن الحراس يغضون الطرف عن تلك الزيارات لأن والد كورا يتولى منصب رئيس الموارد، لذلك، لا يمكن



لأحد أن يغضبه. لكن جلاس لم تكن مهتمّة بطريقة عائلة كورا بالحصول على موارد إضافية بهذه الوسيلة، فعائلتها تحصل على المزايا بسبل أخرى، كما أن كورا تتركها تحصل على التوت الطازج بين الحين والآخر.

- نعم، تفضلي يا كلارك.

أشار المُعلم لفتاة ترفع يدها وهي تجلس في مقدِّمة الصفوف. فنظر جلاس وكورا إلى بعضهما بعضًا نظرة ذات مغزى. فجعبة كلارك لا تفرغ أبدًا من الأسئلة، والمعلمون كانوا يسعدون بفضولها العلمي، لذلك كانوا يتركونها تسترسل حتى بعد انتهاء الفصل.

- هل انقرضت أي فصيلة من هذه الفصائل؟ أم أن كل ذلك حدث بعد اندلاع الجائحة؟

- هذا سؤال مُثير يا كلارك. في أواسط القرن الحادي والعشرين، كان ثلثا الفصائل قد...

همست جلاس غير عابئة بإرسال رسالة إلى كورا: «أتمنى انقراض كلارك».

ضحكت كورا وزفرت ثم وضعت رأسها مرة أخرى على الطاولة: «أيقظيني عندما تنتهي المحاضرة».

تنهدت جلاس، هامسة: «على هذه الفتاة أن تعيش حياتها، إذا لم تصمت الآن، سأضطر إلى قتلها».

عندما أذن لهم المعلم بالانصراف، قفزت جلاس وجذبت كورا من يدها: «هيا، عليَّ أن أجد أزرارًا لهذا الفستان».

سألتها كورا بحماس وهي تنظر إليها من مكانها على الديسك: «أستذهبين إلى قسم المعاملات؟ سآتي معك لأشتري وسادة جديدة لصديقي».

نظرت جلاس إلى سروال كلارك من أعلى لأسفل ثم إلى قميصها الرث، الذي يمكن



أن تكون اشترته من قسم معاملات آركاديا، قائلة: «لن تخسري كثيرًا إذا أحرقت سروالك، ووضعت قميصك الرث بالداخل، ستحصلين حينها على وسادة لصديقك يا كورا، وتحجبين عنا هذا المنظر البشع».

انفجرت كورا في الضحك، واتّسعت عينا كلارك من هول المفاجأة والألم. وخطر لجلاس خاطر، أن هذا ما تجنيه كلارك على نفسها بسبب تملقها للمعلمين وإفسادها ليوم الجميع.

نظرًا إلى تأخرهما، لم تتمكن كورا من الذهاب مع رفيقتها إلى قسم المعاملات، فعادت جلاس إلى المنزل، إذ لم يكن يطيب لها التسوق بمفردها. ولم تكن تحب طريقة نظر الحراس إليها وهم يختلسون النظر تفاديًا لمُراقبة الضابط المسؤول. أو الطريقة التي يحدق بها الرجال إليها عندما لا تكون زوجاتهم معهم، لهذا كله لا تحب جلاس التسوق بمفردها.

في طريق عودتها، فكرت جلاس في سُبل تحمل بها والدها على أكثر من الحصة المسموحة لها. فيوم إحياء الذكرى على الأبواب، وقد عزمت جلاس على أن تشري فستانًا أكثر أناقة من فستان كورا.

دخلت الشقة ونظرت حولها، ثم ألقت بحقيبتها على الأرض، وصاحت: «أمي، أمي هل تعرفين أين أبي؟».

خرجت أمها من غرفة نومها، بوجه شاحب من أثر بودرة الخدود مُنخفضة الجودة، وعينَين تلمعان من أثر البكاء، على الرغم من أن ذلك قد يكون لانعكاس الضوء على وجه أمها، فاندهشت جلاس لمظهرها وسألتها: «ما بكِ؟».

تمنَّت أن يكون أبوها هنا، لأنها لا تعرف كيف تتصرّف عندما تكون أمها في نوبة من نوباتها.

- أين أبي؟ ألا يزال في العمل؟ أريد أن أتحدث إليه في شأن زيادة مصروفي.



- لقد ذهب أبوكِ.

- ذهب؟ ما الذي...؟

أغلقت عينيها للحظة، وقالت: «لقد هجرنا. وانتقل للعيش مع تلك الفتاة التي تعرف عليها من المجلس».

كان صوتها حياديًّا، تُخفي مشاعرها بإتقان كما لو أنَّها تدس واحدًا من فساتينها الأنيقة في خزانتها.

تجمدت جلاس: «ما الذي تعنينه؟».

قالت سونيا: «أعني أن مصروفك سيكون آخر همّنا»، ثم هبطت على الأريكة مغمضة عينيها، «ليس لدينا أي مال».

حينما وصلت إلى الطرف الآخر الذي يؤدي إلى فينيكس، أصابت التشنجات قدميها، وكُشطت يدها. دَعَت ألا يكون هناك أثر للحراس، فتعود أدراجها مرة أخرى لتحضر لوك معها. فرغم كل ما يحدث، يمكنها أن تُخفيه عن الأنظار حتّى يصلا إلى شقة أمها، ثم يفكرا بعد ذلك كيف ينزلان إلى سطح إحدى السفن.

عندما تتذكّر ما خطر ببالها عند معرفتها أنها ستذهب إلى الأرض، حينها جرَّوها من الزنزانة وأخبروها أنَّها ستذهب إلى الأرض مع تسعة وتسعين من الفتيان والفتيات على متن سفينة فضائية، فتملكها الفزع من فكرة الذهاب إلى كوكب الأرض. لكنها ترى الأمر مختلفًا الآن حين بدأت الحياة على الأرض تأخذ شكلاً جديدًا. تتسكّع في الغابة وهي تُمسك يد لوك. ويجلسان أعلى تبة في صمت شاعري وهما يشاهدان الغروب رأي العين. وربما تكون بعض المدن قد نجت من الجائحة، فماذا لو تمكنا من الذهاب إلى باريس كالرفيقين المرسومَين على طبقَي لوك؟



كانت تبتسم وهي تتقدّم لتمسك الحاجز الحديديّ في جانب فينيكس، لكنها لم تتمكن من ذلك. حاولت أصابعها الإمساك بشيء لكنها لم تجد شيئًا: كان بوسعها أن تشعر بحواف الفتحة الهوائيّة، لكنها أدركت أن هناك سطحًا مستويًا يعوق المرور إليها، ويغلقها على الجانب الآخر.

دارت جلاس حول نفسها حتى تواجه قدماها الحاجز الحديدي. التقطت نفسًا عميقًا ثم ضربت الحاجز بأقصى ما في عزمها. لكن لم يسفر ذلك عن شيء. ضربته مرة أخرى بنفاد صبر، فاهتز الحاجز لكن ظل في مكانه.

صرخت: «لا».

جفلت عندما تردد صوتها في المكان. لا بد أن كاميل هي من أوصدته من الجانب الآخر لتمنع أي شخص من تتبعها. هذا أمر معقول، فمتسلّل واحد من والدن ستكون فرصته كبيرة في التخفي بدلًا من الكثير منهم. لكن إقدامها على ذلك الفعل نتيجته موت جلاس ولوك.

قرفصت جلاس فوضعت قدميها على صدرها، محاولة تخيل وجه لوك عندما تخبره أن الطريق موصّد. وكيف سيجاهد للتحكم في كل حركة يند عنها وجهه ليظهر بمظهر الرجل الرزين والشجاع، لكنه لن يستطيع التحكم في اليأس الذي يومض في عينيه.

لن تتمكن أبدًا من رؤية أمها. عندما ينفد الأكسجين من فينيكس، ستكون سونيا وحدها، متكومة على نفسها في شقتها ثمني نفسها بآخر كلمة وداع من ابنتها التي اختفت دون أن تترك كلمة منها.

لكن انعطاف جلاس عازمةً العقد على قطع رحلة العودة الطويلة، تفتق ذهنها عن فكرة تبدو سخيفة ومجنونة، لكنّها قد تتكلل بالنجاح. إذا لم يكن هناك سبيل آخر للعبور من والدن إلى فينيكس إلا من داخل السفينة، فإن فكرتها بكل بساطة العبور من الخارج.

الفصل الثامن

ويلز

لم تتحسَّن مولي كثيرًا بعد الإفطار. فقد زادت عليها الحمى ولم تتوقَّف عن الارتعاش. ولم تجد معها العديد من البطَّانيات التي غطاها بها ويلز.

بحلول منتصف اليوم، كانت مولي لا تزال متكومةً على نفسها على إحدى فرشات الكابينة الخالية، التي كانت كذلك منذ الفجر. تطلَّعَ إليها ويلز بعبوس، فرأى جبهتها البالية تتصبَّبُ عرقًا، وعلى عينيها مسحةٌ مُصفرَّةٌ وغريبة.

كان ويلز يتجنب مواجهة كلارك منذ اللحظة الأولى، لكن لا خيار أمامه الآن. فانحنى، وحمل جسد الفتاة الصغيرة على ذراعيه، وخرج بها إلى الساحة. كان معظم مَن بالساحة منشغلًا بالتهامس حول الفتاة الأرضية التي أسروها أو التجادل بشأن رماح جراهام الجديدة على الجانب الآخر من المخيم، فلم يلاحظه أحد، على الرغم من أن هناك قِلَّة تطلَّعوا إليه باهتمام وهو يدفع باب كابينة المشفى حاملًا مولي للداخل.

كانت الفتاة الأرضية تستلقي عند الباب، إما نائمةً وإما تتظاهر بالنوم، بينما كلارك كانت تجلس مستقيمة الظهر، تحدِّق إلى الفتاة بحِدَّة شديدة، لدرجة أنها لم تلاحظ ويلز عندما دخل إلى الكابينة في البداية.

تخطى بيلامي الذي كان غارقًا في النوم حسبما يبدو على الفرشة التي تقع بجانب فرشة كلارك، ثم وضع مولي بلطف على إحدى الفرشات الخالية الأخرى، عندما



استقام مرَّةً أخرى، كانت كلارك قد استدارت متجاهلةً نظراتها إلى الأرضية، وتنظر إليه بعينَيْن متسعتَيْن.

تقدم نحوها بعدَّة خطوات: «أهلًا، كيف تشعرين الآن؟».

أجابت كلارك بصوت أجش: «أفضل ».

ثم تنحنحت وقالت: «أشكرك لأنك حقنتني بالترياق، لقد أنقذت حياتي».

كانت نبرة صوتها مخلصة. فلم يكن ثمة أثر عالق من الغضب في صوتها، ولا علامة على أنها مستاءة من ويلز على ما فعله خلال الحريق، لكن نبرة صوتها المهذبة والغامضة أكثر سوءًا من الغضب، وكما لو أنه شخص غريب يقدم لها بعض الخدمات. تساءل هل ستكون تلك هي طريقة التعامل بينهما الآن، أو أن هذا الوقت فرصة سانحة لبداية جديدة بينهما؟

انتقلت عينا كلارك إلى مولي بينما يحاول ويلز العثور على إجابة مناسبة.

تلاشت اللامبالاة التي ارتسمت على وجهها، وحلَّت محلَّها نظرة ثاقبة أكثر ألفة. سألت بنبرة صوت حادَّة ومهتمة: «ما الذي أصاب مولي؟».

شعر ويلز بالامتنان لوجود موضوع يتجاذبان حوله أطراف الحديث، فأخبرها بالظروف التي أدَّت إلى مرض الفتاة الصغيرة فجأةً، عبست كلارك وهمَّت بالنهوض من فرشتها، فعاجلها قائلًا: «انتظري».

ثم وضع يده على كتفها قبل أن يحسن التفكير فيما يفعله، ثم رفع يده مرة أخرى، وقال: «عليكِ أن تستريحي، ويمكنكِ النظر إليها من هنا».

قالت كلارك غير آبهة: «أنا بخير حال».

ثم أنزلت قدميها عن فرشتها إلى الأرض ووقفت مرتعشة. فيما كان ويلز يحارب رغبةً جارفةً في مساندتها.



سارت ببطء حتَّى مولي، ثمَّ انحنت لرؤيةٍ أفضل.

- مرحبا مولي، أنا كلارك، هل تسمعينني؟

لم يصدر عن مولي إلَّا التشنجات التي كانت تدفع عنها الغطاء الذي لفَّه بها ويلز. فعبست كلارك وهي تضع أصابعها على معصم مولي لتجسّ لها النبض.

سألها ويلز وهو يأخذ خطوات مترددة باتجاهها: «ماذا ترين؟».

- لم أصل إلى شيء بعد.

حركت يدها إلى عنق مولي لتتفقد الغدد، ثمَّ التفتت إلى ويلز مرة أخرى مختلسةً النظر.

- منذ متى ونحن هنا؟ يبدو أني فقدت الشعور بالزمن منذ لدغة الثعبان وكل ما حدث.

- أكثر بقليل من ثلاثة أسابيع.

ثمَّ توثَّقَ ليحسب المدة في رأسه: «أعتقد أننا أتممنا ثلاثة أسابيع أمس».

قالت كلارك بهدوء وكأنها تلقي الكلام على نفسها لا على ويلز: «اليوم الحادي والعشرون».

- ماذا في ذلك ؟ ما الذي تفكرين فيه؟

أشاحت كلارك بوجهها، لكن ويلز كان بوسعه أن يرى الفزَعَ في عينيها. فهو يعرف ما تعنيه تلك النظرة المُضطربة، ويتذكر الألم الذي شعرَتْ به كلارك عندما رَوَتْ له أمر التجارب التي كان يجريها والداها، فسألها: «أنتِ لا تعتقدين أن لمرض مولي المفاجئ علاقة بالإشعاع؟ ألم يكن من المفترض أن تمرض في وقتٍ أبكر قليلًا لو أن الأمر له علاقة بالإشعاع؟».

مطَّت كلارك شفتَيْها، ولوَّتهما على جانب فَمِها كما تفعل دائمًا عندما تريد منح جسدها الوقت الكافي لملاحقة أفكارها المتسارعة.

- نعم، إذا كان المرض في الهواء، لن نكون قادرين على التنفس، لكن إذا كان بكميات قليلة في الماء، أعتقد أن ذلك هو الوقت المناسب.

ثمَّ قالت سريعًا: «لكنّي لا أعتقد أن هذا خطب مولي، لا يبدو الأمر أنه تسمُّم إشعاعي»، ثمَّ ارتعشَتْ عيناها ألمًا، فعرف ويلز على الفور أنها تتذكَّر صديقتها التي ماتت، «أظن أن جسدها قد تفاعل بشكلٍ غير مناسب مع شيءٍ ما. هل بقية الترياق الشامل لا يزال في صندوق الإسعافات ؟».

كرر ويلز: «بقية الترياق؟ لم يكن ثمّة إلَّا قارورة واحدة فقط».

حدقت كلارك إليه: «أرجوك أخبرني أنك لم تستخدم القارورة بأكملها لأجلي. قد تحتوي على ١٢ جرعة!».

سألها ويلز وهو يسخط من الذنب الذي شعر أنه يحمله فتسبَّبَ في وجع معدته: «وكيف يمكنني أن أعرف ذلك ؟».

قالت كلارك بسخط: «إذن لقد أفرغت القارورة بأكملها، وهذا لا يبشر بخير».

قبل أن يطلب ويلز من كلارك أن تسهب في الشرح، انفتح الباب ودخل إريك كالعاصفة، مُقتادًا فيليكس من يده.

- كلارك، شُكرًا للرب أنَّكِ استيقظتِ من غيبوبتك، نحن في حاجة إليكِ.

اندهشت عندما رات إريك الهادئ الرزين في حالة من الاضطراب، هرع ويلز نحوه وساعد إريك على أن يضع فيليكس على واحدة من الفرشات الفارغة المتبقية، قال إريك وهو ينظر بقلق بين كلارك وفيليكس: «لقد فقد وعيه ونحن عائدان من عند الجدول، ومعدته غير قادرة على الاحتفاظ بأيٍّ طعام».



استيقظ بيلامي عند هذه اللحظة، ونهض على قدميه ببطء، فرك عينيه وهو يتثاءب، ثم قال: «كلارك، ماذا تفعلين خارج فرشتك بالله عليكِ؟».

تجاهلته كلارك وهي تأخذ عِدَّة خطوات مرتبكة بُغيةَ فحص فيليكس. كانت عيناه مفتوحتين، لكنه واجه مشكلةً في التركيز مع كلام كلارك، فلم يبدُ عليه أنه قادر على الإجابة عَن أسئلتها.

سألها إريك: «ماذا أصابه؟».

وكان ينظر إلى كلارك نظرةً حادَّة للغاية، لدرجة أنها ذكَّرت ويلز بحراس المنطقة المركزية على السفينة، المسؤولين عن مراقبة الشاشات للبحث عن أي كُوَيْكِبات أو حطام.

قالت بصوتٍ يشوبُهُ الارتباك والكدر، لأنها لم تكن تطيق الشُّعورَ بالعجز: «لم أتوصَّل إلى شيءٍ بعد، لكني لا أظن أن ثمّة شيئًا يمكن القلق حياله، يمكن أن تكون إصابةً بالجفاف سببه بردٌ في المعدة، كل ما علينا فعله، إسعافه بالكثير من السوائل ونرى النتيجة».

- بيلامي، هل يمكنك إحضار المزيد من الماء؟

تردَّدَ بيلامي ونظر إلى ويلز، وكما لو أنَّه يَسْتَعطِفُهُ ليذهب هو بحثًا عن الماء، لكنه أوْمَأَ وهُرِعَ إلى خارج الكابينة.

سار ويلز إلى حيث تقف كلارك، بحيث يكون قادرًا على التحدث إليها بهدوء، نائيًا بنفسه عن خطر الاحتكاك بها.

- أعتقد أنه من الغريب أن يمرَضَ مولي وفيليكس في نفس الوقت تقريبًا، أَلَيْسَ كذلك؟



- في الواقع هذا ليس دقيقًا، بل العكس هو الصحيح مع وجود مئة شخص يعيشون معًا في مكانٍ صغير للغاية، والعجب هو عدم تفشّي المرض بيننا حتَّى الآن، وهو أمرٌ قد يحدث قريبًا.

نظر ويلز إلى إريك الذي كان منشغلًا في تمسيد شعر فيليكس، وأخفض من صوته، وقال: «لكن ماذا لو لم يكن المرض مجرد نزلة برد؟ ماذا لو كان التسمُّم الإشعاعي...؟».

- الأمر ليس كذلك.

قاطعتْهُ كلارك وهي تضع رأسها على صدر فيليكس مجاهدةً في الاستماع لرئتَيْه بأقصى ما تستطيع من دون سماعة الطبيب.

- لكن ماذا إذا كان الأمر كما قلتْ. أيوجد أي شيء في صندوق الإسعافات يمكن أن يفيد؟

قالت كلارك بنعومة: «كان والداي يُطَوِّران دواءً في علبةٍ من الحبوب يمكنه أن يبطئ من أثر التسمُّم الإشعاعي».

- وهل علينا أن نعطيه لهم حتى نكون في أمان؟

- ليس علينا ذلك بكل تأكيد.

لم تكن لهجة كلارك تسمح بأيِّ نوعٍ من أنواع الجدال، لكن ويلز أكملَ حديثه على أيِّ حال: «لماذا؟».

أبعدت كلارك رأسها عن صدر فيليكس وصوَّبَتْ نحو ويلز نظرةً ساخطةً، ومَشوبة بالخوف: «لأن مرضهم لا علاقة له بالتسمُّم الإشعاعي، ومَنْحُهم هذه الحبوب سيَتَسَبَّبُ في قتلهم».

الفصل التاسع

كلارك

سأل بيلامي، وهو يتفحَّصُ مُتجهِّمًا ذراعَ كلارك التي لا تزال مُنتفخة: «أَمُتأكِّدة مِن أنَّكِ سوف تكونين على ما يرام خلال الساعات القادمة؟ سأحاول أن لا أبتعد في حالة...».

فقاطعته كلارك: «متأكِّدة، اذهب للصيد. سأكونُ بِخَير، أعدك بذلك».

كان الطعام ينفدُ منهم، وعندما عاد ويلز في الظَّهيرة ليتفقَّدَ كُلًّا مِن مولي وفيليكس، ابتلعَ كبرياءهُ وطلَبَ من بيلامي أن يذهب معه ليتزوَّدَا من الطَّعام والمُؤَن.

لفَّ بيلامي رأسه باتِّجاه الفتاة النائمة في الجانب الآخر من الكابينة، وقال: «أرجو أن تعديني بِأنَّكِ لن تتحدثي إليها، لا أطمئنُّ لوجودكِ معها وحدكِ».

- لستُ وحدي، مولي وفيليكس بجانبي.

- فاقدو الوعي لا يُحتسبون، فقط حافظي على بعض المسافة معها، وحاولي أن تنالي قسطًا من الراحة.

- سأفعلُ ذلك، أعدك.

حاولت كلارك أن يظلَّ صوتها مُحايِدًا حتَّى لا يشكَّ بيلامي في أنها تحثُّهُ على الرحيل.



لكن في اللحظة التي غادر فيها، وقفتْ واقتربتْ من الفتاة الأرضية. كانت ترتدي السَّوادَ في أنحاءِ جسدها كافة، لكن كلارك لم تُميِّز معظم المواد المصنوع منها رداؤها. السراويل ضيِّقة ومصنوعة من مادة ناعمة ولامعة لمعةً خفيفة، ربما تعود لحيوان، فيما بدا القماش الذي يغطي الجزءَ العلويّ من جسدها أكثر نعومة، ماذا كان يُسَمَّى نسيجُ شعرِ الحيوان؟ صوفًا. أمَّا الغطاء الكثيف الذي كان يلفُّ عنقها فَفَرْوُ حيوانٍ لا تخطئه العين. استماتَتْ كلارك لتكتشف الكائن الذي صُنِعَ منه هذا الفَرْو، فحتى الآن، الغزال هو الحيوان الوحيد الذي رأته، لكن الغطاء كان أكثر سماكة وقتامة.

عبر الغرفة، كان فيليكس يئِنّ في نومه، فهُرِعَتْ كلارك إليه ووضعت يدها على جبهته، فوجدت أنَّ الحُمَّى تزداد عليه سوءًا. عضَّتْ على شفتَيْها وهي تفكِّر حول ما يمكن أن تقوله لويلز، فَمِنَ الثابتِ أنَّ أعراض التسمُّم الإشعاعي مختلفةٌ أشدَّ الاختلاف عن الأعراض التي تظهر على فيليكس، فبعدَ الغثيان والحُمَّى تأتي التقرُّحات، ونزيف اللِّثَة، وتساقط الشَّعر، وهذا ما جعل ليلي تبدو بشعةَ المظهر، لكن كلارك كانت واعيةً بما يمكن أن تقوله لصديقها قبل أن تشهد المجموعة معاناة جديدة.

فكَّرتْ كلارك مرَّةً أخرى في شأن الحبوب الموجودة في صندوق الإسعافات وهي عائدة إلى فرشتها. فإذا كان مرض مولي وفيليكس لا علاقة له بالتسمُّم الإشعاعي، ستكون الحبوب سبيلًا لقتلهما، لكن إذا كانت كلارك على خطأ، ستتسبَّبُ في موتٍ طويلٍ ومؤلم لهما، فالحبوب يجب أن تُتَجرَّعَ في المراحل الأولى من التسمُّم الإشعاعي.

جلست واضعةً يدها على جبهتها، تفكِّر للمرَّة المليون لماذا لم يزعج المجلس نفسه باستشارتها قبل أن يرسل المئة إلى الأرض؟ صحيح أنها مجرمة مُدانة لكنها الشخص الوحيد الذي له علاقة وثيقة بالأبحاث التي أجراها والداها.

جاءها صوتٌ غريب من الجانب الآخر من الكابينة: «إذن مَن ليلي؟».

شهقت كلارك والتفتت صوبَ الفتاة الأرضية، مصدومةً في صمت. إذن هي تُجيد التحدُّث بالإنجليزية، كانت تجلس مستقيمة الظهر، تواجه كلارك. شعرها الطويل



الفاحم السَّواد أشعث لكنه لا يزال لامعًا، ولبشرتها وهج دافئ أضفى على عينَيْها لونًا أخضر بديعًا.

تلعثمت كلارك: «ماذا؟ ما الذي...؟»، ثم أخذت نفسًا عميقًا، وأجبرت نفسها على استعادة بعضٍ من رباطة جأشها، «لماذا تريدين أن تعرفي عن ليلي؟».

هزت الفتاة كتفيها، وقالت: «كنت تُردِّدين اسمها في نومك، عندما كانت تنتابك أحلام الحمى».

كانت لكنتها مختلفةً عن تلك التي اعتادتها كلارك، فقد كانت موسيقية بعض الشيء، كما لو أنها تستمع لدقات القلب خلال تدريبها الطبِّي لأوَّلِ مرَّة.

وأضافت: «كما أنَّ هذا الصبي تصرَّفَ بطريقةٍ غريبة عندما نطقتِ اسمها».

قالت كلارك ببطء: «ليلي صديقة لي منذ كنا على السفينة».

هل يعرف الأرضيُّون شيئًا عن المستوطنة؟ تزاحم مليون سؤال في رأس كلارك، لكن ثمَّة تساؤلٌ تصاعَدَ على السطح أسرع من الأسئلة الأخرى. قرَّرَتْ كلارك أن تبدأ بالسؤال الأقل أهمية: «كم عددكم هنا؟».

بدت الفتاة وقورةً، وقالت: «حاليا نحن ثلاثمئة وأربعة وخمسون شخصًا، وربما نكون ثلاثمئة وخمسة وخمسين إذا وضعت ديلفين طفلها».

طفل. هل سيولد هذا الطفل في المستشفى ؟ هل من المحتمل أن الأرضيِّين لديهم أي معدَّات تعمل منذ ما قبل الجائحة؟ أم استطاعوا بناء أيٍّ من المدن الكبرى؟ سألت كلارك بحماس: «أين تعيشون؟».

تغير لون وجه الفتاة، فندمت كلارك على افتقارها للباقة، فهي تجلس مع سجينة، ومن المؤكد أنها لا تريد إخبار كلارك أين يعيش أصدقاؤها وعائلتها، فسألتها سؤالًا آخر: « ما اسمك؟».



- ساشا

أجابت: «وأنا كلارك».

على الرغم مِن أنَّ كلارك انتابها شعورٌ بأن الفتاة تعرف ذلك بالفعل، فإنها ابتسمت ونهضت على قدميها ببطء.

- هذا جنون، ليس بوسعي تصديق أني أتحدث إلى شخصٍ من الأرض.

سارت كلارك عبر الكابينة حتَّى وصلت إلى ساشا وجلست إلى جانبها. ثمَّ تابعت: «أتعرفين أنَّ هناك أقوامًا مثلكم يعيشون في الفضاء؟ ما الذي فكَّرتِ فيه عندما رأيتِنا؟».

حدَّقَت ساشا إلى كلارك لِلَحظةٍ بدت طويلة، كما لو أنها غير متأكِّدة مِمَّا إذا كانت رفيقتها جادَّةً فيما تقول، ثمَّ قالت أخيرًا: «حسنًا، لم أتوقَّع أن تكونوا في سنٍّ صغيرةٍ هكذا، فآخر من وصل إلى الأرض كانوا أكبر كثيرًا منكم».

أطبقت كلمات ساشا على صدر كلارك فتوقَّفت أنفاسها، آخر من وصل إلى الأرض؟ لا يمكن، لا بد أنها أساءت الفهم، وسألتها كلارك: «ما الذي تعنينه؟ أتقولين إنَّكِ التقيتِ أشخاصًا من المستوطنة قبل ذلك؟».

أومأت ساشا، فتسارعت نبضات قلب كلارك تسارعًا مفرطًا.

- جاءت مجموعة من الفضاء منذ عام. وكنا دائمًا ما نعرف أنَّ هناك أُمَمًا مثلنا تعيش في الفضاء، لكن لا يزال التقاؤهم وجهًا لوجه أمرًا صادمًا. خاصَّةً أنَّ إنزال سفينتهم جاء بالخراب علينا، مثلما فعلت سفينتكم.

توقَّفتْ ساشا لتراجع حساباتها، ما الذي يمكن مشاركته مع كلارك، ثمَّ تابعت: «لم نر منهم خيرًا في المرَّة الأولى، لكنَّنا حاولنا مساعدتهم. واصطحبناهم إلى... أقصد أنَّنا سمحنا لهم بالبقاء معنا. وأعطيناهم الطعام والمأوى، على الرغم مِن أنَّ أجدادهم



تركونا خلال الجائحة. على كل حال، كان قومي مستعدِّين لإلقاء الماضي وراء ظهورهم باسم السَّلام والصَّداقة».

شابَ صوتها مرارة، ورفعت ذقنها قليلًا كما لو أنها تحثُّ كلارك على أن تتحدَّاها. قاومت كلارك الرغبة في الدفاع عن المستوطنين، أو الاندفاع إلى توجيه المزيد من الأسئلة، ففي هذه الحالة، السبيل الأفضل لكسب ثقة الفتاة هو أن تظلَّ صامتة. وكما هو متوقع، بعد فترة صمتٍ طويلة، واصلت ساشا كلامها: «كنا مغفلين لأنَّنا وثقنا بهم. ثمَّ حصل الحادث».

وتلوَّتْ قسمات وجهها ألمًا عندما جاءتها الذكرى.

سألتها كلارك بنعومة: «ماذا حدث؟».

- لا يهم، لقد رحلوا جميعًا على كل حال.

تراجعت كلارك في جلستها، محاولةً استيعاب المعلومات المذهلة التي قالتها ساشا. أكانت هناك مهمة من السفينة إلى الأرض في العام الماضي؟ فكرت كلارك في الحطام الذي وجدته، وفي شعار (ت. ج)، وخطر على بالها فجأةً أنَّ ما تقوله الفتاة ممكن. لكن مَن هؤلاء الأشخاص الأكبر سنًّا الذين كانوا في المهمة؟ ولماذا أرسلوا المئة إذا كان قد سبقهم بالفعل آخرون في مهمتهم؟

قالت كلارك وهي تبذل قصارى جهدها محاولةً أن تجعل صوتها محايدًا: «أتعرفين.. أتعرفين أيَّ شيءٍ عنهم؟ هل كانوا متطوعين أم أُجبروا على السفر إلى الأرض؟».

قالت ساشا سريعًا: «ليس لديَّ فكرة، لم نكن نقضي الكثير من الوقت في محادثاتٍ شخصية معهم، خاصة بعد....». ثم توقَّفتْ عن الكلام.

عبست كلارك لأن عقلها كان مستعدًّا لتقبُّلِ بقية الكلام. لم يكن بوسعها تخيُّل أنَّ المستوطنين سبَّبوا غضبًا كبيرًا للأرضيّين. وعلى كلِّ حال لا يبدو أنَّ ساشا ستخبرها بالمزيد عن ذلك، أما كلارك فلم يتَّسع صدرها لكتمان هذه الأخبار لدقيقة أخرى.

قالت كلارك وهي تقف على قدميها: «سأعود، انتظري ولا تذهبي إلى أيِّ مكان».

رفعت ساشا حاجِبَيْها، مُمَدِّدةً قدمَيْها حتَّى يتَّسع لكلارك رؤية أنَّ كاحلَيْها مقيَّدان. شعرت كلارك بالحرج الشَّديد، فهُرِعَتْ إلى ساشا، وانحنت لتحلَّ وثاق كاحلَيْها، كان ويلز قد ربط العقدة بطريقةٍ معقدةٍ للغاية، وهو شيءٌ تعلَّمه منذ كان يتدرَّب تدريب الضباط، وهو ما جعل كلارك تقضي الكثير من الوقت لتحلَّ العقدةَ وراء الأخرى، جفلت ساشا عندما لمستها كلارك أوَّلَ مرَّة لكنها لم تحتج.

حلَّت كلارك العقدةَ الأخيرة وألقَتْ بالحبل على الأرض، وقالت مادَّةً يدها للمساعدة: «تعالي، تعالي معي، لن يصدِّقني أحد».

حدَّقَتْ ساشا إلى كلارك بحذر، ثمَّ وقفَتْ على قدمَيْها دون مساعدة. هزَّت قدمها، ثمَّ هزَّت الأخرى، وانتفضت عندما عادت الدورة الدموية إلى جريانها مرَّةً أخرى.

قالت كلارك: «لنذهب».

وأسندت ساشا من مرفقها لترشدها إلى الخارج.

الفصل العاشر

بيلامي

لم يمرَّ سوى عشر دقائق منذ أنْ عاد بيلامي بالأرانبِ التي اصطادها، وهي الآن تُشوى على النار. أثارت روائح شوائها كلَّ مَن بالمخيم فانجذبوا إليها حتَّى وصلوا إلى مصدرها، حيثُ ظلُّوا واقفين بجانب النار، بأعين متّسعة وجائعة.

تذكَّرَ بيلامي الأطفال الصغار في مركز الرعاية، الذين كانوا يقتربون منه عندما يعود من إحدى جولاته للبحث عن الطعام، مُمَنِّينَ النفسَ بأن يجدوا معه ما يسدُّ رمقهم، لكنه لم يكن قادرًا على إطعامهم كلهم، كما أنه غير قادر على إطعامهم الآن.

سألته ليلا: «أهذا ما أتيت به؟».

محاولةً تبادل نظرة سخرية مع صديقتها تامسين، الفتاة الشقراء النحيلة، التي فاجأت بيلامي بأنها أهدأ وربما أكثر غباء من صديقتها ليلا. في الأسبوع الماضي، حوَّلتْ هي وبضع فتيات أخريات، سراويل رمادية كاملة إلى سراويل قصيرة بأطوال مختلفة، متجاهلاتٍ التحذير الذي أطلقته كلارك بأنهنَّ سيندمن عندما يتغيَّر الطقس، وقد ندمتا بالفعل. فقد صارتا ترتعدان من البرد على الرغم من أنَّ ليلا كانت تبذل أقصى ما في وسعها لكي تخفي ذلك، لكن تامسين كانت تبدو مثيرةً للشفقة.

قال بيلامي ببطءٍ كما لو أنه يُحيّي طفلًا مُدلَّلًا: «صباح الخير يا ليلا، ستتمّين العاشرة قريبًا».



قطّبت ليلا جبينها ووضعت يدها على صدرها، وقالت: «أنت أحمق يا بيلامي».

- ألم تسمعي المثل الشهير الذي يقول لا تعض اليد الذي تطعمك؟

ثمَّ ابتسم، وقال: «لكن لماذا أعطيكِ من الطعام الذي اصطدته وأنتِ تسلكين هذا السلوك معي؟ معنا أرنبان فقط، كما أشرتِ سابقًا، ونحن أكثر من اثنين».

إذا شئنا الدِّقّة، فإنهم ثلاثة وتسعون شخصًا الآن، ومع ذلك، ليس منهم مَن يحتاج إلى التذكير بحقيقة أنهم فقدوا العديد من أعضاء المجموعة.

- لن يكون للجميع نصيب في الطعام، ولقد جعلتِ الأمر أسهل بالنسبة إليَّ بسلوككِ معي، لذا أنا أشكركِ.

ثمَّ مدَّ يده كما لو أنه يطلب من ليلا المصافحة، قائلًا: «ممتنٌّ لمساعدتكِ».

ضربَتْ يده ورطمَتْ كعب حذائها على الأرض، ثمَّ شدَّت الحواف غير المستوية لسروالها القصير وابتعدت.

خطر في بال بيلامي أنَّ هذا هو الطبيعي من فتاةٍ ولدانية، متذكِّرًا المصطلح الذي أطلقته أوكتافيا على الفتيات الولدانيات اللواتي كنَّ يتصرفن كالفينيكسيات الغبيات عن عمد، لكن الخاطر الذي أتى باسم أوكتافيا إلى رأسه أخفى ابتسامته، وحلَّ محله الألم الذي كان يحاول احتواءه في صدره. فالله وحده يعلم المعاناة التي تُلاقيها أوكتافيا الآن، بينما ليلا وبقية أصدقائها يتجولون حول المعسكر بالسراويل القصيرة.

كان صبيان آركاديان يضطلعان بمهمة شواء الأرنبَيْن، ورغم تلهُّفِ بيلامي للعودة مرَّةً أخرى إلى كابينة المشفى حتَّى يتفقد كلارك، لكنه كان يعرف أن مغادرته الآن معناها أنَّ اللحم سيختفي عندما يعود. لم يكن يريد اللحم لنفسه، ولكن حتى تأكل كلارك نصيبها حتى ولو كان ضئيلًا.

قالت بريا لويلز الذي عاد لتوِّه مِن رحلة إلى جدول المياه: «ليس هناك ما يكفي الجميع. كم عبوة بروتين لدينا؟».

عبس ويلز وهزَّ رأسه، ثمَّ انحنى ليهمس لبريا بشيء، كان من الواضح أنهما يحاولان أن يكونا كتومَيْن، لكنهما كانا في وسط عشرين شخصًا ينظرون إليهما بتوتر.

استرجع بيلامي الأيام الأولى التي هبطوا فيها إلى الأرض، عندما كانت المجموعة مفعمةً بالاندفاع الشديد، الذي صار خطيرًا وقابلًا للانفجار. لكن الإنهاك الذي ساد بينهم الآن جعلهم أقلَّ حديثًا، حتَّى الفتاة الفينيكسية الثرثارة، كيندال، كانت هادئةً وهي تنظر إلى ويلز وبريا، رغم أن الابتسامة التي ندت عنها كانت تبدو مبتهجةً أكثر منها مستاءة.

لعدة دقائق، عَمَّ المخيم أصوات طقطقة جذوع الأشجار وارتطام الرماح الخشبية وهي تُصنع من غصون الأشجار ويُلقى بها على العشب. أما المجموعة التي اصطفاها جراهام لتكوين «قوة أمنية» فقد كانت تتدرَّب طوال اليوم، لدرجة أنَّ بيلامي كان عليه أنْ يعترف بأنهم يؤدُّون عملًا متقنًا، وإذا كان تركيزهم انصبَّ على اصطياد ما يأكلونه كما تتخيلهم قريحة الأرضيين، فلن يشكو المستوطنون من المجاعة بعد ذلك أبدًا.

كانت كيندال أوَّلَ من يخترق جدار الصمت: «إذن متى تهبط السفينة التالية يا ويلز؟».

سخر بيلامي من محاولتها المكشوفة لجرِّ ويلز إلى محادثة، وعلى كل حال، فقد كان العديد من الفتيات يولين اهتمامًا كبيرًا بابن المستشار مؤخرًا.

قالت ليلا: «ومن يهتم بهذا؟».

تدخلت ليلا في الحوار وهي تعود للانضمام إلى المجموعة مجدَّدًا، متظاهرةً بمطِّ ذراعَيْها أعلى رأسها: «لستُ في عجلةٍ من أمري حتَّى أجد الحراس حولنا، يتصرفون كما لو أن المكان ملكهم».



وافقها بيلامي صامتًا، لكنه لن يمنحها صك اعتراف بالموافقة على كلامها علانيةً، إذ كان لديه ما يخسره أكثر منهم جميعًا، لقد نجحت خطته المجنونة للتظاهر بأنه حارس من ضمن حراس السفينة، لكنه قصَّر في أداء عمله عندما تفادى الإطلاق الناري، فأصابت رصاصته المستشار، وحتى إذا صدر عفو عن أعضاء المهمة الآخرين رغم ما ارتكبوه من خروقات، فبيلامي لا يزال مجرمًا. فكل ما يعرفه، أنَّ الحراس لديهم أوامر بإطلاق النار عليه فور رؤيته.

قالت كيندال: «لكن المستشار عليه أن يعرف أن الأرض باتت آمنةً للإنسان».

ثمَّ أشارت إلى الشاشة المثبتة على رسغها ، التي كانت منوطةً بإرسال الإشارات الحيوية للسفينة.

كرَّرت ليلا الكلمة بابتسامة مُرَّة: «آمنة؟، نعم، تبدو الأرض آمنة بالنسبة إليَّ».

قالت كيندال: «أعني مستويات الإشعاع».

ثمَّ نظرت إلى ويلز مُتمنيةً أن يدعمها. لكنه كان يحدِّق إلى الأشجار لأن شيئًا ما لفت انتباهه. قفز بيلامي على قدميه ، وحمل قوسه ، وركض باتجاه ويلز ثمَّ سمع ضحكة مظفرة تملأ المخيم ، فزفر بيلامي. لم يكن الأرضيّون بل جراهام. اقتحم المخيم من خلال إحدى الشجيرات التي تنمو بالقرب من صفِّ الأشجار حاملًا رمحه بيد، وجسمًا داكنًا في اليد الأخرى. جسمًا داكنًا، وضخمًا، وذا فرو. أدرك بيلامي أن الأحمق قتل شيئًا ما، لكنه لم يكن على يقين ما إذا كان جراهام سعيدًا أم مستاءً لذلك. أمر جيّد أن يساعده في الصَّيد بالتأكيد، لكنه تمنّى لو أنَّ ذلك صدر من أيِّ شخص غير جراهام.

صاح: «انظروا ما أتيت به».

ثمَّ ترك فريسته تهبط على الأرض.

قالت بريا: «جراهام، الحيوان لا يزال حيًّا».



ثمَّ تقدَّمَتْ للأمام فيما تراجع الجميع خوفًا واشمئزازًا. كانت بريا على حق، فالمخلوق لا يزال يرتعش. هو أكبر من الأرنبَيْن اللذين عاد بهما بيلامي، لكن أصغر من غزالة. لديه منخارٌ طويل، وأُذنان دائريتان قليلًا، وذيل مُخطَّط كثيف الشعر. انحنى ويلز ليلقي نظرةً أوضح على المخلوق، فرآه ينزف من أثر جرحٍ عميقٍ في بطنه. سينفق في النهاية، غير أن نُفوقه سيكون طويلًا ومؤلمًا. وضع ويلز يده في جيبه وأخرج سِكِّينًا صغيرة دائمًا ما يحملها معه.

قال بيلامي لجراهام: «عليك أن تُصوِّبها تجاه القلب، بهذه الطريقة سيكون القتل رحيمًا، ويموت الحيوان فورًا، وإلَّا يمكنك أنْ تشقَّ عنقه».

هزَّ جراهام كتفَيْه، لأنه شعر كما لو أنَّ بيلامي يُؤَنِّبه لعدم غلق صندوق مؤن الخيمة بشكلٍ مناسب، وقال: «إنه مجرَّد ثعلب». ونَكَزَ الحيوان بإصبع قدمه الكبير.

قال بيلامي: «الحق أنه راكون».

اعتقد بيلامي أنَّ الحيوان راكون لأنه يشبه الراكون الذي رآه في الصُّوَر، باستثناء أنَّ الحيوان النافق لديه زائدة متوهجة تنمو في رأسه. دائرة من الضوء تتراقص على العشب الداكن مع ارتعاد الحيوان يمينًا وشمالًا، بدا كما لو أنه يرتدي مصباح رأس، أو كالمهندسين الذين يجرون أعمال الصيانة خارج السفينة، كان لدى بيلامي ذكريات من مشاهدة فيديو عن سمكة بنفس العتاد، حيث تُصدِر ضوءًا من جسمها لاستخدامه في جذب الفريسة إلى قاع المحيط.

سألتْهُ ليلا بصوتٍ مشوب بالفخر والتوبيخ: «تمهَّل، هل اصطدته وحدك؟ ماذا إذا رآك الأرضيّون؟».

ابتسم جراهام وألقى رحمه في الهواء ثمَّ تلقَّاه بيدٍ واحدة: «كنت أتمنَّى أنْ يروني، سأجعلهم يتمنون لو أنهم انقرضوا في أثناء الجائحة، سنكون نهايتهم».

صاح ويلز وقد بدا أنَّ صبره بدأ ينفد: «لا تكن أحمق، يمكن أنْ يكون هناك المئات منهم، بل الآلاف. إذا انجررنا لمعركةٍ حقيقية، لن تكون لنا أيّ فرصة في النجاة».



تلاشت ابتسامة جراهام، وقال: «أعتقد أن هذا كله يتوقف على مَنْ يقودنا، أليس كذلك؟».

ثمَّ صمت صمتًا تامًّا، ووقف أمام ويلز يحدِّقان إلى بعضهما بعضًا للحظة، ثمَّ كسر جراهام الصمت بابتسامة، وقال: «من يسلخ هذا الحيوان؟ فأنا أتضور جوعًا».

قال بيلامي: «الخطوة الأولى هي أن ننتظر حتَّى يموت فعلًا».

ثمَّ نظر إلى ويلز الذي كان لا يزال يحمل سكِّينه في يده.

قالت كيندال في مرح: «لقد مات». ثمَّ استلقت على الأرض بجانب الراكون، وقالت: «لقد كسرتُ عنقه لتوي».

ظنَّ بيلامي أنها تمزح، لكنه لاحظ أنَّ الحيوان توقف عن الحركة، والزائدة المتوهجة الغريبة على رأسه انطفأت. التفت إلى كيندال، وعلى وجهه قليل من الاندهاش، لكن قبل أن يسألها أين تعلمت ذلك، أثار انتباهه صوت خطوات أقدام تركض إلى منتصف المخيم. كانت كلارك تركض باتجاههم وهي تقتاد الفتاة الأرضية من ذراعها، ثمَّ صاحت مبهورة الأنفاس: «يا شباب».

بعينَيْها لمعةٌ لم يرها بيلامي سوى مراتٍ قليلة من قبل، إحدى المرات كانت عندما تكتشف شيئًا جديدًا عن الأرض يثير عقليَّتها العلميَّة.

- لن تصدقوا هذا.

قفز الجميع على قدميهم، وأحاطوا بكلارك والفتاة.

سألها بيلامي: «وما هذا؟».

نظرت كلارك إليه قبل أن تلتفت للنظر إلى الأسيرة، وتحثها: «أخبريهم، أخبريهم بما أخبرتِني إياه».



فعرف أنَّ الفتاة تفهم الإنجليزية بالفعل.

كانت هي المرة الأولى التي يرى معظم من بالمجموعة الفتاة الأرضيّة منذ أسرها. لذا كان البعض يحدِّق إليها في إعجاب، يدفعون بعضهم بعضًا لإلقاء نظرة أفضل، فيما كان آخرون يندفعون للخلف متوتِّرين. لاحظ بيلامي أن ويلز عاد بهدوء إلى منتصف المخيم، وراح يشاهد كلارك والفتاة الأرضيّة باهتمام.

ظلَّت الفتاة صامتةً بعينَيْن مُتسعتَيْن خوفًا وهي تستطلع الجمع، فطمأنتها كلارك: «لا تخافي يا ساشا».

فوجئ بيلامي ساشا؟ كيف تعرف كلارك اسمها؟ وما الذي كان يحدث بينهما وهو في الخارج يصطاد ما يسدُّ رمق المجموعة؟

تَنَحْنَحتْ ساشا، فتلاشت الهمسات التي كانت تتصاعد من الجمع: «لقد.. لقد أخبرتُ كلارك أنكم لستم أوَّلَ من يهبط على الأرض من المستوطنة».

عَمَّ الصمت على كل من يقف بالمخيم، وقال ويلز، وهو يخطو خطوات للأمام: «هذا مستحيل، كيف لكِ أن تعرفي ذلك؟».

تصلَّب وجه ساشا، ورفعت ذقنها لتنظر إلى عيني ويلز مباشرة، وقالت في صوت خفيض: «لأني التقيتهم».

تفرَّقَ الجمع في فوضى، وألقى كلٌّ منهم بنظرياته وتَخَوُّفاته دفعةً واحدة. وضع ويلز أصابعه على فمه وأطلق صافرة حازمة، وهي إشارة تذكير غير مريحة عادت ببيلامي للسنوات التي كان يقضيها هو وأمه في محاولة إخفاء أوكتافيا من أعين الحراس، إذ كانت الصافرة هي إشارتها المعروفة للاختباء. هدأ الجمع، فكرَّرَ ويلز مرتابًا: «هل التقيتِ آخرين من المستوطنة؟».

- نعم، أنا أعرفهم، بل إنَّنا تركناهم يعيشون معنا بعد تحطُّمِ سفينتهم.



ثمَّ أشارت ساشا لمئات البقايا المُحطَّمة من سفينةٍ سبق أن هبطت إلى الأرض: «أنتم لم تشهدوا هبوطًا ناجحًا من قبل، أليس كذلك؟».

لم يتحمل بيلامي المزيد من هذا: «لماذا لا تدَّخِري دروس التاريخ تلك لوقتٍ لاحق وتخبريني أين أجد أختي؟».

- لا أعرف أيَّ شيءٍ عن أختك، أنا آسفة.

- لسنا مغفلين، فأنتِ تعرفين.

رأى بيلامي رفيقته كلارك وهي تُطلق نظرات تحذيرٍ إليه، لكنه تجاهلها: «لقد قتلتم آشر، واختطفتم أختي. من الأفضل لكِ أنْ تتحدثي الآن».

قال ويلز بصوتٍ يبدو كصوت المستشار رغم أنه لم يصدر منه من قبل: «بيلامي، اتركها تنهي حديثها».

ثمَّ التفت إليها وقال بصوتٍ هادئ: «أنهي ما بدأتِه».

صوبت ساشا نظرةً سريعة إلى كلارك، التي أومأت موافقةً: «لقد هبطَتْ مجموعةٌ أخرى منكم، منذ أكثر من عام بقليل. كانوا قد فقدوا معظم المؤن التي هبطوا بها، فساعدناهم».

سألها جراهام وهو ينظر إليها بتشكُّك: «وكم شخصًا هبط إلى الأرض في المرَّة الأخيرة؟».

- عشرة، لكن لم ينجُ إلَّا سبعةٌ منهم.

فأضاف جراهام بصوتٍ يسمعه الجميع: «وكم واحدًا منهم شَقَقْتُم عنقه؟».

جفلت ساشا، لكنها تابعت: «كلُّ شيءٍ كان على ما يرام في البداية، رغم أنَّنا لم نكن معتادين على استضافة الغرباء، فكلنا نعرف بعضنا بعضًا منذ وُلدنا، وكان ظهورهم



في حياتنا هو المرَّة الأولى التي نلتقي فيها دخلاء. لكننا بذلنا ما في وسعنا للترحيب بهم».

ثمَّ تعكَّرَ وجهها، وقالت بلا مُبالاة: «لكنهم لم يَرُدُّوا لنا الجميل، لذا كان عليهم أن يرحلوا».

شيءٌ في صوتها حفَّزَ غَضَبَ بيلامي، فقال غاضبًا: «ما الذي يعنيه ذلك؟».

كان بيلامي قد سَئِمَ من ردود الفتاة المُقتضبة، فقال: «وأين هم الآن؟».

أخذَتْ نفسًا عميقًا وقالت: «مَيِّتون».

كرَّرَ ويلز، فاقدًا رباطة جأشه للحظة، فيما صعدت همهمات من الجمع: «مَيِّتون، كلهم؟».

أومأت ساشا.

ظنَّ بيلامي أنهم مجرمون، فالأرضيّون قاتلون مخبولون. فقد قتلوا آشر دون تحذير. سَرَتْ في عنقه قشعريرة عندما خطر بباله ما استماتَ لأيامٍ مُحاوِلًا قمعه حتَّى لا يظهر على السطح. ماذا لو كانت أوكتافيا قد ماتت بالفعل؟ فشدَّ قبضته وأحكمها حتَّى تركَتْ أظافره علامتها على راحة يده. إذا لم يستَعِدْ أخته، سيجعل كل واحدٍ منهم يدفع الثَّمَن، وسيكون الثَّمَنُ حياتهم.

سألها جراهام: «وماذا بعد؟ أقتلتموهم؟ ثمَّ وجدتم أنَّ ذلك لم يَكُن كافيًا فقرَّرتم قتلَ آشر أيضًا؟».

- لا، ليس هذا ما حدث، نحن...

لكنَّ جراهام أسكتها، والتفتَ ناظرًا لويلز بسخرية، وقال: «أتعلم، لم يَفُتِ الوقت على قتلها بعد».



قالت كلارك بغضب: «أيمكنكم أن تفتحوا آذانكم؟ تقول إنهم لم يقتلوا آشر!».

فطلب بيلامي التوضيح: «إذن مَنْ قتله؟». لكنه استجمع كل طاقته حتى يتفادى توجيه السؤال التالي إلى كلارك، لماذا بحق الله تأخذ صفَّ الفتاة الأرضية؟

- لم يكن أحدٌ منَّا يعتقد أنَّ مجموعةً أخرى منكم ستهبط إلى الأرض، لكنكم جئتم.

وزَّعَتْ ساشا نظراتها بين كلارك وويلز كما لو أنَّ فكرةَ الهبوط إلى هذا الكوكب اللعين تعود إليهما، ثمَّ أضافت: «حدثت بيننا شجارات وقتالات، ثمَّ انقسم منَّا فصيل وكوَّنوا مجموعةً وحدهم. هؤلاء هم مَن قتلوا رفيقكم». ثمَّ مَطَّت شفتَيْها والتفتت إلى بيلامي، وقالت: «وهم من اختطفوا أختك أيضًا».

فنظر إليها في تحدٍّ، وقال: «إذن أين هم؟».

- أتمنى لو أنَّني أعرف، فلم يرهم منَّا أحدٌ بعد أنْ رحلوا. لقد رأيتموهم مؤخَّرًا أكثر منِّي. لكن بقيتنا ليسوا على شاكلتهم.

«عزيزي القارئ، إن كنت تقرأ هذه النسخة على شكل كتاب مطبوع فتأكد من أنك تقرأ نسخة مسروقة وليس لمن طبعها الحق في البيع والشراء.. وهذه النسخة بالأصل هي نسخة إلكترونية تم تجهيزها من فيلق مكتبة ضَـاد الإلـكترونية على تطبيق تيليجرام! فتأكد من أنك تحمل هذه الرواية وتقرأها من قناتنا الرسمية. نعتذر على المقاطعة، قراءة ممتعة..

سألها بيلامي بسخرية: «ولماذا يجب علينا أن نصدِّقكِ؟».

تصاعدت همهمات الجمع موافقةً، فقال بيلامي: «هناك سبلٌ يمكننا بها التحقُّقُ مِن صحة كلامها».

قال ويلز بغضب وهو يتقدم للأمام ليحول بين بيلامي وبين الفتاة: «اصمت يا بيلامي، كلارك، اصطحبي الفتاة لكابينة المشفى وراقبيها حتَّى نُفكِّر فيما سنفعل».



قاطعه بيلامي فيما كان يتصاعد الغضب والإحباط في دمه: «سنحمل أسلحتنا ونطارد هؤلاء الملاعين لنسترجع أوكتافيا».

قالت ساشا بصوتٍ مهزوز: «لا تفعل، سيقتلونك، إنهم أكثر منَّا كثيرًا، ناهيك بأن يكونوا أكثر منكم عددًا».

دفع بيلامي رفيقه ويلز للخلف، وانتزع ذراع ساشا: «إذن سنصحبك معنا حتى نضغط عليهم».

صاحت كلارك: «دعها!».

لكن ساشا لم تكن تحتاج لمساعدة. ففي حركةٍ واحدةٍ خاطفة، ضربت بيلامي في بطنه، وحرَّرَتْ نفسها منه، ثم لَوَتْ ذراعه خلف ظهره، وقالت: «لا تلمسني».

ثمَّ تركته ودفعته للأمام، وقفزت بضع خطوات للوراء كما لو أنها استجمعت كل قوَّتها عندما دفعت بيلامي.

سألتها كلارك: «هل أنتِ بخير؟». ثمَّ مسكت مرفقها عندما بدأت ركبتاها تهتزّان.

قالت ساشا بصوتٍ أجشّ: «بخير».

سأل ويلز: «كم مضى من الوقت منذ أن تناولتِ أيَّ شيء؟».

- لم آكل منذ فترة.

عندما رأى بيلامي ويلز وهو ينظر خلفه إلى النار، حيث يُلتهم الأرنبان بالفعل، قال بصوتٍ بارد: «لن تُطعمها مِمَّا اصطدته، مستحيل».

قاطعه جراهام: «أوافق على ذلك، لن نُطعم هذه السافلة من طعامنا».



وأومأ ثلاثة أرباع المجموعة موافقين. فيما كان الآخرون منشغلين بالصراع على استخراج آخر قطعة لحم من عظام الأرنب.

قبل أن يتمكن أي شخص من الرد، صعدت صرخةٌ من شخصٍ على الجانب الآخر من المخيم. ركض بيلامي باتجاه الصوت، فركض الآخرون في أعقابه، ثمَّ اصطدموا ببعضهم بعضًا عندما توقف بيلامي فجأةً.

ظهرت تامسين فجأةً في المخيم، ثمَّ ارتمت على الأرض مُصدِرةً صرخةً عالية، والدم ينفجر من جرحٍ في ساقها، من أسفل حافة السروال بالضبط.

قال جراهام: «يا للهول!». ووقف إلى جانب بيلامي، مصدومًا غير قادرٍ على فعل شيءٍ سوى التحديق إلى السهم الذي يخرج طرفه الآخر من ساق تامسين.

بينما ركضت كلارك إلى رفيقتها، التفت بيلامي إلى الفتاة الأرضيّة. كانت تقف بين أتزوم ذات الوجه الصارم، وبين ديميتري الساخر، وعيناها مُتَّسعتان فزعًا وهي تنظر بين الفتاة المصابة وظلال الغابة. لكن بيلامي كان أكثر دهاءً مِن أنْ يُخدع بِرَدَّةِ فعلها. في المرَّةِ القادمة التي تُراق فيها الدماء في المخيم، ستكون دماؤها.

الفصل الحادي عشر

ويلز

- ويلز، استيقظ يا ويلز.

كان ثمّة شخصٌ ينكز ذراعه، فتح ويلز عينَيْه على اتّساعهما، كما لو أنه ينفض عن عقله آخر أجزاء حلم. كان يطفو على سطح مركبٍ في قناة مائية بمدينة البندقية، لا، بل كان يرتاد حصانًا ويحارب في معركة بجانب نابليون بونابارت.

كانت كيندال عند رأسه، لكنه تجاهلها وهو يقف على قدميه، الفتاة الأرضية، ساشا، تجلس حيث تركها، لم تتحرك طوال الليل، إذ لم يكن أمامها فرصة لذلك، وكاحلاها مربوطان بإحكام، ظلَّت جالسةً مستيقظة عند الشجرة، تحدِّق إلى الفراغ راسمةً على وجهها تعبيرًا غامضًا لا يتغير، كما لو أنها تخاف أن تفضحها أفكارها.

في النهاية، كان الخيار الوحيد أمامه قضاء الليل في الخارج مع الأسيرة. فالكبائن الثلاث قد اكتظَّت بما يقرب من مئة شخص هُرِعوا إلى الكبائن طلبًا للأمان بعد الفوضى التي حدثت مع الهجوم الثاني، ولا يكاد يوجد مساحة للجميع للجلوس، ناهيك بالنوم.

حمل كلٌّ من ويلز وبيلامي تامسين الغارقة في دمائها إلى كابينة المشفى. ومن ورائهم كلارك، التي دفعت الآخرين بعيدًا لإفساح المجال لأحدث مريضة. لحسن الحظ، لم يهدِّد الجرح حياتها، وحتى مع العديد من الأشخاص الذين يحاوطونها، تمكنت

كلارك من تخييط جرح قدم تامسين وتضميده، لكن عندما دخل كلٌّ من إريك وجراهام، يقتادان ساشا بينهما، انفجرت الكابينة في صيحات غضبٍ مجنونة.

زأر بيلامي: «أرى أن نقتل تلك الفتاة الآن».

فتحوَّلت الصيحات إلى صافرات تأييد، فصاح بيلامي: «لن نفعل ذلك بكل تأكيد قبل أن تخبرنا عن مكان أختي».

قال جراهام ساخرًا من بيلامي: «لا أحب أن أقول ذلك، لكن من المرجح أن يكونوا قد قتلوا أوكتافيا الآن، وفرصتنا الوحيدة لنقتصَّ منهم هي أن نقطع رأس تلك السافلة ونتركها لأصدقائها في الغابة كي يعثروا عليها».

لم يكن هناك سبيل للتوصل لحلٍّ هادئ، لن يصلوا إلى حلّ والجميع منفجرٌ من الغضب مع تصاعد هرمون الأدرينالين، ولذلك، تطوَّع ويلز لقضاء الليل في الخارج مع الأسيرة، حتى يبقيها في أمان، وفي الوقت نفسه بعيدة عن المجموعة حتى يتوصلوا لقرار بشأنها.

اعترض عدد منهم على هذه الخطة، مدَّعين أن حياة ويلز ستكون مُعرَّضةً للخطر إذا قضى ليلته وحده معها في المخيم، لكن عندما أدركوا أن الخيار الآخر هو أن تبيت ساشا ليلتها معهم في الكابينة، غرقوا في الصمت.

كان ويلز يعلم أنَّ الجميع خائفون بعدما رأوا ما حدث لآشر وتامسين، لكنه ظلَّ جالسًا مُسنِدًا ظهره على شجرة على بُعد عِدَّة أمتار من ساشا، يأكله الفضول الذي حلَّ محلَّ الخوف، فلم يستطع استيعاب أنه ينظر إلى شخصٍ ولد على الأرض، شخص بإمكانه الإجابة عن كل الأسئلة التي أبقته ساهرًا طوال الليل وهو طفل، ما شكل الثلج؟ وما الذي تبقى من نيويورك؟ وشيكاغو؟ لكنه يجب أن يخلد إلى النوم قامعًا أسئلته، لتلحق بأحلامه.

قالت كيندال مجدَّدًا: « ويلز، هل أنتَ بخير؟».



التفت ويلز إليها وفرك عينَيْه: «نعم، بخير، ماذا هناك».

- جئتُ لأسألك بشأن الإفطار، ما الحصص المسموح بها اليوم؟

زفر ويلز قائلًا: «أخشى أنَّنا محرومون من الإفطار اليوم».

نفد الأرنبان اللذان جاء بهما بيلامي، والراكون الذي اصطاده جراهام منذ فترة، وبات عليهم أن يكونوا حذرين بشأن عبوات البروتين التي لديهم، فلن يأكل أحدهم أكثر من واحدة في اليوم.

قالت كيندال: «يا للعار، استيقظتُ منذ الفجر لأحفر اسم آشر على شاهده، وقد بدا جميلًا، أتريد أن ترى؟».

- ربما ألقي نظرة لاحقًا، شُكرًا لكِ.

عندما صار واضحًا أنها لن تترك ويلز وحده، طلب منها أن تنشر الأخبار السيئة بشأن الإفطار على الجمع، بدت مستاءة لأن ويلز غير مهتم برؤية صنيعة يديها، لكنها غادرت بابتسامة، متمنيةً أن تفعل ما يفيد ويلز.

بعدما عادت كيندال مرة أخرى إلى الكابينة لتنشر الأخبار السيئة، أخرج ويلز عبوة بروتين من جيبه لم يكن قد تناولها من اليوم السابق، نظر إلى ساشا، باتت بشرتها أكثر شُحوبًا من اليوم السابق، لكن ويلز لم يعرف أكان شُحوبُ بشرتها من الضغط الذي تعرَّضت له أم مِنَ الجوع. على كل حال، لن يكون بوسعهم تركها جائعة، فهي لم تفعل ما تُلام بشأنه، وكان من القسوة معاملتها كما لو كانت أسيرة حرب.

قال ويلز بصوتٍ يشوبه الحذر، حاملًا عبوة البروتين في يده: «أنتِ، أتريدين بعضًا من هذا؟ لا بد أنَّكِ تتضورين جوعًا الآن».

نظرت ساشا إلى العبوة للحظة، ثم أعادت النظر إلى ويلز، وسألت بصوتٍ لا يزال مخلوطًا بأثر النوم: «ما هذا؟».



- إنها عبوة بروتين، ألم ترَيْها من قبل؟

هزَّت الفتاة رأسها. فأصرَّ قائلًا: «جربيها، افتحي يدك».

ثمَّ أخرج بقية العبوة في راحة يدها، ثمَّ ابتسم وهو يقسم قطعة من البروتين ويضعها في فمها، فتجعَّدَ أنفها، اعترفت: «ليس سيِّئًا كما يبدو».

ثمَّ استقطعت لنفسها قطعةً أخرى، وأتت على العبوة بالكامل، ونظَّفت يدها.

- لكنِّي أعرفُ أين يمكن أن تجد الطعام، طعامًا حقيقيًّا.

نظر إليها ويلز بتشكُّكٍ، وقال: «هل أنتِ جادَّة».

أومأت ساشا: «سآخذك هناك، إذا أخرجتني من هذا المخيم».

وقف ليفكر قليلًا، فهم بحاجة إلى الاحتفاظ بها حتى يعيدوا أوكتافيا. وحتى إذا كانت تقول له الحقيقة عن الجماعة التي انقسمت عليهم، اتَّضح أنَّ ساشا يمكن أن تكون أداة مساومة مُهمَّة. ولم يكن ليخاطر بفقدها بالوقوع في فخ.

- وما الذي يمنعكِ من الهرب إذن؟

- يمكنكَ أن تُقيِّدَ يدَيْ إذا شعرتَ أنَّ ذلك أفضل لك. اسمع، أحاول المساعدة فقط لآكل.

قال ويلز ببطء، محاوِلًا البحث في وجهها عن أيِّ علامة على الغدر: «حسنًا، لكني سأطلب من أشخاصٍ في المجموعة أن يأتوا معنا».

صوَّبَتْ نظرةً إلى ويلز، قائلةً: «لا، لن يكون الطعام لنا جميعًا، لقد وثقتُ بك ورضيتُ أن تأخذ ما يكفيكم، ولمرّة واحدة فقط، اتفقنا؟».



تردَّدَ ويلز. فقد يغضب الآخرون إذا علموا أنه ترك ساشا تغادر المخيم حتى لو ساعدتهم على العثور على طعام. لكنه تذكَّرَ مرَّةً أخرى، أن كونك قائدًا قد يعني اتخاذ القرارات الصحيحة، حتى إذا لم تكن قرارات ذات شعبية عالية. هذا هو الدرس الذي لم يسمح له أبوه أن ينساه قط.

غنَّت أمه احتفالًا بعيد ميلاده: «عيد ميلاد سعيد!»، وهي تسير خارجةً من المطبخ تحمل ما بدا أنه يشبه كعكة عيد الميلاد.

سألها ويلز بصوتٍ مملوءٍ بالدهشة وهو يشاهد أمه تضع الكعكة البيضاء المغطاة بالكريمة على الطاولة: «كيف صنعتِها؟».

أعلى الكعكة، دُسَّت اثنتا عشرة شمعة غير مشتعلة. إذ يندر العثور على الشموع بدرجة أكبر من العثور على السكر والبيض، وإذا سمحت أمه بإشعالها، فسيكون لثوانٍ معدودة.

قالت بابتسامة: «استعنتُ بالسحر، لا تقلق بشأن هذا، لم أقدم على أي عمل غير قانوني، كما أن أباك لا علاقة له بذلك أيضًا».

على عكس بعض أعضاء المجلس، كان والد ويلز صارمًا للغاية بشأن الامتثال لكلِّ تفصيلة من تفاصيل قانون الجايا، وهي مجموعةٌ القوانين التي وضعوها واتفقوا على تطبيقها مع إطلاق السفينة إلى الفضاء. لكن قبل عِدَّة دقائق من وضع الكعكة أمام ويلز على الطاولة، كان قد رأى عضو المجلس بريسيان يحمل زجاجتين ممَّا بدا واضحًا أنهما نبيذ من السوق السوداء.

ظلَّ ويلز يحدِّق إلى الكعكة بشغف. من المرجح أن ما سيتبقى سيكون كافيًا ليمنح جلاس قطعة.

- أمتأكدة أنه لن يمانع؟



لا يعرف ويلز علام سيصبُّ المستشار اعتراضه: على ضياع الموارد على شيء مشكوك في قيمته الغذائية كالكعكة، أم على الاحتفال بعيد الميلاد ككلّ؟ فالتقليد القديم للاحتفال بعيد الميلاد لشخص واحد، هو مبالغة في إبراز أهمية الشخص، بينما نوع الحياة هو المهم حقًّا، حياة المرء الجديدة كانت سببًا دائمًا للاحتفال، لكن بالنسبة إلى المستشار، فلم يكن هناك سبب لسبغ إحساس زائف بالأهمية على شخص مرَّةً كل سنة.

جلست أمه على الكرسي بجانبه قائلة: «بالطبع لا، ومع ذلك، ليس هناك حاجة لإعداد كعكة عيد الميلاد. لكن قد يمكن أن تكون كعكة لأنك صاحب أعلى الدرجات في صفك للسنة الثالثة على التوالي، أو لأنك نظفت غرفتك أخيرًا، مرحى».

- هل سيعود أبي إلى المنزل قريبًا؟

في العادة، كان المستشار يعمل لوقتٍ متأخر، ويعود لبيته بعد أن يكون قد خلد ويلز إلى النوم، لذلك نادرًا ما رآه الأسبوعَيْن الماضيَيْن، وشعر ويلز بالحماسة من فكرة أنه قد يقضي المساء كله مع أمه وأبيه.

- سيعود قريبًا.

ثمَّ انحنت أمه عليه وطبعت قبلةً على جبهته: «لقد أخبرتُهُ أنَّنا سنحظى بعشاء خاص على شرف أهم ابنٍ في الكون».

سألته أمه عن دروسه وهي تضع السلطة في الصحون، فروى لها حكايةً طريفةً عن صبيٍّ في صفه سأل المعلم عن عدد الديناصورات التي ماتت في أثناء الجائحة.

قالت أمه: «لماذا لم تبدأ تناول الطعام؟».

فزمجرت معدته مُصدِرةً صوتًا عاليًا من أثر الجوع.

من خلال النوافذ، خفَّتْ أضواء الطريق.



لم تقل أمه أيَّ شيء، لكن ابتساماتها خفتت، وضحكاتها باتت اضطرارية. وفي النهاية ربتت على كتفه وضغطت على يده، وقالت: «أعتقد أن أباك سيتأخر الليلة أيضًا. لنحتفل بالكعكة الآن، اتفقنا؟».

قال ويلز محاوِلًا إبقاء صوته مبتهجًا: «بالتأكيد».

ومع ذلك، كان يتعمد تجنب النظر في عينَيْ أمه، كانت الكعكة حلوة ودسمة، إلا أنه كان يجتهد لإخفاء خيبة الأمل عن وجهه لدرجة أنه بالكاد شعر بطعم الكعكة. يعرف أن الذنب ليس ذنب والده، فباعتباره مستشارًا، لم يكن والده مسؤولًا عن من في المستوطنة فقط، بل مسؤولًا عن مستقبل الجنس البشري بتمامه. لذلك، كانت مسؤوليته الأولى هي ضمان بقاء النوع لأطول فترة ممكنة قبل أن يعود إلى الأرض مرَّةً أخرى. ومهما كان ما يبقيه في العمل لساعات طوال، فهي أمور لها الأولوية بالطبع على عيد ميلاد ابنه.

أحسَّ ويلز بشعورٍ مفاجئ من الذنب وهو يتخيل والده جالسًا وحده في مكتبه، بوجهٍ متعبٍ وهو منكبٌّ على آخر التقارير المثيرة للقلق، غير قادر على تفهم المتعلقات الثمينة التي تجعل غرفة ويلز هي المكان المفضل له دونًا عن سائر السفينة. فلم يكن ويلز يتوقف عن النظر إلى النسر المحنط أو يستغرق من الزمن ما لا يحصى ليتأمل في جمال لوحة المرأة ذات الشعر الأسود الفاحم وابتسامتها الغامضة، الشيء الوحيد الذي نظر إليه والده وأعطاه اهتمامًا في غرفة ويلز، هو حامل قلم محفور عليه حكمة قديمة تقول: «نحن لم نولد فقط لأنفسنا Non Nobis Solum Nati Sumus»، مقتبسة من كاتب روماني يُدعى شيشرون.

انفتح الباب، ودخل أبوه ورغم إرهاقه البادي عليه، فظهره مستقيم وخطواته مُتّزنة. وزَّع نظراته بين الأم وبين كعكة عيد الميلاد. زفر وقال: «أنا آسف، امتدّ اجتماع المجلس أكثر مما توقعت، ولم أستطع أن أحمل بيرسبان على التوقيع على المعايير الأمنية الجديدة في والدن».

نهض ويلز على قدميه سريعًا، وقال: «لا بأس».



لكنه هزَّ الطاولة في أثناء قيامه فترنحت الأطباق، وتابع: «لقد ادخرنا لك نصيبك من الكعكة».

طبع على وجنة أمه قبلة ونظر إلى ويلز نظرةً فظة، وقال: «لا يزال لديَّ عملٌ أنجزه، عيد ميلاد سعيد».

- شُكرًا لك.

وتساءل ويلز ما إذا كانت مسحة الحزن في عينَيْ أبيه من خياله فقط.

اختفى المستشار داخل غرفته قبل أن يقفز سؤال آخر غير مرحب به في عقل ويلز. إذا كان ثمة مشكلة بين أبيه وبين بيرسبان، فلماذا رأى ويلز عضو المجلس في الساعات الأولى من الصباح على سطح السفينة؟

تلوّى بطن ويلز عندما جاءه خاطر غريب وغير مريح. إن والده يكذب.

قال ويلز مُؤيِّدًا ساشا: «حسنًا، لكن إذا كنا سنذهب، فعليَّ أن أعقد حبلًا بيني وبينكِ، حتى لا تهربي بمجرد أن نذهب إلى الغابة».

أومأت ساشا: «حسنًا».

ثمَّ مدَّت يدَيْها إليه. جفل ويلز عندما رأى التقرحات الجلدية على رسغ ساشا، من أثر عُقد الحبل الذي كان يقيدها به.

- سأستخدم القيود المعدنية هذه المرة، وستكون أقل إثارة للحكة.

أحضر القيود المعدنية من خيمة المؤن، ثم أخذ بعض الضمادات، التي استخدمها في تضميد التقرحات الجلدية على رسغ ساشا الأيمن قبل أن يضع عليه القيد. توقف



للحظة، ثمَّ وضع القيد على رسغه الأيسر، واطمأن إلى أنه وضع المفتاح في عمق جيبه. وقال: «جاهزة؟».

فأومأت، وبعد استطلاع الأجواء حولهما للتأكُّد من عدم مراقبة أيِّ شخص. قادها عبر صفِّ الأشجار، لكنه قلَّص خطوات قدميه، لأنه أدرك أنه يتحرك بسرعة، عندما صدرت جلجلة من القيود المعدنية.

بات السير معًا أكثر صعوبة بمجرد أن دخلا إلى الغابة، وبينما كان على ويلز أن يبطئ سيره للحذر من جذوع الأشجار المكشوفة والأحجار المغطاة بالطحالب، كانت ساشا تسرع من خطواتها، وتنتقل بخفة على نفس العراقيل التي تعوق ويلز عن السير. لم يكن ويلز قادرًا على أخذ خطوة دون أن يُصدر ضجيجا، فيما كانت ساشا تتحرك بصمت كان من الواضح أنها داست هذه الأرض مرات من قبل.

اصطحبت ويلز إلى تلة لم يرها في حياته من قبل، حيث كانت الأشجار أنحف والعشب ينمو ليصبح أطول، في طول ركبتيك. فكَّت ساشا جديلتها الطويلة، فانفضَّ شعرها الطويل الفاحم على ظهرها.

قال أخيرًا: «أتعتقدين أنهم قلقون بشأنك؟».

في البداية، شكَّ ويلز أنها سمعته، لأنها لم تلتفت إليه أو تقترب منه خطوة. لكن السلسلة التي تربطهما اهتزت بخفة. قالت: «قلقون، وغاضبون. لقد أُمرنا أن نبقى على مسافة منكم، لكن كان عليَّ أن أرى بنفسي».

مدَّ ويلز خطواته فصارا يسيران جنبًا إلى جنب للمرَّة الأولى.

- لقد قضيتُ كامل عمري في تخيل كيف تبدو الحياة في الفضاء. وما كنتم جميعًا عليه. والحال أني لم أتعرف على الجمع الذي هبط في المجموعة الأولى، فكان من النادر أن أتحدث إلى أيٍّ منهم، لذا عندما هبطتم. لم يكن عليَّ تفويت الفرصة.

ضحك ويلز، ثمَّ جفل عندما ضاق القيد على يديه.



توقفت ساشا عن متابعته ونظرت إليه، وقالت: «ما المضحك إلى هذا الحد؟».

- لا شيء، لكني ضحكتُ عندما فكرت أنكِ تتخيلين الحياة في الفضاء بينما قضيتُ طوال عمري أتساءل عن شكل الحياة على الأرض.

نظرَتْ إليه نظرةً غريبة، لكنها تابعت السير، وقالت: «حقًّا؟ ما الذي تريد معرفته عن الأرض؟».

تردَّدَ ويلز للحظة، ثمَّ قال: «كم عدد من نجوا من الجائحة؟ وهل لا تزال هناك مدن قائمة؟ وما أنواع الحيوانات التي لا تزال تسعى على الأرض؟ وهل رأيتِ زُرقة المحيط من قبل؟ وما الذي حدث حين....».

ثمَّ سكت فجأةً حين رأى ساشا تضحك. قال: «ماذا؟».

- لماذا لا تسأل كلَّ سؤال على حِدَة؟

قال ويلز وعلى شفتَيْه ابتسامة: حسنًا. السؤال الأول إذن، من نجا؟ وما الذي حدث بعدما ضربت القنابل الأرض؟».

اعترفت ساشا: «لا نعرف على وجه التحديد. لكن أجدادنا نجوا لأنهم شيّدوا ملجأً مُكتفيًا ذاتيًّا في أعماق الأرض، حيث وقاهم الحجر الجيريّ من الإشعاع. ولم يصعدوا إلى سطح الأرض مجدَّدًا إلَّا منذ خمسين عامًا مضت. ولم تعد هناك إشارة إلى حياة بشرية على حدِّ علمنا، فنحن وحدنا من نجونا. لكن من يعلم؟ يمكن أن يكون هناك غيرنا حول العالم».

- وأين نحن بالتحديد ؟

رفعَتْ حاجِبَيْها متسائلةً إن كان يمزح: «ألا تعرف حقًّا؟ نحن في أمريكا الشمالية، في مكانٍ كان يُدعى فيرجينيا. ألم يخبروكم أين ستهبطون؟ ما الذي يستدعي كل هذا التّكتم؟».



تردَّدَ ويلز، وبات غير مُتأكِّدٍ إلى أيِّ مدى يمكنه أن يكشف عن حجم المهمة. إنَّ الاعتراف بأنهم ارتكبوا جرائم وأُرسلوا للموت في عيد ميلادهم الثامن عشر ربما لن يكون السبيل الأمثل لكسب ثقتها. فقال: «لم تكن السفُنُ مُزودةً بنظامٍ متطور لتحديد المواقع، فلم نكن على يقين أين سينتهي بنا المطاف».

نظرت إليه ساشا مُتشكِّكةً: «إلَّا أنكم هبطتم على بُعد عشرة أميالٍ فقط من السفينة التي هبطت قبلكم.

لا بد أنكم أُرسلتم إلى هذه المنطقة لسبب. ومن المُرجَّح أن يكون العثور علينا هو السبب، أليس كذلك؟».

ارتعد ويلز من الفكرة، فلم يكن أحد على المستوطنة يعرف بوجود قوم ساشا، أليس كذلك؟ قال ويلز مُتلهِّفًا لتغيير الموضوع: «إذا كنا الآن في فيرجينيا، فهذا معناه أنَّنا قريبون من واشنطن العاصمة؟ هل نجت أيٌّ من مباني واشنطن؟».

ثمَّ تسارعت دقات قلبه عندما فكر في اكتشاف بقايا البيت الأبيض، أو مكان أفضل، مثل المتحف، ففي واشنطن تقع أشهر متاحف العالم. تسرَّب إليه الإحباط عندما هزَّت ساشا رأسها: «لا، لقد امحت المدينة تمامًا، ولا يوجد إلَّا بقايا بعض المباني التي لا تزال قائمة». ثمَّ قالت وهي تتفادى غصن شجرة: «هاك، احذر رأسك».

قادته عبر جدول مائي صغير يُفضي إلى بستان مملوء بالأشجار تصطفُّ بجانب بعضها بعضًا، بحيث كانت أغصانها تُشكِّل سقفًا أعلى رأسيهما، شعَرَ ويلز فجأةً بأنه مغفل، لأنه تركها تصطحبه في اتجاه لم يسلكه أيٌّ من المئة من قبل. ماذا لو كانت تنصب له فخًّا؟

لمس شيءٌ لزج وناعم مؤخرةَ عنقه، فأطلق صيحةً عالية، وسحقه بيده. نظر إليه فرأى خيوطًا تشبه خيوط العنكبوت بين أصابعه. قال محاوِلًا أنْ يتخلص منها: «ما هذا؟».

ضحكت ساشا، وقالت: «اهدأ».



لكن لم يستطع ويلز أن يضحك مدركًا إلى أيٍّ مدى يبدو مغفلًا.

- إنها شبكة عنكبوت، أترَيْن؟

أشارت فتطلع ويلز إلى الأعلى ليرى إحدى الأشجار مغطاة بأنسجة ناعمة، وخيوط لامعة تمتدُّ عبر الأغصان، مكوِّنةً ما يشبه الشبكة.

بدأت ساشا في سحبه للأمام، لكن لم يكن بوسعه أن يشيح بوجهه عن بديع المنظر. فالشبكة التي رآها كانت آسرة بشكل غير متوقع، تتشكل من أشكال هندسية غريبة الجمال عبر فروع وغصون وورق الأشجار.

- ظننتُ أن العناكب صغيرة.

- أحيانًا. لكن الأنواع التي تعيش في الغابة تتميَّز بحجمها الكبير.

ثمَّ رفعت ذراعها وقالت: «أقدامها يمكن أن تكون بهذا الطول».

قمع ويلز رجفته وأسرع ليلحق بساشا. كانا هادئَيْن وهما يواصلان السير في البستان. تمتصُّ أوراق الأشجار المنثورة على الأرض أصوات أقدامهما، وتحجم رهبة الصمت التي تلفُّ المكان ويلز عن إفساد السكينة. كان الأمر أشبه كما لو أنهم عادوا إلى السفينة، فالناس يخفضون أصواتهم بمجرد أن تطأ أقدامهم سطح إيدن هول، التجمع البشري الوحيد، يهيمن عليه أشخاص يعتقدون أنهم آخر شجرة للحياة على الكون، صعدوا إلى فينيكس عندما باتت الحياة على الأرض في حكم المُحال. كان هذا هو الحال حتى أضرم ويلز النار فيها، ساعيًا إلى اعتقاله حتى يُرسَلَ إلى الأرض مع كلارك.

بعد عشر دقائق أخرى، انخفضت كثافة الأشجار على جانبي الطريق وقادته ساشا عبر منحدرٍ حادٍّ عندما وصلا إلى قمة التبة، وقفت ورفعت يدها، قائلةً: «ها نحن أولاء».

وأشارت إلى مجموعة من الأشجار أمامهما في البداية، لم يلاحظ ويلز أن هناك ما يميزها عن غيرها. لكن بعد لحظة دقَّقَ وتحقَّقَ، وأدرك أن ثمّة ما يتدلّى من أغصان الأشجار.

قادته تجاه أقرب شجرة فلاحظ الأغصان مشدودةً تحت وزن عشرات الثمرات البيضاوية الخضراء الطويلة، وقفت على أطراف قدميها ثم مدت يدها أعلى رأسها، لكن أصابعها بالكاد طالت أدنى ثمرة على الغصن.

- اسمحي لي.

مد ويلز ذراعه فتمكن من الإمساك بالثمرة التي تحاول ساشا الوصول إليها. قَطَفَها من على غصن الشجرة وسلَّمها إلى ساشا مدهوشًا من ملمسها المنبعج. بحركاتٍ تنمُّ عن الخبرة، بدأت ساشا إزالة القشرة الخارجية، كاشفةً عن بذور زهرية ساطعة، فسألها ويلز: «ما هذا؟».

- أليس لديكم ذُرة في الفضاء؟

- نزرع بعض الخضروات في نظام الصوبات الشمسية، لكن لم أر مثل هذه الثمرات من قبل.

توقَّفَ ثمَّ تابع: «ألم تكن الذُّرَة تنبت من الأرض؟».

هزَّت ساشا كتفيها، وقالت: «ربما كانت كذلك في الماضي، لكنها الآن تُزهر على الأشجار، انظر إلى ثمرات الذُّرَةِ الزرقاء، مذاقها لاذع للغاية»، ثمَّ رفعت يدها المُقيَّدة، «إذا وضعتَ تلك جانبًا، يمكننا أن نتسلَّق الأشجار ونقطف كل ما يسعنا حمله».

توقَّفَ ويلز، فهو بحاجة إلى أن يثق بها، وبطريقة ما، شعر أن بوسعه الوثوق بها، لكن رغم ذلك قد تمثل تلك الثقة مخاطرة هائلة لا تغتفر.

صمتت ساشا للحظة، ثمَّ رفعت يدها المُقيَّدة. ومن دون كلمة، أدخل ويلز المفتاح



في القيد وأداره حتى انفكَّ قيدها. ضمَّت وفردت أصابعها أكثر من مرَّة، ثمَّ هزَّت يدها وابتسمت قائلة: «شكرًا».

وفي لحظة، ارتقت بجسدها إلى جذعِ شجرة، ومن جذعٍ إلى فرع. بدا الأمر يَسِيرًا بالنسبة إليها، لكن ويلز أدرك أنه سيكون من العسير عليه متابعتها. فلحاء الشجرة خشن، لكن الطحالب التي تغطيه زلقة، وقد استغرق الأمر منه بضع محاولات حتَّى يحمل جسده إلى الجذع.

انقطعت أنفاسه عندما وصل إلى ثالث غصنٍ من أغصان الشجرة، حيث يتكاثف نمو الذُّرَة. أما ساشا، فكانت على وشك الوصول إلى أعلى فروع الشجرة بالقفز من واحد لآخر كما لو أنها تبدل ملابسها، مستخدمةً كلتا يديها لقطف الذُّرَة وإلقائها على الأرض، التي بدت فجأةً بعيدةً للغاية.

أخذ ويلز نفسًا عميقًا وأجبر نفسه على أن يتطلع لأعلى، فرأى مشهدًا يحبس الأنفاس. ورغم أنه رأى المئات من الصور التي أُخِذَت لمناظر رائعة للأرض. لكن ليس هناك صورة بجمال البستان المعروض أمامه. المرج الساطع الممتد تحته، يقدم نقيضًا مذهلًا لمعالمِ الجبال الغامضة الأرجوانية التي تظهر على مسافة كبيرة أمامهما. وشعر بارتعاد جسده عندما وقعت عيناه على قمة الجبال التي تكتسي باللون الأبيض. الثلج.

قال ويلز قبل أن يزن كلماته: «سيكون على أبي أن يرى ذلك».

التفتت ساشا قائلةً: «أبوك؟ هل سيهبط المزيد منكم إلى الأرض؟».

لم يدرِ ويلز لماذا شعر بالذنب بسبب النبرة الاتهامية التي تختلط بصوتها. فالمستوطنون قضوا آخر ثلاثمئة عام وهم يحاولون اكتشاف كيف يعيدون الجنس البشري إلى الأرض مرة أخرى، وفي النهاية، إن حقهم في العيش على الأرض يماثل حق الأرضيِّين تمامًا.



قال: «بالطبع، فالسفن لم تُبنَ لتجري في الفضاء إلى الأبد. في النهاية، سيهبط الجميع».

وظنَّ ويلز أن النهاية ستكون في غضون أسابيع قليلة، والفضل يعود له. فبعد اعتقال كلارك، استمات ويلز ليتأكد من أن السلطات سترسلها إلى الأرض بدلًا من توقيع عقوبة الإعدام عليها. وكان يعرف أن المجلس ينوي إرسال المراهقين الذين صدر بحقهم تُهم، وأدرك أن المهمة يجب أن تُنفذ قبل أن تتم كلارك عامها الثامن عشر، فأقدم على فعلٍ صارمٍ وخطير. إذ خرَّب غرفة معادلة الضغط مُتعمِّدًا. ولم يعد أمام المستوطنين سوى القليل من الوقت المتبقي لهم في الفضاء، وبالتالي سيجبرون على الهبوط إلى الأرض. لا يزال ويلز يشعر بالذنب لفعلته، لكنه أنقذ حياة كلارك رغم كل شيء.

- ألم يُرِد والدك الهبوط إلى الأرض معك؟

ضاق صدر ويلز عليه وهو يسترجع اللحظات الأخيرة التي رأى فيها والده، والدم يلطخ ملابس المستشار عندما أُغلق باب السفينة. قضى ويلز الأسابيع القليلة الماضية محاوِلًا إقناع نفسه أنَّ الجرح سطحي، وأنَّ تعافي والده مسألة وقتٍ ليس أكثر، بل أنه سيُفاجأ به يهبط إلى الأرض مع الموجة القادمة من المستوطنين. لكن ويلز لم يجد سبيلًا لمعرفة ما حدث فعلًا، أو أنَّ والده لا يزال على قيد الحياة.

- لديه العديد من المسؤوليات على السفينة، فهو المستشار.

اتَّسعت عينا ساشا، وقالت: «أهو إذن المسؤول عن الجميع؟ ألهذا أنت قائد المجموعة على الأرض؟».

قال ويلز معترضًا: «لستُ القائد».

- يبدو أن الجميع ينصاع لأمرك.

زفر ويلز: «ربما، لكني دائمًا ما أشعر أني سأخذلهم بغض النظر عما أفعله».



أومأت ساشا قائلةً: «أعرف هذا الشعور، فوالدي... حسنًا، هو المسؤول عن قومنا هنا أيضًا».

حدَّقَ ويلز إليها من المفاجأة: «حقًّا؟ أيشغل والدك منصب المستشار؟».

- لا نستخدم هذا المصطلح هنا، لكنه يبدو مماثلًا لما نطلقه على الزعيم.

- أنتِ تدركين إذن أن التزامات المنصب تقتضي....

ثمَّ صمَتَ عابسًا. إذ يندر خلط مشاعره في أحاديثه، فقد قضى الست عشرة سنة السابقة مُحاوِلًا تجاهل مشاعره على أي حال.

- تقتضي ماذا؟ أن تكون في مستوى أعلى من الجميع؟ أن يفترض الجميع أن بوسعك معرفة الأجوبة كافة، عندما تكون جاهلًا بالأسئلة التي من المفترض أن تسألها غالبية الوقت؟

ابتسم ويلز: «نعم، شيء من هذا القبيل».

ألقت ساشا ثمرة ذُرةٍ أخرى على الأرض، وعضَّت شفتيها.

- أُشفق على والدي، لكن بصراحة، يمكنكَ أن تلقي اللوم عليَّ، فقومي يُحوِّلون كل ما أفعله لإعلان سياسي.

- وما الذي تفعلينه؟

ضحكت ساشا بخبث: «أشياء ممنوع عليَّ فعلها. منها القدوم إلى هنا». ثمَّ نظرت إلى ويلز وتلاشى المرح من وجهها: «وماذا عنك؟ لا بد أنَّ والدك يثق بك ثقةً عمياء ليرسلك إلى الأرض وحدك؟».

تردَّدَ ويلز، فعلى كل حال من الأفضل تركها على عماها، إذ ستكون ساشا أكثر حذرًا في تعاملها مع جماعته إذا اعتقدت أنهم مُدرَّبون تدريبًا خاصًّا، ومختارون بعناية لهذه



المهمة، على عكس المجرمين عديمي الجدوى الذين أُرسلوا من قبل ليلقوا حتفهم.

هبت ريحٌ على الشجرة، فطار شعرها المجعد على وجهها. اندهش ويلز كيف يمكن للسحر الذي يراه في عينَيْ ساشا ساطعتَيْ الخضار إجباره على اتخاذ ردود فعل متهورة، قال: «من الصعب أن تصدقيني إذا قلتُ لكِ الحقيقة».

رفعت ساشا حاجِبَيْها: «حاوِل».

- لقد اعتُقِلتُ منذ عدة أسابيع، لأني أضرمت النار في الشجرة الوحيدة الموجودة على المستوطنة.

نظرت إليه للحظة بدت طويلة، ووسط دهشته، ضحكت ثم أحنَتْ قدمها على فرعِ الشجرة، وقالت: «أعتقد أنه من الأفضل أن تسرع قبل أن تكرهني».

ثمَّ علقت ساشا نفسها في الفضاء، وهبطت إلى الأرض بخفة، ثمَّ صاحت: «هيا، لدينا ما يكفي من ثمار الذرة. أم أنك خائف من شيء ما؟».

هزَّ ويلز رأسه، فلم يعد يهتم ما إذا كان بوسعه الهبوط من الشجرة أم لا. فللمرة الأولى منذ هبوطه إلى الأرض، لم يشعر أنه خائف من أيِّ شيء.

الفصل الثاني عشر

جلاس

كسر لوك أخيرًا حاجز الصمت الذي عَمَّ غرفة الإصلاحات قائلًا: «لن تفعلي هذا».

وصلا الآن إلى غرفة الحراس المهجورة، التي تحوي البدلات التي يستخدمها لوك وزملاؤه المهندسون عندما يخرجون إلى الفضاء.

- الأمر ليس خطيرًا فقط، بل يُعَدُّ انتحارًا. إذا كان أيُّ شخص سيذهب للخارج، سيكون أنا فأنا مُدرَّب على فعل هذا.

وضعت جلاس يدها على ذراع لوك، ولدهشتها كان يرتجف. قالت: «لا». ونظرت في عينيه لأوَّلِ مرَّة منذ أن أسرَّت إليه بخطتها: «من الجنون أن تخاطر بحياتك للخروج في الفضاء، ويطلق النار عليك بمجرد أن تصل إلى فينيكس».

- لن يكون الحراس في انتظاري عند الفتحة الهوائية. لا أعتقد أنهم يتوقعون أن ثمة مجنونًا سيحاول العبور إلى هناك من خارج السفينة.

الخروج إلى الفضاء لم يكن يُجرَى حصرًا عن طريق لوك وفريقه المُدرَّب تدريبًا عاليًا، لكن الخروج إلى الفضاء كان يُجرى حين لا يكون هناك مفرٌّ من ذلك، حينها، من الواجب على الجميع أن يقدم الدعم، مع مراقبة مستويات الأكسجين والضغط، وتجنب مخاطر الحطام في الفضاء، ووجود معدات بديلة إذا عطبت واحدة، غضَّت جلاس النظر عن كل ذلك وهي تفكر في عبور الفتحة الهوائية إلى فينيكس.



أصرَّت: «فتح الفتحة الهوائية سيطلق أجراس الإنذار. قد يعتقلونني لكنهم لن يطلقوا النار عليَّ على مرأى من الجميع».

قال لوك بصوتٍ أجشّ: «جلاس، لن أتركَكِ تفعلين هذا».

نظرَتْ إليه بهدوء: «لا أفعل ذلك لأجل خاطرنا. غلق الجسر الجوي سيترك فينيكس ووالدن للموت. وأنا لا أستطيع مشاهدة معاناة الأبرياء خاصَّةً إذا كان يمكن أن يكون لدي ما أفعله. عليَّ أن أفتح الجسر الجوي».

زَفَرَ لوك وأغلق عينَيْه وقال: «حسنًا»، ثمَّ أخذ نفسًا عميقًا، «لنبدأ».

بدأ بمراجعة المعدات بطريقة منهجية، وشرح لها كيف تعمل جميع المعدات، بدلات الضغط والملاقط، والحبل الذي يربطها بالسفينة وهي في الخارج. كانت نبرة صوته هادئةً وعملية، كما لو أقنع نفسه أنه يُدرِّب حارسًا جديدًا، وليس الشخص الوحيد الذي يحبه في الكون.

قاد جلاس للنافذة الكبيرة التي تقع بجانب الفتحة الهوائية ثم أشار إلى المقابض التي تمتد بجانبها: «الفتحة الهوائية في فينيكس يمكن أن تُفتح من الخارج، فقط أديري العجلة الكبيرة، ستدخلين بعدها إلى غرفة الفتحة الهوائية، وبمجرد دخولك، سأتوجه إلى الجسر الجوي والتقيكِ هناك».

قالت جلاس وهي تبتسم: «هل نلتقي في مواعدة؟».

أخرج لوك واحدة من بدلات الحراس الحرارية وأعطاها لجلاس قائلًا: «آسف، هذه أصغر بدلة هنا، ومن الواضح أنها صُنعت لشخصٍ أكبر منكِ كثيرًا، لكنكِ مضطرّة إلى ارتدائها».

خلعت جلاس قميصها وسروالها سريعًا، مرتعدةً من البرد القارس الذي يتصاعد بجانب الفتحة الهوائية. وبينما ترتدي البدلة الحرارية، نظرت إلى لوك فوجدته يحدق إليها بجِدَّة كما لم يفعل من قبل، كما لو أنه يحاول أن يحفظ ذكرى لكل ذَرَّةٍ



من مسام جسدها.

- يجب أن تحزمي البدلة بصرامة، فلن يكون لها فائدة إذا لم تكن شديدة الضيق على جسدك.

وقفت جلاس ثابتةً وهو يُجري يديه على البدلة بكل تجعيدة من تجاعيدها، مرَّت يداه على كتفيها، ثمَّ ظهرها، وفخذيها. ارتعدت جلاس في كل مرَّة كانت يداه تلمسان جزءًا جديدًا من أجزاء جسدها، وشعرت بشعور مفاجئ من الخسارة. ماذا لو كان يلمسها للمرة الأخيرة؟

أخيرًا، أخرج بدلة الفضاء، وتفقد كل التجهيزات الملحقة بها قبل أن ترتديها جلاس. لم يتفوَّها بكلمة عندما كان لوك يساعدها لارتداء الجزء السفلي من البدلة، ويشده بإحكام حول خصرها. طلب منها رفع ذراعيها أعلى رأسها. وجهه شاحب، لكنه أغلق الجزء العلوي للبدلة مع السفلي في آن، فأصدرت البدلة نقرة، وشهقت جلاس بحِدَّة.

سألها لوك وهو يأخذ بيدها: «هل أنتِ بخير؟».

أومأت. فتح فمه ليرد عليها، ثمَّ غيَّر رأيه وأخذ القفاز ووضعه في يدها. لم يتبق سوى الخوذة، فقالت جلاس وهي ترفع يدها: «ربما عليَّ أن أُلملِمَ شعري».

- سأفعل هذا عنكِ.

أزال الشريط المطاطي عن البدلة، وخطا خلفها وشكَّل شعرها على شكل ذيل حصان، ودسَّ الشريط المطاطي برفق في شعرها وربطه بإحكام.

الفصل الثالث عشر

كلارك

مع انتصاف النهار، خرج معظم من كان في الكابينة. فبعد اثنتي عشرة ساعة من التدافع لشغل مساحة في غرفة كثيفة بالناس ومُعبَّأة برائحة الخوف والعرق، قرَّرَ الجميع فيما يبدو أن الأرضيِّين لم يعودوا يشكلون تهديدًا كالسابق.

لكن المزاج العام في المخيم لا يزال متوترًا، راحت مجموعة كبيرة تعمل بجدٍّ لبناء كابينة رابعة في المخيم حتى تكون ملاذًا أكثر راحة. ولم يجد أحدهم ويلز فتولى بيلامي المسؤولية، إذ كان بوسع كلارك أن تسمع صوته من بعيد وهو يعطى الأوامر حول طريقة بناء أساسات الكابينة ودعاماتها الخشبية.

ابتسمت كلارك، لكنها انسلَّت من المخيم لتتفقَّد مولي وفيليكس. لم تشهد حالتهما أي تحسن، بل إن الأمر يسوء، فكلارك وجدت أن ثمة اثنين آخرَيْن من المجموعة، صبي آركادي وفتاة ولدانية، بدأ يظهر عليهما الأعراض نفسها، إرهاق وغثيان ودوار.

كانت بريا بداخل كابينة المشفى تساعد مولي على شرب رشفات من الماء وهي بين النوم واليقظة. أومات إلى كلارك ثمَّ وضعت رأس مولي على فرشتها بلطف. سارت حتى كلارك حاملةً كأسًا معدنية. وقالت بهدوء: «ظننتُ أنَّنا يجب أن نستخدم هذه الكأس للمرضى، تحسبًا لو كان مرضهم مُعديًا».



- هذه فكرة جيدة، ومع ذلك لا يبدو أنكِ خائفة من أن تصابي بالعدوى.

هزَّت بريا كتفيها، ثمَّ دسَّت أطراف شعرها الفاحم خلف أذنها.

- إذا لم نكن قادرين على الاعتناء ببعضنا بعضًا، فهذا يعني أن ما يقولونه عنَّا صحيح.

- يقولوه عنَّا؟

- من أرسلونا للموت في عيد مولدنا الثامن عشر. أتعلمين أنهم أخرجوني من غرفة الإعدام. فقد كان الطبيب على وشك أن يحقنني بحقنة الإعدام عندما جاءته رسالة تخبره أن عقوبتي تبدَّلت بالعودة إلى الأرض.

سألتها كلارك بهدوء بعدما شعرت أنه من المناسب أن تسألها السؤال الذي يُعَدُّ مُحرَّمًا في مخيمهم: «وما جريمتك؟».

لكن قبل أن تجيب بريا، انفتح الباب ودخل إيريك متثاقلًا، قلقًا والإنهاك بادٍ على وجهه، وقال مُتخلِّيًا عن أيِّ شرطٍ من شروط الكياسة: «أظن أنكِ يجب أن تعطيهم الحبوب».

فتحت كلارك فمها لتستنكر ما يقوله لكنه قاطعها قائلًا: «أنا أعرف بشأن حبوب الشفاء من الإشعاع، وأعتقد أن المرضى يجب أن يبتلعوها الآن».

نظرت كلارك إليه نظرةً تمنَّتْ أن تكون موحِيَة ومُعزِّزة للثقة بالنفس، وقالت: «المرضى ليسوا مصابين بالتسمُّم الإشعاعي».

واستدعت ما تبقى لديها من الصبر بعد الليلة المُزرية التي مرّوا بها أمس وقالت: «هذه الحبوب ستقتلهم إن ابتلعوها لأيِّ مرضٍ آخر».

- كيف يمكنكِ أن تكوني بهذا اليقين؟ فأنتِ لم تُنهِ تدريبكِ الطبي. ما الذي تعرفينه عن التسمُّم الإشعاعيّ أصلًا؟



شحب وجه كلارك، ليس من الإهانة التي وجَّهها إليها إريك، فهي تعلم تمام العلم أنه لم يقل ذلك إلَّا لقلقه على فيليكس، لكن للسِّر الذي ظلَّ يؤلم صدرها، والذي كان سامًّا أكثر من أيِّ جرح، فلا يعرف إلَّا اثنان فقط على الكوكب لماذا كانت كلارك محبوسة، ولا يعرف أيُّ شخص على وجه البسيطة أيَّ شيء عن تجارب والديها، أو عن الأطفال الذين كانوا يعانون من تجاربهما.

جرَّبَتْ كلارك سبيلًا آخر، وقالت: «إذا كان هناك أيَّ تسمُّمٍ إشعاعيّ على الأرض، لكان أولى أن يُصاب به الأرضيون».

- ليس إذا تطوَّروا ليتكيَّفوا مع ذلك أو شيء من هذا القبيل.

لم يكن عند كلارك إجابة عن ذلك، لكنها كانت تستميت لتستفهم من ساشا عن المستوطنين الذين جاؤوا منذ عام، ثمة نظرية كانت تغزو عقلها منذ أن تعثَّرت بالعظام في الغابة. لكن هناك حلقة مفقودة لا تعرف كيف تسدها. باتت كلارك على يقين من ذلك. وما عليها إلَّا أن تكتشف المزيد من التفاصيل.

قالت: «لا تقلق».

وضعت يدها على كتف إريك قائلةً: «سنكتشف ما الذي أصابهم. وسيكونون بخير حال عما قريب، لكن هل يمكنكَ أن تراقبهم أنتَ وبريا لبعض الوقت؟ سأعود سريعًا».

أوْمَأَ إريك، ثمَّ زفَرَ جالسًا على الأرض إلى جانب فرشة فيليكس. راقبته بريا للحظة، ثمَّ جلسَتْ بجانبه وشدَّتْ على ذراعه، وقالت: «اذهبي يا كلارك، سنكون على ما يرام».

نظرت كلارك بعينين مُغمضتَيْن وهي تسير باتجاه الشمس. خفَّ الألم في ذراعها تقريبًا، وصفا ذهنها لأوَّلِ مرَّة منذ أيام. لكن بينما تشعر بحال أحسن على المستوى الجسدي منذ أن لدغها الثعبان، إلَّا أن القلق يثور بداخلها بحثًا عن ساشا. هل تمكنت من الهرب بطريقةٍ ما وهي تحت عينَيْ ويلز؟ أم حدث الأسوأ، هل اختطفها



جراهام وأصدقاؤه إلى مكان ما؟

فحصت المخيم الذي كان شعلةً من النشاط، ينشغل معظمه بتشييد الكابينة الجديدة. إذ كان جماعة من الناس يسحبون قطعًا كبيرة من الخشب إلى موقع البناء الجديد، فيما يقطع آخرون أجزاء الخشب الكبيرة إلى أخرى أصغر حتى تتلاءم مع بعضها بعضًا، وبعض الفتية الأكبر سنًّا بدؤوا في دقِّ الجذوع في أماكنها التي حفروها لتكون أساسات للكابينة، وبيلامي كان واحدًا منهم.

خلع بيلامي قميصه فكان العرق ينزلق على جسده، وحتى من على بعد كان بوسع كلارك أن ترى عضلات ظهره وهي تتقلص بينما يستخدم كل وزنه ليضع جذوع الأخشاب في أماكنها.

تقدمت نحوه فتاة مجعدة الشعر، في أثرها فتاتان تضحكان، وقد تطرَّفن في صيحة السراويل القصيرة، إذ كنَّ يلبسن سراويل تغطي أفخاذهن بالكاد.

قالت الفتاة التي تسير في المقدمة: «مرحبًا، نحن في حاجة لشخص طويل ليساعدنا في إصلاح سقف الكابينة، لأن السقف قد انهار بالفعل».

كان بيلامي بالكاد ينظر إليها، وقال: «ابنِ سُلَّمًا».

قمعت كلارك ابتسامةً، فيما تلوَّن وجه الفتاة بالغضب قبل أن تستأنف ابتسامتها المتحفِّظة، وقالت: «أيمكنك أن تُرينا سبيلًا لذلك؟».

نظر بيلامي خلفه وأومأ لشخص قائلًا: «أنطونيو. تعال إلى هنا».

جاء صبيٌّ يركض، قصير الجسم، سمين، يمتلئ وجهه بالبثور، ويبتسم ابتسامةً ودودة.

- هؤلاء الفتيات في حاجة للمساعدة لإصلاح الكابينة، أيمكنك أن تساعدهن؟

قال أنطونيو: «بكل سرور».



اتَّسعت عَيْنا أنطونيو وهو يتلفت بين بيلامي والفتيات، اللواتي كنَّ يحاولن إخفاء إحباطهن، بقليل من النجاح.

ابتسمت كلارك لنفسها، سعيدة بقلة الاهتمام الذي أبداه بيلامي تجاه فتيات يتمتعن بقدرٍ كبير من الجمال. وكان يبدو مغرورًا وفاتنًا عندما يكون في حالة مزاجية جيِّدة يصعب معها تصديق أنه يكتفي بحبيبة واحدة. بل إن أكثر ما يصعب تصديقه هو أن حبيبته هي الفتاة التي كانت كلارك ترى وجهها كل ليلة قبل أن تخلد للنوم، والتي ظلَّ صوتها يؤنسها عندما يعم الصمت.

هزت رأسها ونظرت إلى بيلامي وقالت ساخرةً: «رجل مهذب». ثمَّ التفتت للخلف لترى الفتيات يعُدن مرَّةً أخرى من حيث أتين مع أنطونيو القصير المبتهج.

جذبها بيلامي إلى أحضانه وقال: «أهلًا يا فتاة، كيف حالك؟».

دفعت كلارك بيلامي بعيدًا، وقالت: «وكأني في حاجة للاستحمام، الآن عليه أن تغرقني بعرقك».

- يمكن أن تعتبريها ردًّا لدينٍ عليكِ حينما حملتكِ لستة كيلومترات وأنتِ غائبةٌ عن الوعي، لم أكن أعرف أنه يمكن للإنسان أن يُنزل هذا الكمّ الكبير من العرق من دون أن يُصاب بالجفاف.

- لم أصبّ عرقي عليك.

- وكيف لكِ أن تعرفي ذلك، لقد كُنتِ غائبة عن الوعي، إلَّا إذا كنتِ...

ثمَّ نظر إليها بيلامي بامتنان قائلًا: «إلَّا إذا كنتِ تتظاهرين بأمر لدغة الثعبان، فلم يكن عليكِ السير بعدئذ، وتلك خدعة ماهرة منكِ».

ابتسمت كلارك، سائلةً: «أتعرف أين ساشا؟».

تصلَّب وجه بيلامي وقال: «أعتقد أنه ربما أخذها ويلز لمكان ما. فلم يظهر أيٌّ منهما



في المخيم خلال الساعات الماضية». ثمَّ هزَّ رأسه قائلًا: «المغفل».

- اللعنة.

حاولت كلارك أن تُبقي نبرة صوتها محايدة. فلم يكن هناك ما يدعوها للاهتمام بمكان ويلز وساشا. فعلى كل حال، لويلز الحق في أن يتحدَّث إليها كما فعلت كلارك. لكن لسبب ما، كانت فكرة تجوال ويلز وساشا وحدهما في الغابة غير مريحة لكلارك.

قال بيلامي مخطئًا ما كانت تفكر فيه كلارك: «نعم، اللعنة، لا أعرف ما الذي كان يفكر فيه، لا أستطيع إجبارها على مساعدتي للعثور على أوكتافيا، بينما يمكنه التجوال معها في نزهة في الغابة، هذا أمر منطقي».

- اسمع، أيمكنك أن تأتي معي؟ في خاطري أن أعود للنظر إلى الحطام الذي وجدناه.

عبس بيلامي قائلًا: «لا أظن أنها فكرة سديدة».

- سنكون بعيدين عن أنظار الأرضيين، سيسير الأمر على ما يرام.

- لا أريد أن أبتعد كثيرًا عن المخيم، لئلا تأتي أوكتافيا فأفقدها.

أومأت كلارك نادمةً، فقد أدركت مدى سخافتها، فبيلامي لا يزال يجهل مكان أخته وما إذا كانت على قيد الحياة أم لا. وزميلاه بالمخيم يموتان في كابينة المشفى، وفي حوزتهما الحبوب التي من الممكن أن تنقذ حياتهما.

- أنت على حق، سأذهب بمفردي.

هزَّ بيلامي رأسه قائلًا: «ماذا؟ مستحيل، أفضِّل أن أغرق نفسي بعرق جراهام على أن أتركك تذهبين وحدك».

- تتركني؟ عذرًا. لم يكن لدي أيُّ فكرة أن هناك شخصًا مسؤولًا عَنِّي.

- تدركين ما أعني. أنا قلق بشأنك، هذا كل ما في الأمر.

- سأكون بخير.

- نعم، ستكونين بخير لأني سآتي معكِ.

- حسنًا.

أجبرت كلارك نفسها على أن يبدو صوتها أكثر انزعاجًا مما تبطن، لأنها تعرف أن بيلامي لا يقصد التحكم فيها، وإنما يهتم لأمرها فقط. وقد أحمرَّت وجنتاها خجلًا لهذا الخاطر.

تسلَّلا من دون أن يخبرا أحدًا بمكان توجههما، وبعد عِدَّة دقائق كانا يسيران بصمت في عمق الغابة، يسيران بصمت في الغالب، يهرب كلٌّ منهما من التساؤل المُلح بشأن حاجة زملاء المخيم. لكن بعد مضي ساعة تقريبًا، دفع القلق كلارك لتتحدث. سألتْهُ بعدما بدا لها أنهما مرّا بصخرة مغطاة بالطحالب للمرَّة الثانية: «أأنتَ على يقين من أنَّنا على الطريق الصحيح؟».

- نعم، لقد مررنا على بقعة أنزلتكِ فيها.

ثمَّ أشار إشارةً مبهمةً من على بُعد قائلًا: «هنا حيث توقفتُ لأتأكَّد من أنكِ لا تختنقين من القيء، وانظري، هنا حيث استعدتِ وعيكِ لثوانٍ وأخبرتِني أنَّني لديَّ أكبر...».

قاطعته كلارك بصراخها وعاجلته بضربة في بطنه ومرفقه. ضحك بيلامي، لكن ثمة شيء أثار انتباهه عن بُعد، فرسم تعبير الجدِّية على وجهه وقال: «أعتقد أنَّنا قريبون».

أومأت كلارك وبدأت مسح المنطقة بعينيها بحثًا عن أيِّ جسم معدني. إذ إنها كانت عازمةً على اكتشاف إلى أين يعود هذا الحطام.



إلى السفينة؟ أم إلى مأوى بناه المستوطنون الأوائل؟

لم تجد كلارك أي جسم معدني، لكن عيناها وقعتا على سلسلة من الأشكال التي جعلت قلبها يكاد يتوقف عن النبض. كان ثمة ثلاثة أحجار تقف غير مرتبة رغم أنها كانت في وقت من الأوقات بجانب بعضها بعضًا، اثنان منهم يبدوان على الخط ذاته، فيما الثالث ينتزع نفسه بعيدًا عن المجموعة. كانت الأحجار متماثلة الحجم تقريبًا، ولم تكن العين لتخطئ أنها وُضعت هناك لسبب ما. حتى من مسافة بعيدة، كان بوسع كلارك أن تقرأ العلامات المنقوشة على الأحجار، رأت حروفًا حُفرت بصعوبة وبأدوات غير متطورة. وقد أدركت كلارك أيضًا، وهي تحاول حلَّ الشفرات، أن هناك من كان يحفر الحروف على الصخر بيدٍ مُهتزَّة خوفًا وحُزنًا.

ارقُد في سلام.

لم تنطق كلارك الكلمات بصوتٍ عالٍ، لكنها استطاعت أن تشعر بها في صدرها، كما لو أنَّ الذكرى قد حفرت على عظامها. مدَّت يدها لبيلامي لكنها لم تلمس سوى الفراغ. التفتت فرأته يربض أمام أحد الشواهد. سارت إليه ووضعت يدها على كتفه، فقال بصمت من دون أن ينظر إليها: «إنها قبور».

- لقد هبطت سفينةٌ أخرى على الأرض. وهذا يثبت أنَّ ساشا تقول الحقيقة.

أومأ بيلامي وأجرى إصبعه على الحجر، وقال: «أتعلمين، أمر حسن أن يكون لديكِ مكان تزورين فيه من فقدتِهم. كنت أتمنى أن يكون لدينا مكان كهذا في المستوطنة، مكان أكثر حميميّة من حائط الذكرى».

سألته كلارك، وقد أثار الشك في نفسها أنه يمكن أن يعلم أي شيء بخصوص موت ليلي: «من تريد زيارته؟».

- أصدقاء. أشخاص لم أتمكن قطُّ من توديعهم كما يليق بهم.

نهض بيلامي على قدميه زافرًا، ثمَّ حاوَطَ كلارك بذراعه.



مالت على صدره، ثم التفتت منتبهةً إلى القبور، وقالت: «أتظن أنهم ماتوا نتيجة تحطم السفينة؟ أم بعد ذلك بفترة، إثر أحداث مرّوا بها على الأرض؟».

- لا أعرف، لماذا؟

- فقط كنت أتمنى لو أنَّنا هبطنا مُبكِّرًا. لربما كان بوسعنا فعل أي شيء لإنقاذهم.

شدَّ بيلامي على يدها، وقال بهدوء: «لا يمكنكِ إنقاذ الجميع».

وخطر في بالها: ومن يدري.

الفصل الرابع عشر

ويلز

صاح ويلز عندما رأى أحد الصِّبيان الصِّغار يمدُّ يده نحو النار: «احذر، استخدِم العصا».

- حسنًا.

ثمَّ أزال عود الذُّرَة من فوق الأحجار الساخنة التي كدَّسها ويلز فوق الجمر، بالطريقة التي علَّمتْهُ إيّاها ساشا.

أبقتهم أعواد الذُّرَة على قيد الحياة. والآن بدلًا من الهمسات الماكرة والشكاوى المضجرة، امتلأ المخيم بأصوات طقطقة ألسِنة اللهب والثرثرة الحيوية. كان الجميع يتحلَّق حول النار، يقضم من الطعام الغريب والمستحب.

بعدما عادا بكل ما يستطيعان حمله، أحضر ويلز وساشا حاويتين فارغتين للمياه وعادا مرَّةً أخرى إلى البستان لجلب المزيد. وفي الوقت الذي عادا فيه مرَّةً أخرى، مبتسمَيْن ومرهقَيْن من الجهد الذي بذلاه، نسي ويلز تقريبًا أنَّ ساشا إنما كانت سجينة لديه. وشعر بغرابةٍ بالغة بعدما شكرها على مساعدتهم، لكنه مُضطرّ إلى إعادتها مرَّةً أخرى إلى كابينة المشفى. لكن لحسن

الحظ، كانت كلارك قد مضت لشأنٍ ما والمريضان نائمان، فلم يرَ أحدهما ويلز وهو يعتذر لساشا على تقييد يديها.



لقد قبضتُ عليها تتجسس عليكم، ذكَّرَ ويلز نفسه وهو يشاهد مجموعة من الفتيات يتحدَّيْن بعض الصبيان الولدانيين في مسابقة لإلقاء أعواد الذرة.

احتجَّ ويلز، فقد حذَّرته ساشا من أن ترك أعواد الذرة في المخيم قد يجذب بعض الحيوانات غير المرغوب فيها، لكنه لم ينفِّذ وصيتها، حتى يكون من الأسهل عليه أن يتسلَّل لإحضار الطعام لها من دون أن يلفت الأنظار.

التقط ويلز بحذرٍ شديد عِدَّة أعواد من الذُّرَة من فوق الجمر الملتهب، فاردًا قميصه حتى يودع الأعواد فيه من دون أن تصيبه النار، ثمَّ توجَّه بها إلى كابينة المشفى.

همس وهو يسير بخفة إلى فرشتها: «أهلًا، لقد أحضرت لكِ واحدة».

ثمَّ أعطى لها أحد أعواد الذُّرَة التي بردت بما يكفي لتحملها، ووضع الأعواد الأخرى بجانب مولي وفيليكس وتامسين حتَّى يتبقَّى لهم ما يأكلونه عندما يستيقظون. إذ صار من العسير أن يتطوَّع أحدٌ بالماء والطعام إلى المرضى. كانت الإشاعات حول مرضهم تنتشر، وبات من النادر الآن على أيِّ أحدٍ سوى كلارك وويلز وبيلامي وبريا واريك أن يأتيَ بالطعام إلى كابينة المشفى.

قالت ساشا: «أشكرك».

ثمَّ ألقت نظرةً قلقةً على الباب قبل أن تقضم صغيرة من الذُّرَة.

قال ويلز وهو يجلس على حافة فرشتها: «كيف هي؟ أفضل من عبوة البروتين؟».

ابتسمت قائلةً: «نعم، أفضل بالتأكيد، رغم أنها بلا طعم، لماذا لم تُضِف إليها ورق الفلفل الحار مثلما أخبرتُك؟».

- ظننتُ أنَّ حملي لأعواد الذُّرَة سيكون مثيرًا للشك. ومن ثَمَّ فإن إضافة بعض ألاعيب الطبخ يمكن أن يسبب مشكلةً نحن في غنى عنها.

توقع ويلز أن تسخر من افتقاره لمهارات الطبخ، لكنها رسمت على وجهها تعبيرًا



جادًّا وقالت: «إنهم لا يثقون بي، أليس كذلك؟». ثمَّ احتدَّ صوتها وهي تعدل جلستها على حافة فرشتها قائلةً: «ما الذي يمكن أن أفعله لإقناعكم بعدم ارتباطي بالهجوم؟».

قال ويلز: «الأمر يستغرق وقتًا».

رغم أنه لا يزال غير متأكد مِمَّا إذا كان يصدقها أم لا، فإنه كان يعرف أنَّ ساشا إنسانة طيِّبة وعاقلة، لكن هذا لا يعني أنَّ قومها، وبالذات أباها، كان غير قادر على شنّ هجوم، فلو كانت المستوطنة تُهاجَم في وقتٍ من الأوقات من أيِّ عدو لا يمكن تخيله، لم يكن والد ويلز ليفكر مرتين قبل أن يشنَّ هجومًا على عدوه.

انفتح الباب ودخلت كيندال. فقفز ويلز على قدميه بينما تحدق إليهما، وعلى وجهها نظرة غامضة، وقالت: «عذرًا لإزعاجكما». ثمَّ نقلت نظراتها بين ويلز وساشا: «لقد عُدتُ لأخذ غفوة سريعة. لم أحصل على قسطٍ كافٍ من النوم الليلة الماضية كما هو واضح».

قال ويلز: «حسنًا». ثمَّ أشار إلى الفرشات الفارغة وقال: «هناك مساحة كبيرة في الغرفة».

وكان من الواضح أن كيندال غير قلقة من التقاط المرض الغامض. قالت: «لا، لا بأس، سألقي نظرة على الكبائن الأخرى». ثمَّ نظرت إلى ويلز نظرةً ثاقبة قبل أن تستدير وتخرج باتجاه المخيم.

- أترى؟ إنهم لا يريدون أن يجلسوا معي في غرفةٍ واحدة، الجميع يظنُّ أني مجرمة.

ألقى ويلز نظرةً سريعة على تامسين، التي كانت قدمها في جبسٍ كُتِب عليه تحذير من الأرضيِّين. حتى تستطيع ساشا إثبات أن ثمة فئةٌ مجرمةٌ منهم، لن يأمن المئة لها أبدًا، فمن المحال أن يتعامل معها المئة على اعتبار أنها أيّ شيء سوى تهديد.

قال ويلز فجأةً: «أتريدين أن تذهبي في نزهة؟ من السخف أن تظلي حبيسة هنا طوال



اليوم».

نظرت ساشا إليه نظرةً طويلة ومتفحصة قبل أن ترفع يدها من فوق قدميها قائلةً: «حسنًا، لكني لن أذهب إلى أيِّ مكان قبل أن تحلَّ عَنِّي قيودي».

حلَّ ويلز عنها قيود يدَيْها، وفيما كانت ساشا ترتب فراشها، ذهب ويلز ليتفقَّد مولي ثمَّ جلس عند فرشتها، وهمس: «أهلًا، كيف تشعرين؟».

تمتمت بشيءٍ من دون أن تفتح عينيها. فزفر ويلز: «مولي». ثمَّ سحب الغطاء حتَّى كتفيها النحيلتين، وأعاد خصلات شعرها المبلل وراء أذنها وقال بهدوء: «سأعود قريبًا».

خرج ويلز إلى المخيم. فوجد معظم من كان في المخيم لا يزالون يتحلقون حول النار، وآخرين يضعون اللَّمسات النهائية على السقف الجديد. ففطن إلى أنهما لو أسرعا، فلن يراهما أحد. اختار ويلز ألَّا يشغل باله بحقيقة أنه للمرَّة الثانية في يوم واحد، يفعل شيئًا سريًّا، مُخفيًا تصرفاته عن رفاقه. التفت لساشا وأومأ لها إيماءة، فتحركا سريعًا نحو صف الأشجار.

قادت ساشا رفيقها نحو اتجاهٍ مختلف هذه المرة، لم يسلكاه من قبل. على عكس بيلامي، لم يألف ويلز الغابة ولم يقضِ فيها الكثير من الوقت، ولم يألَفْ إلَّا الطريق الذي كانوا يسلكونه لملء الماء من جدول النهر. صاحت ساشا وهي تلتفت إلى الخلف: «احذر، الأرض شديدة الانحدار هنا».

كلمة شديدة الانحدار كانت تهوينًا من الأمر، رأى ويلز الأرض تسقط فجأةً لأسفل، فكان مُضطرًّا إلى أن يزحف إلى اليمين واليسار، مُمسكًا بالأشجار الهزيلة والمرنة التي نَمَتْ على الحافة حتى لا يسقط. كان الانحدار حادًّا، ذلك إلى جانب أن جذور الأشجار تنمو إلى الخارج، لا إلى داخل التربة.

لم تَبْدُ ساشا منزعجةً من شدَّة الانحدار، فكانت نادرًا ما تبطئ من سيرها.



حتى إنها سبقت ويلز بعدَّة أمتار. مدَّت ساشا ذراعيها على امتدادهما، مستخدمةً أصابعها الممدودة لتتوازن، وبدت مثل الطير الذي رآه ويلز على أعواد الذُّرَة في المخيم.

صدر صوتُ طقطقةٍ عالية من الخلف. مذعورًا، حرَّك ويلز رأسه حوله. فكانت تلك الحركة كافية لتتعثَّرَ قدمه أسفله، فسقط منزلقًا على العشب الناعم. حاول أن يضع يده على الأرض ليسند جسده ويوقِف تعثُّره، لكن انزلاقه ظلَّ يتسارع حتَّى أصطدم بجذع شجرةٍ أجبره على التوقف. نظر إلى ساشا منقطع الأنفاس فرآها تضحك وهي تمسك ياقة سترته. وقالت وهي تساعده على النهوض: «عليك أن تنتظر لأشهر حتَّى تتعلم كيفية الانزلاق».

- الانزلاق؟

قال ويلز ذلك وهو يُعدِّل مؤخرة سرواله مُحاوِلًا ألَّا يُفكِّر كم كان يبدو مُغفَّلًا أمامها، ثمَّ تابع: «أتعنين أن الثلج سيهبط؟».

أسندته ساشا من مرفقه قبل أن يتعثر ثانيةً: «إذا ظلَلْتَ حيًّا حتَّى ذلك الوقت».

- إنْ مِتُّ قبل أنْ أرى الثلج، سيكون ذلك بسبب سهمٍ من أحد أصدقائك، وليس بسبب أنِّي انزلقت عليه.

- كم مرَّةً يجب أن أفسِّر موقفي؟ من رموا صديقك بسهم ليسوا أصدقاءنا.

- نعم، لكن ألا تعرفينهم بما يكفي لنطلب منهم التوقف عن قتلنا؟

تطلَّعَ ويلز إلى وجهها مُحاوِلًا التقاط أيَّ إشارة قد تُخفيها عنه.

قالت وهي تسحبه من الطريق المنحدر: «الأمر أكثر تعقيدًا مِمَّا تظن».

أشار ويلز للأسفل قائلًا: «يبدو أنَّكِ تحبين الأمور المعقّدة».



نظرت إليه قائلةً: «ثِقْ بي يا رائد الفضاء. الأمر يستحق».

عندما اقتربا من القاع، أزاح ويلز نفسه عن التلة وقفز الأمتار القليلة المتبقية. لكن بدلًا من أن يهبط على العشب، وجد نفسه وقد هبط على شيءٍ أصلب. شيء كان تأثيره كافيًا ليضرب الألم قدميه، رغم ذلك، كان عليه لسوء الحظ أن يكتم ألمه في نفسه، ويظلَّ منتصبًا هذه المرَّة. لكنه جفل عندما نظر إلى أسفل، وقد طردت المفاجأة كل الأفكار المريحة من باله.

لم تكن الأرض مُعْشَوْشَبَةً أو مُترَّبة. بل كانت صخريَّة. جلس القُرفصاء ومرَّرَ أصابعه على السطح الرمادي الصلب. لا، لم تكن أرضًا صخريَّة، بل طريقًا. تراجع ويلز خطوتين للوراء ونظر إلى اليمين وإلى الشمال، متوقِّعًا سماع هدير مُحرِّك سيارة.

سألتْهُ ساشا وهي تتقدم لتقف بجانبه: «هل أنت بخير».

أوْمَأَ ويلز غير واثقٍ كيف يشرح ما رآه. عندما وجد كلارك عالقةً عند خرائب الكنيسة، كان كل همِّه أن يُخرجها من هناك فورًا. والآن انحنى مرَّةً أخرى على الطَّريق مُتفحِّصًا الأسمنت، والطَّريقة التي تنشق بها تصدُّعات الطريق، والفجوات التي تنمو فيها النباتات الصغيرة.

كان من السهل عليه وهو في المستوطنة أن يفكِّر في الجائحة تفكيرًا تجريديًّا. فقد كان يعرف كم مات من الناس، وكم طنًّا متريًّا من السموم انفجر في الهواء، وهكذا. لكن الآن، فكر ويلز في الناس الذين كانوا يقودون سيّاراتهم، ويركضون وربما حتَّى يحتشدون على هذا الطريق، في محاولاتٍ يائسةٍ هربًا من القنابل. كم مات من الناس في هذه البقعة بالتحديد فيما الأرض تهتزُّ والسماء تمتلئ بالسموم.

قالت ساشا، وهي تضع يدها على كتفه: «من هنا، اتبعني».

- ما الذي سأراه هنا.

وأدار رأسه ناحية اليمين وناحية الشمال. الهواء مختلف هنا عما كان عليه في المخيم،



إذ كان مُثقلًا بالذكريات التي جعلت ويلز يرتجف.

- سترى.

سارا بصمتٍ لِعدَّة دقائق. ومع كل خطوة كانت دقات قلب ويلز تتسارع أكثر وأكثر، قالت ساشا: «عليك أن تعدني أنَّكَ لن تُخبر أحدًا عما أُريك».

كان صوتها أكثر هدوءًا وهي تنظر إليه بتوتر. تردَّدَ ويلز، فقد تعلَّمَ بالطريقة الصعبة ما الذي يحدث عندما تقطع على نفسك وعودًا لا تستطيع الالتزام بها، لكنه قال: «يمكنكِ أن تثقي بي».

حدَّقَت إليه ساشا للحظة، ثمَّ أومأَتْ. بينما كانا يستديران خلف انحناءة على الطريق. ارتعش ويلز، واحتشدت أعصابه واستعدَّ جسده لما ينتظره. لكن عندما استقام الطريق مرَّةً أخرى، لم يجد شيئًا. فقط بضعة أحجار رصيف متكسِّرة تنمو منها نبتات صغيرة.

قالت ساشا وهي تشير إلى الأشجار التي تحفُّ الطريق: «هناك، أترى؟».

كان ويلز على وشك أن يهزَّ رأسه، ثمَّ تجمَّد لرؤية بناء هندسي يأخذ شكله وراء أغصان الأشجار المتشابكة. ما أرته إيَّاه كان بيتًا.

همس ويلز وهو يتقدَّم عِدَّة خطوات للأمام: «يا إلهي، هذا مستحيل، كنتُ أظنُّ أنه لم يتبق شيء».

- أنتَ محقّ. لكن الجبال حمَتْ بعض المباني من الانفجارات. كما أنَّ معظم من عاشوا في الجوار نجوا من الانفجارات بالفعل، لكنهم ماتوا بعد ذلك إما من المجاعة وإما من التسمم الإشعاعي.

بينما كانا يقتربان، رأى ويلز أنَّ البيت مبنيٌّ من الحجر، ما يعني أن فرصه أقوى في تجنب الدمار، رغم أنَّ الجانب الأيمن للبيت كان قد انهار تمامًا. لم يكن قد تبقَّى أيّ

زجاجٍ محلَّ النوافذ، فيما غطَّت نباتات مُعرِّشة كثيفة مساحةً كبيرة من الجدران الباقية. كان ثمّة شيءٌ قاسٍ في الطريقة التي تلتفُّ بها النباتات المُعرِّشة على الجدران، مُتسلِّلَةً من فراغات النوافذ التي تصل الى أعلى، إلى حيث ما كان يومًا مدخنةً، كما لو أن الأرض تحاول محو كل الدلائل على وجود الحياة البشرية.

سألها ويلز عندما أدرك أنه ظلَّ واقفًا يحدِّق إلى البيت بصمتٍ: «أيمكننا أن ندخل؟».

- لا، أظن أنه سيكون من الأفضل الوقوف هنا طوال اليوم وأنت فاتحٌ فمك تراقب البيت مشدوهًا كالسَّمكة.

- ترفَّقي بي، هذا أكثر الأشياء جنونًا التي شاهدتها منذ هبطتُ على الأرض.

نظرَتْ إليه ساشا بشكٍّ قائلةً: «لقد عشتَ في الفضاء، ورأيتَ المرّيخ!».

ابتسمَ وقال: «كان عليَّ أن أستخدم التِّلِسكوب لأرى المريخ، وحتى إذا استخدمته، كان يبدو كنقطة حمراء. والآن تعالي. هل سندخل أم ماذا؟».

سارا باتجاهِ أبعدِ جانبٍ للجدار المنهار، كانت ثمّة نافذة بطول مترين عن الأرض وفي الأسفل حافة ناتئة تساعدهما على القفز إلى داخل البيت. راقب ويلز رفيقته ساشا وهي تقفز على الحافة بسهولة، ثمَّ تهبط من خلال النافذة لتختفي إلى الظلام في الجهة الأخرى.

صاحت: «هل ستأتي؟».

ابتسمَ مجدَّدًا، وقفز من خلال النافذة، ليهبط إلى الجهة الأخرى، مُصدِرًا صوتًا مكتومًا أطار كل الأفكار من رأسه، كان يقف في البيت، في بيتٍ حقيقيّ، حيث كان الناس يعيشون قبل أن تأخذهم الجائحة.

أدار رأسه من جانب إلى آخر.



وبدا كما لو أنهما في ما كان من قبلُ مطبخًا. إذ كانت الأرض مغطاة ببلاط متصدِّع أبيض وأصفر، وفي مستوى أعلى قليلًا على الحائط، كانت هناك خزانات بيضاء مُعلَّقة بانحرافٍ طفيفٍ أعلى حوض كبير، كانت الخزانات الأكبر التي يراها ويلز في حياته. الضوء الوحيد الذي كان يتسلَّل من النوافذ المُتكسِّرة، والذي يمرُّ عبر غربال الأشجار المحيطة، منح الغرفة وهجًا أخضر خفيفًا كما لو أن المرء ينظر إلى صورة قديمة. إلَّا أنه مشهدٌ حقيقيّ بلا شك. تقدَّمَ عِدَّة خطوات للأمام ومرَّرَ أصبعه بحذرٍ شديدٍ على الطاولة التي يغطيها غبار متراكم عبر السنين. مدَّ يده، وبحذر أشد فتح إحدى الخزانات.

وجد بها أكوامًا من الأواني والأطباق في الداخل. رغم أنها كانت تنزلق قليلًا نظرًا إلى انحراف الخزانة، لكن كان من الواضح أنها رُتِّبت بعناية. بعضها ينتمي إلى مجموعة واحدة، بينما البعض الآخر فريد من نوعه. التقط ويلز طبقًا من أعلى الكومة عليه رسومات تبدو كأن طفلًا رسمها. أربع رسومات بسيطة من بضعة خطوط ومنحنيات لأشخاص بوجوه كبيرة للغاية ومبتسمة، يقفون في صفٍّ واحد، يمسك كلٌّ منهم يد الآخر. وكُتب أعلى رؤوسهم بحروف مُتذبذبة: "أنا اُحِبُّ عائ..لت..ي". قَلَبَ ويلز الطبق لساشا لتحدِّقَ إليه بصمتٍ حزين.

قالت بهدوء: «كان هذا منذ زمن بعيد».

أوْمَأَ ويلز، وتلاشت كلمة "أعرف" التي كانت تتشكَّل في رأسه ففقدت طريقها إلى فمه، شعر بوخزٍ في عينيه فابتعد سريعًا، ٨ مليارات، كان هذا عدد الناس الذين أخذتهم الجائحة. يُقال الرقم مُجرَّدًا وكأنه حدث عارض، أو كما لو أنه عُمر الأرض، أو عدد النجوم في المجرة، لكنه الآن، مستعد للتضحية بأيِّ شيء ليعرف ما إن كان الناس الذين كانوا يتجمعون معًا الطعام في هذا المطبخ، على هذه الأطباق، قد تمكنوا من النجاة أم لا.

- ويلز، أنظر إلى هذا.

استدار ويلز ليرى ساشا جالسةً بجانب كومة حطام في الجانب الأبعد من الغرفة،



حيث الجدار المنهار. كانت تُزيل الأتربة وقطعًا من الحطام عن شيء ما على الأرض.

سار إليها وجلس بجانبها قائلًا: «ما هذا؟».

شدَّت ساشا ما يشبه الإبزيم، فحذَّرها ويلز مُتذكِّرًا لدغة الثعبان لكلارك.

بصوتٍ يشوبه الاندهاش ويختلط بشعور آخر، التخوُّف؟ التوجُّس؟ قالت ساشا: «حقيبة سفر».

انفتحت الحقيبة فنثرت سحابة جديدة من الغبار في الهواء، مالًا لإلقاء نظرة أفضل، ولم يكن بداخل الحقيبة سوى أغراض قليلة. ثلاثة أقمصة باهتةٌ ألوانها، تفحَّصها ويلز بعناية ثمَّ أعاد كل قميص إلى مكانه بنفس العناية التي تفحَّصهُ بها. وكتابًا معظم صفحاته بالية، إلَّا أنَّ الصفحات المتبقية كانت كافية ليعرف ويلز منها أن الكتاب عن طفلٍ يُدعى تشارلي. تردَّدَ قبل أن يضع الكتاب في الحقيبة. فكان يودُّ لو يحمله معه ليتفحَّصه في ضوء النهار، لكن لسببٍ ما، لم يشعر أنه من الصواب أخذ أيِّ شيء من هذا البيت.

الغرض الوحيد الذي تمكَّنَا من تمييزه كان دُميةً على شكل دُب. على الأرجح كان لونه أصفر في يوم من الأيام رغم أن ذلك لم يكن يمكن تمييزه من الغبار، التقطته ساشا وحدَّقت إليه للحظة قبل أن تضغط بإصبعها على منخاره الأسود قائلةً بابتسامة: «دُب مسكين».

لكنها لم تستطع منع البكاء الذي اختلط بصوت ضحكتها.

قال ويلز وهو يُمرِّر إصبعه على واحد من الأقمصة: «أمرٌ محزن للغاية، لو أنهم رحلوا سريعًا، فربما استطاعوا أن ينجوا من الجائحة».

سألته ساشا مُصوِّبةً نظراتها نحوه وهي تُزيل الغبار عن مخالب الدُب: «أين من المفترض أن يذهبوا ؟ ألديك فكرة عن تكلفة الذهاب إلى مواقع الإطلاق من هنا في أثناء الجائحة؟ الناس الذين عاشوا هنا لم يملكوا هذا الكم من المال».



قال ويلز مُحتدًّا: «ليس بالمال يمكن أن يُختار المرء لركوب السفينة».

ثمَّ التقط نفسًا ليستعيد رباطة جأشه. فقد شعر أنه سيجانب الصواب لو صرخ في هذا المكان، وقال: «الناس لا يدفعون المال للذهاب إلى السفينة».

- حقا؟ إذن على أي أساس يمكن اختيار المستوطنين؟

- على أساس أنهم مواطنون من دول حيادية.

شعر ويلز فجأةً كأنه عاد إلى تعليمه الابتدائي. وقال: «الناس الذين كانوا يأتون إلى السفينة لم يكونوا جشعين أو حمقى ليتورَّطوا في حرب نووية».

نظرت ساشا إليه نظرةً لم يرها في عين أحد من قبل، حتى في أعين معلميه عندما يكون مخطئًا. لو أن النظرة تشبه نظرات أحد ما ستكون نظرات أبيه.

سألت بهدوء: «إذن لم كل من على السفينة يتحدث بالإنجليزية؟».

لم يكن يملك جوابًا لهذا السؤال. فقد قضى طوال حياته يتخيَّل لو أنه رأى الخرائب الأرضية رأي العين، والآن هو على الأرض، وطول التفكير في أرواح كل من أخذتهم الجائحة جعل من الصعب عليه أن يتنفس.

قال: «علينا أن نعود».

نهض على قدميه ومد يده لساشا لمساعدتها، نظرت إلى الحقيبة نظرةً طويلة، ثمَّ دسَّت الدمية تحت ذراعها وأخذت يَدَ ويلز.



الفصل الخامس عشر

بيلامي

استغرق الأمر من بيلامي وقتًا لإقناع كلارك بالعودة إلى المخيم. إذ كانت تُصِرُّ على البحث عن قطعٍ أكثر للحطام، للوصول إلى دليل يقدم بعض المعلومات عن المستوطنين الذين سبقوهم إلى الأرض. لكن عندما جَنَّ عليهما الليل، بدأ بيلامي يرتعش مع البرد الذي يزحف في الهواء. كان من الحُمق قضاء كل هذا الوقت في الغابة مع ترصُّد الأرضيِّين. بمجرد أن يستنطق الجاسوسة عن مكان أوكتافيا، سيلاحقهم بيلامي بالرماح والسهام المسمومة. لكنه لا يريد مواجهتهم وهو غير مستعد، وبالطبع ليس وكلارك بجانبه.

بعد ساعة من البحث العقيم. وافقت كلارك على العودة مرَّةً أخرى إلى المخيم على مضض. لكنها قالت: «أمهِلني عدة ثوانٍ».

ثمَّ هرعت راكضةً نحو حافة الساحة. توقفت أمام شجرة تزهر بالورد الأبيض. كانت الشجرة ذات مظهرٍ هشٍّ، وتبدو بشكل ما صغيرة للغاية على حجم الأزهار البيضاء التي تسقط منها. وقفت كلارك على أطرافها، تلتقط عدة أزهار من على الشجر، ثمَّ انحنت لترتبها أمام شواهد القبور، وقفت هناك في صمت للحظة رأسها مطرق. ثمَّ جاءت وأخذت يد بيلامي، وقادته بعيدًا عن المقبرة الوحيدة التي نسيها العالم.



كانت كلارك صامتةً على غير العادة في طريقهما للعودة إلى المخيم، إلَّا أنَّ بيلامي كسر الصمت قائلًا: «أأنتِ بخير؟».

ثمَّ مدَّ يده ليساعد كلارك على اتِّقاء التعثر بجذع شجرة ساقطة، لكنها لم تلاحظ.

قالت: «أنا بخير».

ثمَّ قفزت أعلى الجذع وهبطت في الجهة المقابلة.

لم يُرد بيلامي رغم أنه كان يعلم كيف يدفعها للحديث، فهي ستتحدث عندما تريد أن تتحدث، لكن عندما نظر إليها مجدَّدًا ضاق صدره لِما رآه على وجهها، واستنزف عزيمته. لم تبدُ جادَّة، أو حتَّى حزينة، بل مضطربة.

توقف بيلامي وحاوط كلارك بذراعيه. جفلت للحظة، ولم يبدُ أنها تبادله العناق. تراجع بيلامي خطوةً للوراء، لكنه فكر جيِّدًا فشدَّدَ قبضته عليها وقال: «كلارك، ما الخطب؟».

عندما همَّت بالحديث، كان صوتها هادئًا، قالت: «لا أستطيع التوقف عن التفكير في هذه القبور. كنت أتمنى فقط لو أعرف من هم وكيف ماتوا...».

ثمَّ توقفت عن الكلام، لكن بيلامي كان يعرف أنها تفكر في المرضى الذين تركتهم وراءها في المخيم.

قال بيلامي: «أعرف، أعرف، لكن أيًّا كانت هويتهم يا كلارك، فقد ماتوا منذ سنة. وليس هناك شيء يمكنكِ فعله لمساعدتهم».

ثمَّ غرق في الصمت للحظة وقال: «يمكنكِ أن تفكري في الأمر على هذا النحو، فعلى الأقل قد جاؤوا إلى الأرض، حتى لو لم يكن ذلك منذ مدة طويلة. لكن على الأرجح كانوا متحمسين لمثل هذه التجربة».

ابتسمت كلارك، نعم، كانت مجرد ابتسامة، لكنها كانت قادرة على إزالة الحزن الذي



يحاوط عينيها.

- متحمِّسون؟ ما الذي يعنيه ذلك، كما لو كنت سعيدًا ومستعدًّا لسماع موسيقى الجاز!

- مستعد لسماع موسيقى الجاز؟

أعتقد أنكِ تقصدين أن عليك أن تكون سعيدًا لأنك ستسمع موسيقى الجاز. وتسعد لأن إيقاع ضربات قلبك سيدق على موسيقى الجاز.

نظرت إليه كلارك وهي مبتسمة: «وكأنك تعرف ما هي موسيقى الجاز أصلًا، هذا النوع من الموسيقى ضاع منذ قرون».

ابتسم بيلامي ابتسامةً متكلفة: «ربما في فينيكس. لقد وجدت مشغل إم بي ثري به بعض موسيقى الجاز. على الأقل هذا ما اعتبرته موسيقى الجاز».

ويبدو أنَّ بيلامي توقع أنَّ موسيقى الجاز ستكون على هذا النحو، مرحة وعاطفية، ومتحرِّرة.

- إذن ما هو إيقاع الجاز؟

قال بيلامي: «يبدو الإيقاع أكثر شبهًا بـ...».

ثمَّ مدَّ يده نحو يدها. وبدأ النقر على ذراعها بما يشبه إيقاع الجاز. ارتعدت كلارك بينما ينقر بأصابعه على ذراعها.

- إذن الجاز هو النقير الغريب على ذراعك؟

- ليس على ذراعك، بل في جسدك كله، تشعرين به في حلقك.

ثمَّ مرَّرَ إصبعه على عنقها ثمَّ على عظام التّرقوة.



- وفي قدمك.

ثمَّ انحنى بيلامي ونقر على جانب قدميها، فضحكت كلارك.

- وفي صدرك.

نهض واقفًا، ومرَّرَ يده لتستريح قليلًا على صدرها. أغلقت عينيها وتصاعدت أنفاسها، وقالت: «أظن أني أشعر به الآن».

نظر بيلامي إلى كلارك مدهوشًا، عيناها مغلقتان وشفتاها تفترقان قليلًا، فيما يضفي ضوء الغروب على شعرها الذهبي هالة غريبة، بدت كواحدة من أميرات الحكايات اللاتي كان بيلامي يصفهن لأخته أوكتافيا وهو يحكي لها حكايات قبل النوم.

أمال رأسه نحوها وطبع قبلةً على شفتيها. بادلته التقبيل للحظة، ثمَّ سحبت نفسها للخلف عابسةً.

- ألم تقل إنك تريد العودة؟ لقد تأخرنا.

- طريق العودة طويل، وربما علينا أن ننال قسطًا من الراحة أوَّلًا.

ومن دون انتظار ردٍّ، مرَّرَ بيلامي ذراعه على ظهرها، ورفعها بذراعيه، كما رفعها آخر مرَّة، لكن الآن، عيناها مشعَّتان وتركزان عليه، وذراعها تلتف حول عنقه. وببطء، نزل بيلامي بها إلى الأرض المغطاة بالطحالب وأوراق الشجر الرطبة. همس: «هكذا أفضل؟».

كان ردُّ كلارك أن دسَّت يدها في شعره وواصلت تقبيله. همست: «بيلامي، هل كنت....».

لم تنه الجملة، لكنها لم تكن مضطرَّةً إلى ذلك، فقد أخذ بيلامي دوره في الرد، فراح يقبِّل جبهتها، وأنفها، ويطبع قبلاته على شفتيها الورديتين. وقال أخيرًا: «نعم، مارستُ الحب من قبل».



كان يعلم من وجنتَيْ كلارك اللتين توَرَّدتا أنها لم تفعل ذلك من قبل، واندهش قليلًا نظرًا إلى تاريخ علاقتها مع ويلز. وتابع: «لكني مارسته مع شخص واحد، واحد فقط كنت أهتم لأمره».

كان يريد أن يقول المزيد لكن صوته خذله. فكلُّ الذكريات التي عاشها مع ليلي تؤلمه. والأمر الوحيد الذي يفكر فيه الآن هو الفتاة الجميلة التي تستلقي بجانبه، وفكر أنه لن يتركها أبدًا مهما حدث.

اقترب بيلامي من ليلي وسألها وسط دهشته وتعجُّبه: «حقًّا؟ هل سرقتِ كل المؤن؟».

كانوا عند سلم الطوارئ خلف مركز الرعاية، وبشكل رسمي، كان موعد حظر التجوال قد بدأ، لكن لا أحد يراقب الأولاد الأكبر سنًّا، لذا، كان من اليسير لبيلامي وليلي أن يلتقيا هنا.

كانت ليلي تحمل صحنًا مملوءًا بالكعكات التي سرقتها من مركز السلع. كانت الكعكات مُعدَّةً لحفلٍ منعقدٍ في فينيكس، لكن الكعكات على وشك أن تسقط في معدتَيْ بيلامي وليلي الآن.

ابتسم بيلامي قائلًا: «لقد كان تأثيري سلبيًّا فيكِ، أليس كذلك؟».

- من فضلك لا تنسب إلى نفسك الفضل في ذلك.

ثمَّ قضمت قضمةً من فطيرة التفاح، وقطعت قطعةً من كعكة الفانيليا المفضلة لبيلامي وأعطته إياها، وقالت: «دائمًا ما كان لديَّ بذرة فساد في داخلي».

رفعت ليلي حاجِبَيْها بطريقة جعلتها تبدو جميلة، شعر بيلامي برغبة مفاجئة في تقبيلها. لكنه كان يعرف جيِّدًا، أن تقبيله للفتيات من قبل، يحولهن إلى كتلة من



الصمغ، يردن أن يمسكن يده طوال اليوم. كانت ليلي أعزَّ صديقاته. وتقبيلها سيكون خطأً كبيرًا بلا شك.

قالت: «ادخِر هذه الأوكتافيا».

ثمَّ سلَّمتْهُ كعكةً مُزيَّنةً بثمرة توت على شكل كوكب الزهرة. وضع بيلامي الكعكة على الدرج بجانبه، ثمَّ عاد لالتهام كعكته مجدَّدًا. فقد كان يعرف بالخبرة أن من الأفضل أن تتناول السلع المسروقة في أسرع وقت ممكن.

ابتسمت ليلي فنظر إليها بابتسامة ومسح فمه بمؤخرة يده: «ماذا؟ لا تتجرئي على انتقاد آداب طعامي، فنحن لا نأكل على الطاولة».

سألته باهتمام زائف: «فضولي يساورني، كيف تتمكن من وضع هذه الكمية من الكعك في فمك؟».

ضربها فضحكت قائلةً: «لا أظن أن بإمكاني وضع هذه الكمية من الكعك في فمي مهما حاولت».

- قبِلت التحدي.

مدَّ بيلامي يده، وأزال الكريمة التي تعلو الكعكة وأغرق بها ذقن ليلي وفمها. جفلت ودفعته بعيدًا، لكن ليس قبل أن يضع كمية أخرى من الكريمة على أنفها.

صاحت: «بيلامي، أتعرف بكم يمكن أن نبيع ذلك؟».

تكلف بيلامي الابتسام، إذ كان من الصعب أن تأخذ شخصًا مغطى وجهه بكريمة الكعك بجدية، وقال: «صدقيني، هذه الصورة لا تقدر بثمن».

تحول تعبير وجه ليلي إلى ما لا يستطيع تحديده، سألت بهدوء: «أهو كذلك؟».



أغلق عينيه، وتصلَّب وجهه كأن جليدًا نزل عليه، وشعر بشفتَيْ ليلي على شفتيه. تجمد للحظة من المفاجأة، ثمَّ بادلها القبلات. كانت قبلتها ناعمة، ومذاقها كالسُّكر.

عندما ابتعدت عنه، تفحص وجهها وسط اندهاشه لما حدث للتو، قالت: «أوه، أظن أني نسيت شيئًا».

- ماذا؟

تغير لون وجه بيلامي فورًا، لأنه يعرف أن تقبيل أعزِّ صديقاته فكرة سيئة للغاية.

تمتمت ليلي: «فاتني شيء»، ثمَّ جذبته لأحضانها وقبَّلته مجدَّدًا.

اعتدلت كلارك فجأةً جالسةً فاصطدم رأسها بذقن بيلامي. تأوه بيلامي لكنه أخذها في أحضانه قائلًا: «كلارك، لا بأس، ليس علينا أن نُقدِم على فعل أي شيء ما دمتِ غير مستعدة لذلك».

ثمَّ ربَّتَ على ظهرها بيده في حركات دائرية. وشعر ببرد بشرتها على صدره رغم قميصها الخفيف.

قالت كلارك سريعًا: «الأمر ليس كذلك، لكن لديَّ ما أحدِّثك بشأنه».

أخذ بيلامي يد كلارك وشبكها في يده، وطمأنها قائلًا: «يمكنكِ أن تقولي أي شيء».

أبعدت يدها عن يده، ثمَّ ضمَّت ركبتَيْها لصدرها وشدتهما بإحكام. وقالت: «الحق أني لا أعرف كيف أبدأ الحديث في هذا الموضوع».

وكأنها تُحدِّث نفسها أكثر مما تحدِّثه، كانت تنظر إلى الأمام، غير مستعدَّة، أو غير راغبة أن تلتقي عيناهما، وقالت: «لقد قلت ذلك لشخصٍ واحد من قبل، ولم يجرِ الأمر على نحو جيِّد».



عرف بيلامي على الفور أنها تقصد ويلز، قال: «لا بأس».

ثمَّ طوَّقها بذراعه قائلًا: «مهما كان ما حدث، يمكننا أن نتعامل معه».

التفتت أخيرًا لتواجهه، بوجه صلب، ثمَّ زفرت وقالت بتردد: «الأمر ليس بهذه السهولة».

في البداية ظنَّ بيلامي أنَّ قصة كلارك عن التجارب محض هراء. فَلَمْ يستطع أن يصدِّق ما تقوله، ولا صدَّق أن أبويها كانا يبحثان عن طريقة لعلاج التسمم الإشعاعي، فأجبرهما نائب المستشار على إجراء تجارب على الأطفال غير المسجلين، لكنه بمجرد أن نظر إلى عينَيْ كلارك، عرف فورًا أن ما ترويه كان حقيقة.

قاطعها بيلامي أخيرًا، وقال: «هذا وحشي».

وتمنى لو أنها تقول له ما يعضد حكايتها ويجعلها منطقية، أو تشرح له سبب إخباره بتلك القصة الآن. وفجأة، خطر له خاطر آخر، وهو أن"أوكتافيا كانت غير مسجلة"، فقال ببطء مرتعدًا من الخوف: «وهل كانت أوكتافيا هي التالية في تلك التجارب؟».

وتخيل أخته الوحيدة محجوزةً في معملٍ قصيٍّ لا أحد يتمكن من سماعها وهي تبكي، أو يدري بها وهي تتسمَّم ببطء حتى الموت.

قالت كلارك: «لا أعرف، ليس لديَّ علمٌ كيف يُختار الأطفال، لكن الأمر مرعب، كنت أكره نفسي كل يوم».

- إذن لماذا لم توقفي ذلك؟ لماذا قتل أبواكِ أطفالًا أبرياء؟ كيف تمكن الشر منهما إلى هذا الحد؟

- ليسا شريرَيْن. لكن لم يكن لديهما خيار آخر.

كانت على وشك أن تبكي، لكن بيلامي لم يهتم لذلك، فقال: «بل إنهما كذلك، لقد اتخذتُ قرارًا أن أفعل أي شيء لأحمي أوكتافيا. لكنكِ اخترتِ أن تقفي لمشاهدة حفلةٍ



لقتل حفنةٍ من الأطفال».

أغلقت كلارك عينيها، وقالت: «لم أكن بجانبها طوال الوقت، لم أكن بجانب ليلي طول الوقت».

استغرق الأمر لحظةً من بيلامي لاستيعاب ما كانت تقوله كلارك. قال: «ليلي، أهكذا تعرفت عليها؟ أكانت واحدةً من فئران التجارب؟».

أومأت كلارك جافلةً فتصاعد صوت بيلامي في غضب: «إذن لم تمُت بسبب مرض غامض، بل بسبب أن أبويك كانا يجريان عليها التجارب».

كانت ليلي الفتاة الوحيدة على السفينة التي كانت تهتم لأمره. والفتاة الوحيدة التي أحبها من أعماق قلبه.

توقف ليستوعب كلمات كلارك، قال: «ما الذي تقصدينه بأنكِ لم تكوني بجانبها دومًا؟».

وعندما لم تقل كلارك شيئًا، قال: «أتقصدين أنكِ ساعدتِها على الهرب؟ ألا تزال حية؟».

- لقد كانت صديقتي يا بيلامي.

ثمَّ انهمرت الدموع على وجنتَيْ كلارك، لكن بيلامي تجاهلها، قالت: «هي من علمتني كيف أتحدَّث مع الفتيان، وهي من اصطحبتني إلى الحفلات أسبوعيًّا تعودتُ أن آتي لها بالكتب، فتقرأها عليَّ بصوتٍ عالٍ مؤدِّيةً أصواتًا مرحة باختلاف شخصيات الكتاب، حتى طالها المرض، فقرأتُ بدوري الكتب لها.

وبعد ذلك، عندما سألتني المساعدة، سددتُ دَيني، وكان عليَّ ذلك، لأنها لم تترك لي خيارًا...».

سألها بيلامي بصوتٍ خفيض ومتوتر: «وكيف ساعدتِها؟».



- أنا... لقد توسلت لي أن أفعل ما يلزم لأُزيل الألم. لقد طلبت مني...

مسحت كلارك أنفها بمؤخرة يدها، فتقطع صوتها، قالت: «طلبت مني أن تموت».

قال بيلامي شاعرًا بالغثيان: «تكذبين».

كان يتخيل منذ ساعة واحدة أن كلارك لم تكن لديها القدرة لتقدم على مثل هذا الفعل، وأنها قادرة على الدفاع عن شرفها حتى الموت. لكن الفتاة التي تجلس أمامه الآن ما هي إلَّا وحش خبيث. ورغم ذلك، كان يعرف ليلي خير المعرفة. قال: «ليلي لم تطلب منكِ هذا». ثمَّ وقف على قدمَيْه غاضبًا، وأردف: «كانت لتفعل كل ما في وسعها فعله لتنجو من ألاعيبك القذرة».

قالت كلارك بصوتٍ مبحوح والنشيج يتصاعد في حلقها: «بيلامي، أنت لا تفهم».

قاطعها قائلًا: «لا تتجرئي على أن تخبريني بما أفهمه، لا أريد أن أراكِ مجدَّدًا إلى الأبد. يمكنكِ أن تعرضي خدماتك على الأرضيين، ألن يكون ذلك مرحًا؟ مجموعة كبرى من السكان بإمكانكِ إجراء التجارب عليهم؟».

ثمَّ استدار وركض، تاركًا كلارك وحدها ترتجف في الغابة. هامَ على وجهه في الغابة، بدموعٍ منهمرة. لم يكن عليه أن يثق بكلارك، ولم يكن عليه أن يقترب منها إلى هذا الحد، لقد تعلم منذ وقت طويل أنه ليس هناك شخص يمكن الاعتماد عليه سوى نفسه. والشخص الوحيد الذي يهمه هو أوكتافيا. لقد ضيَّع الكثير من الوقت بالفعل. وقد حان الوقت لاسترداد أخته. لقد سئم التعامل بلطفٍ مع الفتاة الأرضية. لقد سئم التعامل بلطفٍ مع الجميع.

الفصل السادس عشر

ويلز

كان ويلز مشغول البال بشأن العودة إلى المخيم من دون أن يراه أحد هذه المرة على الأقل، فلم يكن هو وساشا عائدَيْن حاملَي الطعام، بل فقط ذكريات البيت الخَرِب التي علقت في ذاكرته كطلاء من الغبار.

عندما رأى كلارك تخطو خلف شجرة كبيرة، تنهد في ارتياح، فقد كانا قريبَيْن بما يكفي ليُسلِّم ساشا لكلارك، متظاهرةً بأنها توصل السجينة إلى المرحاض، يعلم ويلز أن كلارك لن تمانع في إخفاء فعلته، فمن ضمن جميع الناس، كلارك هي من رأت أن تقييد ساشا في الكابينة حماقة.

رفع ويلز يده لإلقاء التحية، ثمَّ لاحظ أن هناك خطبًا ما، فكلارك دائمًا ما تتحرَّك لفحص نبات ما لفت انتباهها، لكنه صُدم عندما وجدها تسير في الغابة كما لو أنها تجر أذيال الخيبة وراءها.

صاح ويلز: «كلارك».

ثم تبادل مع ساشا نظرةً ذات مغزى، فأومأت بصمتٍ موافقةً على أن تظل في مكانها، ركض باتجاه كلارك، وبينما يقترب منها، لاحظ احمرار عينيها. هل كلارك، التي وقفت في أثناء محاكمة أبويها في صمتٍ مطبق، تبكي؟



- أأنتِ بخير؟

- أنا بخير.

ثمَّ نظرت إلى الأمام مباشرةً حتَّى لا تلتقي عيناهما، لكن حتَّى من دون أن يرى دموعها، كان ويلز يعرف أنها تكذب.

- كلارك، ما الذي حدث؟

ثَمَّ نظر إلى ساشا ليتأكد من أنها تقف بأمان بعيدةً عن الأنظار.

- بعد كل ما مررنا به معًا.

وكأن كلارك تريد أن تقول: "بعد كل ما سبَّبناه لبعضنا بعضًا من ألم".

- بعد كل ما مررنا به معًا، هل تظنين أنَّني لن أعرف حين تمرّين بخطبٍ ما؟

أَوْمأَتْ ونشقت لكنها لم تقل شيئًا، فعبس ويلز قائلًا: «هل حدث شيء بينكِ وبين بيلامي؟».

توقَّع ويلز أن تصده، لكنها نظرت إليه، وامتلأت عيناها بالدموع، وقالت: «أنا آسفة، آسفة يا ويلز، لقد ظللتُ أعاتبك طويلًا، في حين كان من المفترض عليَّ أن أسامحك».

قال ويلز بتردُّد: «لا بأس».

ثمَّ حاوطها بذراعه. بشكلٍ ما كان يعرف أن اعتذارها لم يكن مُوجَّهًا إليه على قدر ما كان مُوجَّهًا لبيلامي. قال: «ما الذي يمكن أن أفعله لأساعدك؟ أتريدينني أن أضربه؟».

- لا



كانت تبتسم.

قبل أن يتمكن من قول أيّ شيء آخر، اتَّسعت عينا كلارك من هول المنظر الذي لفت انتباهها خلف ويلز.

للحظة، ظنَّ ويلز أنها تنظر إلى ساشا، لكن عندما التفت للخلف ليتبع أنظار كلارك، تحوَّلَ انزعاجه إلى رعب.

كان هناك ما يتدلى من فرعِ شجرة طويلة وسميكة، كان هناك ما يدور ببطء، ويتأرجح من جانبٍ إلى آخر بينما يصطدم بالجذع. ظنَّ ويلز أنَّ ما يتدلى مجرَّد شخص، قبل أن يتراجع مدركًا عدم استطاعة أيِّ شخص أن يتدلى من هذه الزاوية على الشجرة. كما أنه لا يوجد وجه إنسان على هذه الدرجة من الزُّرقة.

أطلقَتْ كلارك صيحةً لم يسمعها من قبل، صيحة بين الصراخ والأنين. تقدَّمَ ويلز بضع خطوات للأمام، على أمل أن يُقدِّم له عقله تَفْسِيرًا آخر، لكنها كانت خطوات كالعدم.

صاح عاليًا: «لا».

ورمش سريعًا ليُبدِّدَ الصورة التي يراها، كما كان يفعل مع زلات قرنيةِ عينه. لكن الجسم ظلَّ يدور على الشجرة. فتاةٌ صغيرة، ورغم أن وجهها لا يكاد يبين، فقد عرفها من شعرها الداكن اللامع، ومعصمَيْها الدقيقَيْن ويدَيْها الصغيرتَيْن اللتَيْن دائمًا ما كانتا تفاجئانه بقوَّتِهما.

لهثت كلارك خلفه قائلةً: «بريا».

تقدَّمَتْ باتجاه ويلز وأمسكت ذراعه، ولأَوَّلِ مرَّة منذ أن هبطا إلى الأرض، ردعها الخوف فَلَم تستطع فعل شيءٍ سوى التحديق.

كان الحبل المربوط في عنق بريا محفورًا في بشرتها، تلك التي كانت سمراء ذهبية منذ



ساعات، واستحالت إلى سمراء مُزْرَقَّة. قال ويلز: «علينا أن نُنزلها».

رغم أنه كان يعلم أنه لا يوجد شيء يمكن فعله لمساعدتها. اتخذ خطوات مهزوزة للأمام، ثمَّ أدرك أنَّ ساشا كانت بالفعل تتسلَّقُ الشجرة، قالت وهي تحاول التسلُّلَ عبر غصن الشجرة: «مرِّر لي السكين». ثمَّ قالت: «فورًا».

اتَّخَذَ عِدَّة خطوات مُترنِّحة للأمام وهو يُخرج سكينه من جيبه، ثمَّ ألقى بها إلى ساشا التي تلقَّفتها من مرَّة واحدة. وبصمت، قطعت ساشا الحبل الذي يربط بريا بالشجرة، وأنزلتها بعناية.

قال ويلز: «أتعتقدين أنها فعلت ذلك بنفسها؟».

والتفت إلى كلارك التي راحت تجس نبض القلب في عنقها وهي تعلم مُقدَّمًا أنها لن تجد شيئًا، بريا الهادئة، والمتعاوِنة، والصَّبورة. لماذا قد تفعل شيئًا مثل ذلك في نفسها؟ أهذا مرض الحنين للديار؟ أم أنها شعرت أنَّ وقت إنقاذ المئة قد ولَّى؟ بدأت خيوط الذنب تشقُّ طريقها على وجه ويلز فارتعب.

أكان يمكنه أن يفعل المزيد حتى تشعر بالأمان؟

قالت ساشا بصوتٍ مهزوز: «لا».

هبطت ساشا من أعلى الشجرة وهي تقفُ الآن على بُعد أمتار خلف ويلز.

قالت كلارك دون أن ترفع عينيها عن بريا: «لستُ مُتأكِّدةً بعد، لكن يجب أن استغرق وقتًا لفحص العلامات البارزة على عنقها، ووضع الحبل على العنق».

ثمَّ توقفت عن الكلام. فقد كان ويلز يعرف أنها لا تُفضِّل لعب دور الطبيب الشرعي.

قالت ساشا بحزمٍ هذه المرَّة: «لم تقتل نفسها».

قالت كلارك: «ومن أين لكِ أن تعرفي هذا؟».



ثمَّ انتقلت لتواجه ساشا. لكن ويلز لم يعرف ما إذا كانت كلارك لم تكن تحب التدخل في عملها الطبي، أم أنها استاءت من اقتحام شخص غريب شأنًا خاصًّا بهم.

قالت ساشا بهدوء وهي تُشير بإصبعها: «لاحظي قدمها».

حتى تلك اللحظة ، لم يكن ويلز قد أدرك أن بريا حافية القدمين. تقدَّمَ خطوة ومال للأمام في محاولةٍ منه ليرى ما الذي تتحدث عنه ساشا. رأى علامات في باطن قدمها تبدو من الوهلة الأولى بقعًا من الوسخ. لكن عندما تقدَّمَ خطوةً أخرى للأمام. أدرك أن ما يراه أمامه جروحٌ على شكل أحرف.

لهثت كلارك قائلةً: «يا إلهي».

على باطن قدمها كانت ثمّة رسالة محفورة على اللحم. رسالة من كلمتين، كلمة محفورة على كلتا قدمَيْها الصغيرتَيْن تقول: «عودوا لوطنكم».

لم يكن على ويلز أن يقلق حيال إعادة ساشا إلى الكابينة. فبمجرد أن سمع أصوات آثار أقدام وصيحات مكتومة تأتي من الخلف، عرف أن رفاقه في طريقهم ليتفقدوا أسباب نواح كلارك، فأوصى ساشا أن تتسلَّل إلى المخيم متى ما صارت الساحة فارغة. فبعدما تنتشر كارثة بريا، سيمتلئ المخيم بما يكفي من الجلبة التي لن تجعل أحدًا يلاحظ اختفاء ساشا.

بعد مضي عشر دقائق عاد إيريك حاملًا جثة بريا إلى الساحة، بينما رافق أنطونيو كلارك وسط اندهاشها وارتعاد جسدها. تمنى ويلز لو أن بمقدوره مساعدتها، خاصَّةً بعدما عرف أنها مستاءة من تصرُّف بيلامي، لكن كان على شخصٍ ما المكوث في مسرح الجريمة لفحص مت حدث كما تم، خاصةً مع اقتراب غروب الشمس.

راقب الجميع وهم يغادرون خلف الجثَّة، وبمجرد أن اختفى موكب الجنازة العفوي، بدأ ويلز يتفقَّد المنطقة مُحاوِلًا أن يعرف ما إذا كان أحدهم قيَّدها في مكانها، أم جرَّها من مكان آخر. تجاهل ويلز التفكير إلى أي مدى كانت بريا مرعوبة، أو ما فعله الأرضيون حتى يكتموا صوتها. كما أنه لم يحاول أن يفكر ما إذا كانت قد شعرت بحفر



السكين، أم أنهم انتظروا موتها حتى يحفروا الكلمات على قدمها.

قفز ويلز إلى فرع الشجرة ليتفحص أجزاء الحبل المهترئ. واتضح له أنه واحد من الحبال النايلون الرقيقة التي تربط حاويات الإمداد في السفينة.

وهو ما يعني أن الأرضيين كانوا في مخيمهم.

عندما بدأت الأفكار السوداوية تتغلب على عزمه، سمع صرخةً أخرى خلعت قلبه وتردَّدت أصداؤها بين الأشجار. ساشا. وفي حركة سريعة، هبط من فرع الشجرة وانطلق عدوًا. سمع الصَّرخة مرَّةً أخرى، فأسرع لاعنًا كل كتلة طين يتعثر بها أو صخرة مخفية تعوقه من استكمال سيره. طوى ويلز الطريق الذي اعتاد أن يقطعه في رحلاته إلى النهر، متبعًا الصوت في عمق الغابة.

عندما اصطدم بكتلة من الشجيرات ورأى ساشا مع بيلامي، كان الارتياح هو ما بدا عليه، لكن بعدما دقَّقَ ورأى تفصيلتين في المشهد تراجع عن الارتياح. الخوف الذي بدا في وجه ساشا، ولمعة المعدن على عنقها. كان بيلامي يحيط ساشا بذراعه من الخلف ويمسك عنقها، ضاغطًا عليه بآلة حادة فضّية. قال بيلامي، بنظرات عينيه الحادَّة: «أخبريني إلى أين أخذ رفاقك أختي؟ أين يعيش قومك؟ وكيف يعاملونها؟».

شهقت ساشا و همست بشيء لم يسمعه ويلز. لكن في حركة مفاجئة، صاح ويلز وقفز قفزةً للأمام فأردى بيلامي على الأرض.

صاح ويلز: «أأنتَ مجنون؟».

ثمَّ ركل قطعة المعدن، التي كانت من بقايا حطام السفينة عن يد بيلامي. ثمَّ التفت لساشا، التي كانت ذراعاها ملفوفتين حولها، وترتعش، وقال بلطف أكبر: «هل أنتِ بخير؟».

أَوْمأَتْ، لكن عندما مدَّت يدها إلى عنقها، تلطَّخت ببقعٍ من الدماء. قال ويلز: «دعيني أرى».



أعاد ويلز شعرها للوراء ليلقي نظرةً أقرب. وجد جرحًا سطحيًّا عند حلقها لم يكن أكثر من مجرد خدش. ستكون بخير. لكن ويلز لم يُرِد أن يفكّر فيما كان سيحدث لو أنه وصل مُتأخِّرًا.

التفت ويلز لبيلامي قائلًا: «ماذا دهاك؟».

كان بيلامي ينهض على قدمَيْن مهزوزتَيْن. عندما رأى بقعة الدم على عنق ساشا شحب وجهه قليلًا، لكن نبرة صوته كانت لا تزال ساخطة. قال: «كنت أفعل ما يجب عليَّ فعله لاسترجاع أوكتافيا. من الواضح أني الشخص الوحيد الذي لا يزال يهتم لأمرها».

ثمَّ نظر إلى ساشا وقال: «لم أكن لأمسها بأذى على أي حال. فقط كنت أريد أن أُبيِّنَ لها أن حياة أختي ليست لعبة».

- كل ما عليك فعله هو أن تبتعد عنها.

ثمَّ وقف ويلز أمام ساشا ليفصل بينهما.

تلوَّى فم بيلامي سخريةً، وقال: «هل أنت جاد؟ مع أيِّ جانبٍ تقف يا ويلز؟ كل يوم يمرُّ تتقلص فرصي في إيجاد أوكتافيا. وكيف تظن حالها الآن، أتظن أنها تحضر حفلة الشاي مع الأرضيِّين؟ نحن نعرف أنهم ربما يعذبونها الآن».

مسَّ الألم في نبرةِ صوتِ بيلامي ويلز فَرَقَّ قلبه، إذ كان يدرك ما يشعر به بيلامي، فالخوف واليأس قد دفعاه إلى الحافة، لأن هذا ما شعر به ويلز تمامًا عندما علم أن حكم الإعدام على وشك أن يُنفَّذَ في كلارك، عندما كانا في المستوطنة.

قال ويلز مُحاوِلًا أن يُبدي نبرة تعاطف مع بيلامي: «أقدِّر ألمك تمامًا، لكن أرجوك لا تحاول إيذاء أيِّ شخص، حسنًا؟ لن يكون هذا دأبنا على الأرض».

ردَّ بيلامي فورًا: «أرجوك أنت، إذا كنتُ أحاول إيذاءها، كنتَ ستجد شلَّالًا من دمائها على الأرض الآن».



صاح ويلز: «يكفي هذا، سأعيد ساشا إلى المخيم، وأقترح أن تعود إلى المخيم حينما تكون قادرًا على اتخاذ قرارات سليمة».

أمسك ويلز ساشا من معصمها وقادها نحو المخيم.

ثمَّ سمع بيلامي يقول بصوتٍ مكتوم: «خائن».

حاول ويلز أن يتجاهل ما قال، لكنه ظلَّ يفكر ما إذا كان بيلامي على حق. أكان أحمق عندما وثق بساشا؟ نظر إلى وجهها، الذي كان مرتعبًا تمامًا، وعيناها تنظران إلى الأمام مباشرة. عقله مغلق، لا يرى إلا جثة بريا محمولةً على الأكتاف. لقد دخل الأرضيّون إلى المخيم. واستخدموا حبالهم ليقتلوا واحدةً منهم.

قال ويلز بهدوء لساشا: «آسف لما حدث منذ دقائق، هل أنتِ بخير؟».

- نعم، أنا بخير.

لكن صوتها كان لا يزال مهزوزًا، بل كان ويلز يشعر أنها ترتجف. أمسكها من مرفقها، فوضعت راحة يدها في يده، وسارت وهي تنظر إلى الأمام. وظلَّ ويلز صامتًا وهما عائدان إلى المخيم، يدًا بيد.



الفصل السابع عشر

جلاس

قال لوك لجلاس وهو يسحبه من تحت جثة ملقاة على الأرض: «لا تنظري». فأشاحت بوجهها قبل أن تعرف حتى ما إذا كانت الجثة لمدني أم لعسكري. ولم تعرف قط ما إذا كانت رجلًا أم امرأة.

لم تكن جلاس تدرك ما حدث. أكانت تتوقع حقًّا أن الوُلدانيين والأركاديين سيدخلون إلى فينيكس عبر الجسر في نظام وأمان، يلقون السلام على من كان يحجزهم كلهم حتى الموت؟

لا، بالطبع كانت تعرف أن الأمور لن تكون بسيطة أو منظمة. لكنها لم تتوقع كل تلك الجلبة التي عمَّت الجسر عندما انفتح الحاجز، فصُمَّت الآذان من الصيحات والصرخات والنحيب والهتافات.

لم تكن جلاس تتوقع أن يخرج صوت رجل من مكبرات الصوت، فعلى مدار الأعوام السبعة عشر الماضية، كان نظام مخاطبة العامة في فينيكس، يذيع البيانات التافهة سابقة التجهيز بصوتٍ نسائي أقرب إلى أن يكون آليًّا.

وصدر عبر مكبر الصوت: «يُرجى الالتزام بجميع قيود حظر التجول، نوصيكم بالإبلاغ على كلِّ مَن يُشتبه بمرضه إلى مراقب الصحة».



مع اندفاع أوَّلِ موجة عبر الجسر، صدح صوتٌ مختلفٌ تمامًا مُحذِّرًا الجمع الفوضوي، قائلًا: «على كل المقيمين في والدن وأركاديا أن يعودوا فورًا إلى سفنهم. هذا هو التحذير الأخير، سيفتح النار على كل المعتدين».

كان سماع صوت رجل صادرًا من مكبرات الصوت أمرًا مُربِكًا، وكما لو أن السفينة قد مسَّها الجنُّ. لكنه لن يكون مُربِكًا بقدر ربكة عشرات الحرَّاس الذين يتوجهون إلى الجسر رافعين أسلحتهم إلى أعلى.

حتى الآن، لم تكن جلاس لتتوقع أن الحراس يجرؤون على فتح النار على أي أحد، لكنها كانت على خطأ.

فتح الحراس النار على الموجة الأولى من الوُلدانيين الذين عبروا الجسر، لكن ذلك لم يكن كافيًا لردع الحشود الذين هجموا على الحرَّاس فتغلبوا عليهم وصادروا منهم أسلحتهم. وفي خلال دقائق، امتلأت فينيكس بالوُلدانيين والأركاديين. في البداية، كان توفر الأوكسجين مصدر راحة للجميع، فقد ملأ كلٌّ منهم صدره بما استطاع من الأوكسجين النقي. لكن بعد ذلك بدؤوا الانتشار عبر فينيكس، حاملين كل ما تستطيع أيديهم الوصول إليه من سلاح، وفاتحين كل الأبواب لسرقة كل ما يتمتع به الفينيقيين. وسرعان ما خرج العنف عن السيطرة.

سحب لوك رفيقته جلاس جانبًا ليتفاديا رجلين يركضان بسرعة، يحمل كلٌّ منهما صندوقًا ضخمًا من عبوات البروتين، خلفهما رجلان وُلدانيان آخران لم يكونا يحملان أيَّ مؤن، ولكن حملا معًا حارسًا فاقد الوعي.

غطَّت جلاس فمها مرتعبة وهي تشاهد حارسًا شابًّا يلتفت يمينًا وشمالًا. على وجنته كدمة أرجوانية عميقة، ومن كتفه تتساقط دماء إثر جرح بليغ تاركًا خلفه آثارًا من الدماء. كان بوسعها الشعور بارتباك لوك بجانبها، فمسكته من ذراعه لتقيده، وهمست: «لا تفعل. اتركهم يذهبون».

شاهد لوك الولدانيين يجرُّون حارسًا باتجاه زاوية ويختفون، رغم أنَّه لا يزال قادرًا



على سماع أصوات ضحكاتهم تتردَّد في الرواق، قال: «كان بإمكاني استرداد الجثث».

لو كانا في موقف آخر، لضحكت جلاس على سخط أوك، لكنها شعرت بأن خوفها يتنامى، وما كان بمقدورها التفكير فيه حاليًّا هو العثور على أمها والاتجاه صوب منصة الإطلاق. كانت تتمنى لو أنَّ أمها آمنة في منزلها، وأنها تدرك أنَّ البقاء في المنزل أفضل من المجازفة بالخروج إلى الفوضى.

***

كانت جلاس تحب أمها، لكنها كانت على علم أنها لم تُجبل على مواجهة الأزمات، وعبر السنوات. أدركت جلاس أن ثمة معارك لا تستطيع سونيا أن تواجهها.

وهكذا تعلمت جلاس أن تحارب من أجلها هي وأمها.

كان من المستغرب أن تعود من قسم المعاملات وحدها، من دون جورا أو هكسلي بجانبها يثرثرن عن مشترياتهن، أو يبتكرن طرقًا حتى لا تكتشف أمهاتهن كم نقطة أصرفن. لكن غيابهن جعل جلاس أكثر وعيًا بما تحمله في جيبها، إذ كانت تحمل آخر عُقد لأمها.

دخلت أم هكسلي محل المجوهرات في الوقت التي كانت جلاس تساوم فيه البائع الذي يقدِّر ثمن العُقد، قالت: «إنه عُقد جميل يا حبيبتي».

ونظرت إلى جلاس نظرةَ شفقة قبل أن تميل على إحدى صديقاتها لتقول شيئًا لم تُميِّزه جلاس. خجلت جلاس لكنها ظلَّت تُجَادِلُ البائع. فهي وأمها تحتاجان نُقطًا للإعاشة.

عندما خرجت من قسم المعاملات، شعرت أن أعين الجميع عليها. ففينيكس بكاملها كانت في حالة من الصدمة المبهجة للفضيحة التي تحيط بعائلتها، ورغم أن الخيانة لم تكن شيئًا جديدًا في فينيكس، لكن مغادرة المنزل كانت خطوةً صعبة بالنظر إلى نقص المؤن. ووفقًا للأعراف، إن فردين اثنين لا يمكن أن يشغلا شقة تصلح لثلاثة



أفراد، ما يعني أنَّ جلاس وأمها ستُجبران على الانتقال من شقتهما إلى واحدة أصغر بأثاث غير مريح. والآن، من دون دعم أبيها غير المحدود من نقاط الإعاشة، سيكون عليهما أن يبيعا كل شيء تمتلكانه في قسم المعاملات حتى تعتاشا على الماء وعبوات البروتين فقط.

دخلت جلاس الردهة وزفرت في ارتياح عندما رأتها فارغة. الميزة الوحيدة في العيش بمكانٍ غير مرغوب هو أنك لن تكون مُضطرًّا إلى ملاقاة أشخاصٍ تعرفهم. لقد مرَّت أسابيع لم تَرَ من كورا أيَّ شيء سوى إيماءة فظة في الرواق، وهي تمسك هكسلي التي تبتسم لجلاس من مرفقها. ويلز كان الوحيد من أصدقائها الذي كان يتعامل معها وكأن شيئًا لم يحدث، لكنه انضمَّ مؤخَّرًا لتدريب الضباط، ومن شأن هذا أن يجعله مشغولًا طوال الوقت، فبالكاد كان يزور أُمَّه في المستشفى، ناهيك بالتسكع مع جلاس.

ضغطت بيدها مُستشعرَ الباب فدلفت إلى الداخل تعبث بأنفها. فرائحة شقتهما القديمة كانت خليطًا من فواكه الصوبات غالية الثمن، وعطر أمها، لذا، لم تعتَد جلاس بعدُ على الرائحة الفاسدة والخانقة التي تعبِّق الوحدة الصغيرة.

كان الظلام سائدًا، فعرفت جلاس أن أمها لم تكن في المنزل. الأضواء كانت موصلة بمجسات الحركة، لكنها لم تضئ عندما دلفت إلى الداخل. وهذا أمر غريب. لوَّحت بيدها صعودًا وهبوطًا، فلم يتغير شيء. تأوَّهت. عليها الآن أن تقدم طلبًا لقسم الصيانة، الذي لا يُلبي الطلبات أبدًا. في الماضي، كان أبوها يراسل صديقته جاسمين ببساطة، وهي مديرة قسم الأعطال، حتى يُصلح العطل فورًا. لكن جلاس لا تستطيع التفكير في طلب أيِّ خدماتٍ من والدها.

على وقع الضوء الخافت، نهضت سونيا من الأريكة، وقالت: «جلاس، أهذا أنتِ؟».

وسارت باتجاه جلاس، لكنها صرخت عندما تعثرت قدمها بشيءٍ على الأرض.

قالت جلاس: «لماذا تجلسين في الظلام؟ هل أرسلتِ في طلب قسم الصيانة؟».



ولما لم تجد إجابةً من سونيا، قالت متجهمةً: «سأفعل ذلك بنفسي».

قالت أمها بصوتٍ متعب: «لا، لن يفيد هذا».

قالت جلاس بنفاذ صبر: «ما الذي تتحدثين عنه؟».

تعرف جلاس أنها يجب أن تكون صبورةً على أمها، لكنها باتت مثيرةً للغضب مؤخَّرًا.

- لم تتعطل المجسَّات، إنما نفدت حصتنا من الطاقة، وليس لديَّ نقاط إعاشة لأغطي ما نحتاج إليه.

- ماذا، أمر مضحك، لا يستطيعون أن يفعلوا هذا معنا.

- ليس لدينا خيار، سنضطر إلى الانتظار حتى...

قالت جلاس بحِدَّة: «لن ننتظر».

ثمَّ دارت على كعب حذائها وخرجت من الشقة المعتمة.

كان مكتب والد كورا في آخر ممر طويل حيث تقع معظم مكاتب رؤساء الأقسام، لم تكن الردهة مشغولة، فمن خبرتها السابقة، كان معظم رؤساء الأقسام يقضون القليل من الوقت على مكاتبهم، لكنها ظلت عالقة في ظنها بأنها يحق لها أن تطلب معروفًا من أصدقاء والدها.

كان مساعد السيد دراك يجلس خلف مكتبه يعبث ببعض الأرقام على سورة ثلاثية الأبعاد. لم تكن كلارك تعرفه لكنه نظر إليها رافعًا حاجبَيْه، وقال: «كيف يمكن أن أساعدك؟».

- عليَّ أن أتحدث إلى السيد دراك.



- أخشى أن السيد مسؤول الموارد مشغولٌ للغاية في الوقت الحالي، لماذا لا تتركي رسالتك لأخبره....

- حسنًا، سأخبره أنا بها.

نظرت جلاس إلى المساعد نظرةً متعالية ثم مرَّت مقتحمةً المكتب.

نظر إليها والد كورا من وراء مكتبه عندما دخلت. ولثانية، حدَّقَ إليها وسط دهشته، لكن ارتسمت على وجهه سريعًا ابتسامة كبيرة منافقة. قال: «جلاس يا لها من مفاجأة سارَّة، ما الذي يمكن أن أفعله لكِ يا حبيبتي؟».

- يمكنك أن تعيد إضاءة الأنوار في شقتنا، أنا متأكدة أن انقطاع الطاقة لم يكن إلا خطأ غير مقصود من جانبكم. فمن الطبيعي أنك لن تتعمد قطع الطاقة وتتركني أنا وأمي نقضي الشهر التالي في الظلام.

عبس السيد دراك ثمَّ نقر على شاشاته فاتحًا ملفًّا ليراجعه، ثمَّ قال: «حسنًا، لقد انتهت حصتكم من الطاقة، إلا إذا كان لديكم بعض النقاط التي يمكن أن تضيفوها إلى حسابكم، أخشى أني لا يمكنني فعل شيء أكثر من هذا».

- أنا وأنت نعرف أن ما تقوله ليس سوى كذبة، أنت رئيس قسم الموارد ويمكنك فعل ما يحلو لك.

نظر إليها ثمَّ قال: «أنا مسؤول عن رفاهية المستوطنة بالكامل، لذا، إذا أخذ شخص ما أكثر من نصيبه المُحدَّد، فلست مسؤولًا عن تقديم أيِّ استثناءات».

أمالت جلاس رأسها ثمَّ قالت ببراءة زائفة: «إذن رشوة عمال الصوبات الزراعية وبيع الفاكهة في السوق السوداء لا تُعَدُّ استثناءات؟».

احمرَّت وجنتا السيد دراك وقال: «لا أعرف عمَّا تتحدثين».

- عذرًا، لا بد أني لم أفهم من كورا حق الفهم، عليَّ أن أُحضر صديقي ويلز ليفسِّر لي،



فهو يعرف المزيد عن ذلك أكثر مني، نظرًا إلى أنه ابن المستشار.

صمت السيد دراك لفترة قبل أن يتنحنح ويقول: «أعتقد أنه يمكنني أن امنحكم منحةً لمرَّةٍ واحدة، والآن عليكِ أن تعودي من حيث أتيتِ، لأني ذاهب لاجتماع».

ابتسمت جلاس ابتسامةً مشرقة قائلةً: «شكرًا جزيلًا لمساعدتك».

ثم صفقت الباب وتوقفت لتنظر إلى المساعد نظرةً متعالية أخرى، وشقَّت طريقها.

أُضيئت الأنوار مرَّةً أخرى عندما عادت إلى المنزل، سألتها سونيا وهي تشير إلى الأنوار في ذهول: «هل أنتِ من فعلتِ هذا؟».

- فقط أزلتُ بعضًا من سوء الفهم.

ثمَّ ذهبت إلى المطبخ لتقييم خيارات الغداء.

قالت سونيا: «شكرًا لكِ يا جلاس، أنا فخورةٌ للغاية بكِ».

شعرت جلاس بمسحةٍ من الرِّضا، لكن عندما استدارت لتبتسم إلى سونيا، أدركت أنها قد اختفت عائدةً إلى غرفة نومها.

تلاشت ابتسامة جلاس وهي تحدِّق إلى البقعة التي كانت سونيا تقف فيها، فقد قضت حياتها تعتقد أنها ليست بجمال أمها، ولا في سحرها. لكن ربما كان بإمكان جلاس أن تنجح فيما فشلت فيه أمها.

ستعرف جلاس كيف تصل إلى ما ترغب، وإلى ما تحتاج، حتَّى لو فشل جمال رموشها الطويلة في إقناع خصمها بذلك، فعندما يتيبَّس جسدها ويتلاشى جماله، سيكون لديها أكثر من مجرد الجمال، ستمتلك السلطة.

***



كان رواق شقة جلاس هادئًا للغاية، فلم تكن مُتأكِّدةً ما إذا كان ذلك بشارةً طيِّبة أم نذرًا سيِّئًا، دقات قلبها تتسارع، سارت حتى باب شقتها ثمَّ ضغطت بإبهامها الماسحَ الضوئيَّ، بينما يضع لوك يده على كتفها في سكينة. لكن قبل أن يقرأ الماسح بصمة يدها، انفتح الباب.

في لحظة، أخذتها أمها في أحضانها قائلةً: «يا إلهي! كيف عدتِ إلى هنا؟ الجسر مُغلق».

ثمَّ انقطع صوتها عندما لمحت لوك.

استعدَّت جلاس لوصلةٍ من السباب من أمها للوك، باعتباره الفتى الذي دمَّر حياة ابنتها، لكن لدهشتها، تقدَّمَتْ أُمُّها خطوةً إلى الأمام، وأحاطت لوك بذراعَيْها وقالت بوقار: «أشكرك، أشكرك لأنك أعدتها إلى هنا».

أوْمَأَ لوك، فمن الواضح أنه لا يعرف كيف يرد، لكن حُسن أخلاقه وتحكمه في ذاته هما ما تفوَّقا كما العادة، قال: «في الواقع، جلاس هي مَن أحضرتني إلى هنا، لقد أنجبتِ فتاةً شجاعة بشكل لا يصدق يا سيِّدة سونيا».

ابتسمت سونيا وهي تُحرِّر يدها من لوك، وتحيط جلاس مجدَّدًا، وقالت: «أعرف».

ثمَّ قادتهم إلى غرفة المعيشة الضيِّقة والمُرتَّبة. عندما دارت عَيْنا جلاس في الغرفة، لم تجدا ما يدل على حزم الأمتعة أو أيَّ نيةٍ للمغادرة.

سألت جلاس من دون تفكير: «ما الذي يحدث هنا؟ هل يعلمون إلى متى سيستمر الأوكسجين؟ وهل هناك أي خططٍ للإخلاء؟».

هزَّت سونيا رأسها قائلةً: «لا يعرف أحد أي شيء، فالمستشار لا يزال غافيًا في غيبوبته، ورودس لا يزال مسؤولًا».

شعرت جلاس بموجةٍ من الحزن على ويلز، فقد مرَّت الآن ثلاثة أسابيع، ولا يبدو أن



صحة المستشار تشهد أي تحسُّن خاصَّةً في الوقت الذي يتجه فيه الناس إلى سفن الإنزال.

سألتها جلاس مُصوِّبةً نظرتها نحوها: «وما الذي يقولونه للناس؟».

في الليلة التي سبقت هروب جلاس إلى والدن، رأت أمها ورودس معًا، وقد بدا أنهما في وضع أكثر حميمية من وضع الأصدقاء، لذا ظنَّت جلاس أن سونيا قد يكون لها حق المعرفة، لكن سونيا هزَّت رأسها قائلةً: «لا شيء، لم يعلنوا عن أي مستجدات أو تعليمات». زفرت ونظرت إلى الأسفل، ثمَّ قالت: «لكن الناس يتحدثون بالطبع، بمجرد ما أُغلق الجسر، صار من الواضح أن.. حسنًا... صار من الواضح أن الأمور لن تشهد أي تحسُّن».

- وماذا عن سفن الإنزال، هل ثمة أخبار عنها؟

- لا توجد أخبار رسميَّة حتى الآن، فالمدخل لمنصات الإطلاق لا يزال مغلقًا حسبما سمعت، لكن الناس بدأت بالفعل التوجُّه نحوها، حتى إذا ما استجدَّ جديد.

لم تكن في حاجة إلى إضافة المزيد. فالسفينة قد صُمِّمت بما يكفي من سفن الإنزال التي تتمكن من استيعاب كل سكان المستوطنة الأصلية. وبعد قضاء ثلاثة قرون في الفضاء، صار هذا الرقم أربعة أضعاف. حتى الضوابط القاسية التي سُنَّت للسكان لم تفلح في إحداث أثر كبير.

بالنسبة إلى الأطفال في فينيكس، كان العدد المحدود لسفن الإنزال مثار تندرهم على بعضهم بعضًا، فعندما يجيب طفلٌ منهم إجابةً غبية في الاختبار، أو يخفق خلال لعبة الجاذبية، يجد من زملائه مَن يقول حتمًا إحدى الجُمل التي تشبه: لن نحجز لك مقعدًا في سفينة الإنزال. وقد كان من الآمن أن يسخروا من ذلك، لأن من المفترض للبشر أن يمكثوا في المستوطنة مئة عام أخرى. وعندما يتمكنون من العودة مرَّةً أخرى إلى الأرض، سيكون أمامهم الكثير من الوقت حتى تستوعب سفن الإنزال جميع مَن على المستوطنة ذهابًا وإيابًا. لدرجة أن لا أحد يتخيل ماذا يمكن أن يحدث

في حالة الإخلاء الكبير. فهذا الاحتمال كان قاتمًا للغاية.

قالت جلاس بحزم: «علينا أن نذهب فورًا، لا فائدة من الانتظار حتى الاعلان عن شيء. سيكون قد فات الأوان إذا ظللنا ننتظر. وستكون الأماكن قد امتلأت عن آخرها».

- سأحزم حاجياتي.

دارت عَيْنا سونيا في الغرفة لتجرُدَا ممتلكاتها الضئيلة.

قال لوك: «سينفد الوقت منا».

ثمَّ اقتاد والدة جلاس من ذراعها إلى الباب قائلًا: «لا شيء يستحق أن نفقد فرصة العودة إلى الأرض».

أومات سونيا وعيناها ترمشان من الخوف، واتَّبَعت خطوات لوك إلى الباب.

كلما اقتربوا إلى منصة الإطلاق، زاد ازدحام الممرات التي يركضون فيها، إذ مُلئت بالفينيقيين القلقين، بعضهم يحمل الحقائب والأطفال، والبعض الآخر لا يحمل شيئًا سوى ملابس في حقيبة صغيرة على ظهورهم.

مسك لوك جلاس بيد وسونيا بالأخرى، مُقتادًا إياهما خلال الحشود إلى الدَّرَج. حاولت جلاس ألا تنظر إلى أي شخص تمر بجانبه في عينه. فلم تكن تريد أن تتذكر وجوههم عندما تفكر في الموتى.

الفصل الثامن عشر

كلارك

أخبرت كلارك الأسيرة ساشا: «الجرح ليس خطيرًا».

وهي تُنهي تنظيف الجرح البادي على عنقها ثمَّ راحت تُقلِّب في صندوق الضمادات المتضائل. مدَّت يدها إلى الصندوق، ثمَّ تردَّدت، غير واثقة ما إذا كان يجب عليها استخدام واحدة من الضمادات المتبقية. بينما الجرح الذي أُصيبت به ساشا غير عميق كما أنه سيلتئم من تلقاء نفسه، وسيكون من الجيد أن تعالج الضمادة شيئًا أكثر خطورة.

قالت كلارك: «ستكونين بخير».

وتمنت لو أن ذلك يسري على الفتاة التي تستلقي على الجانب الآخر من الكابينة، بوجهها المسكين المشوه المغطى بغطاء لا يقدر أحد على إزالته. طلبت كلارك أن تفحص جثة بريا مرَّةً أخرى وأخيرة قبل أن تُدفن، حتى ترى ما إذا كان هناك أي دليل مهم قد فوَّتته هي وويلز في خضم الصدمة. أوْمَأَ ويلز لها حيث يقف على باب الكابينة ليستدعيها، فتبعته كلارك للخارج. همس لكلارك: «بيلامي يندفع نحو الجنون».

وشرح لها ما فعله، ومحاولته لانتزاع اعترافات لا تعرف ساشا عنها شيئًا. وقال: «عليكِ أن تُحدِّثيه».



جفلت كلارك. لم يكن لديها شَكٌّ أنَّ بوسعها حمل بيلامي على ذلك، أو مواجهته بأن ما عرفه عن ليلي هو ما دفعه للجنون. لكنها لم تستطع أن تقول لويلز ما حدث بينها وبين بيلامي في الغابة، فقالت: «لن يستمع إليَّ».

ثمَّ مسحت الساحة بعينيها، لكن بشكل ما شعرا بالارتياح وخيبة الأمل معًا لعدم وجود بيلامي في أيِّ مكان.

قال ويلز بضجر: «سأذهب للبحث عنه، أيمكن أن تبقي هنا لتراقبي ساشا؟ سيقتلنا بيلامي جميعًا إذا عاد ولم يجدها».

استمض وهو يختار كلماته، ثمَّ أغلق عينيه وفرك صدفيه، امتدَّت يَدُ كلارك لتفرك شعر ويلز بحكم العادة عندما تحمله الضغوط على فعل تلك الحركة الغريبة من حركات والده، لكنها توقفت في الوقت المناسب، ووضعت يدها على كتفه بدلًا من ذلك قائلةً: «أنت تعرف أنَّ ما حدث ليس خطأك».

- نعم، أعرف.

خرجت الكلمات حادَّةً منه من دون أن يقصد، فقال: « عذرًا، أقصد، شكرًا لكِ».

أَوْمأَتْ كلارك ثمَّ نظرت إلى كابينة المشفى قائلةً: «هل نحن بحاجة لأن نُبقيها بالداخل؟ من القسوة أن تكون جالسة بجانب....».

ثمَّ مسكت لسانها قبل أن تقول الجثة. وقالت: «جالسة بجانب "بريا"».

هزَّ ويلز كتفيه، ثمَّ نظر إلى الجانب الآخر من المخيم فرأى جراهام المتمرِّد يقف مع أصدقائه، كانوا بعيدين للغاية إلَّا أن رؤوسهم كانت تتلفت بين القبر الذي يحفره إريك وكابينة المشفى خلف كلارك وويلز، فقال: «أظن أنه من الأفضل أن نُبقيها بعيدة عن أعين الآخرين، وألا نُخاطر باستفزاز الأرضيِّين إذا ما مسَّها أي ضرر. انظري إلى ما فعلوه بالفعل من دون سابق استفزاز».



كان يتحدث بنفس طريقته في الكلام عن دوريات المياه أو واجبات إشعال الحطب، بنفس الهدوء والوضوح، لكن ثمة أمر في تعبيرات ويلز حمل كلارك على الظن أن لديه سببًا آخر حتى يحفظ أمن ساشا.

وافقت كلارك على كلامه قائلةً: «حسنًا».

وبعدما غادر ويلز، أخذت نفسًا عميقًا وعادت إلى الكابينة مرَّةً أخرى. وجدت ساشا جالسةً على فرشتها واضعةً قدمًا على أخرى، وتمرِّر إصبعها بطول الضمادة التي لصقتها كلارك على عنقها.

قالت كلارك: «حاولي ألَّا تلمسيها». وجلست على حافة فرشتها قائلةً: «الضمادة معقَّمة، لكن يدكِ ليست كذلك».

أنزلت ساشا يدها وألقت نظرةً على بريا وقالت بهدوء: «أنا آسفة للغاية، لا أصدِّق أنهم فعلوا ذلك بها».

قالت كلارك بتصنُّع وهي لا تعرف كيف ترد: «شكرًا لكِ».

لكن عندما رأت أنَّ الألم على وجه ساشا حقيقي، قالت بنعومة: «لا تؤاخذينا لأننا نضعك في مكان واحد مع بريا، لن يطول الأمر».

- لا بأس. لا يجب أن تتسرَّعوا. من المهم أن تقضوا وقتًا مع الموتى. فعادتنا أن ننتظر حتى الشروق الثالث للشمس لدفن أحبَّتنا.

حدَّقَت كلارك إليها سائلةً: «أتعنين أنكم تتركون الجثَّةَ في العراء؟».

أَوْمأَتْ ساشا قائلةً: «الأمم تتعامل مع الحزن بشكل مختلف. ومن المهم أن نمنح الجميع وداعًا يليق به، كلٌّ على طريقته».

أمسكت لسانها لتتأمل وجه كلارك، ثمَّ قالت: «أعتقد أنَّ الأمر مختلف في المستوطنة، فالموت نادر هناك، أليس كذلك؟ فلديكم علاج لكل شيء؟».



كان صوتها مشوبًا بالإعجاب والحنين ما جعل كلارك تتساءل عن الإمدادات التي يملكها الأرضيّون، وعدد الناس الذين افتقدوهم نتيجة نقص الإمدادات.

- بوسعنا علاج العديد من الأمراض، لكن ليس كل الأمراض. فقدَ صديق لي والدته منذ عِدَّة سنوات، كان الأمر مريعًا. قضت شهورًا في المستشفى، لكن في النهاية لم يكن هناك علاج لمرضها.

خلعت ساشا نعلها ثمَّ سألتها: «كانت أُمَّ ويلز، أليس كذلك؟».

نظرت كلارك إليها وسط اندهاشها: «هل هو مَن قال لكِ ذلك؟».

أشاحت ساشا بوجهها وبدأت العبث بحافة سترتها السوداء الرثَّة، وقالت: «لا، لكن يمكنني معرفة أنه عانى الأمرَّين، يمكنكِ أن تري ذلك في عينيه».

قالت كلارك بصرامة أكثر قليلًا مما قصدت: «دائمًا ما يُحمِّل ويلز نفسه أكثر مما يحتمل».

رفعت ساشا رأسها وحدَّقت إلى كلارك بتعبير ينُم عن الفضول أكثر من الألم، وقالت: «ألا نقع في ذلك جميعًا؟ أتعرفين، ثمة أمر طريف. عندما كنت أفكر في الأطفال الذين يعيشون في المستوطنة، كنت أتخيَّل أنهم بلا هموم، ففي النهاية، ما الذي يمكن أن تقلقوا حياله؟ لديكم آليون للخدمة، وأدوية تُمكِّنكم من العيش لخمسين عامًا بعد المئة. كما أنكم تقضون أيامكم محاطين بالنجوم».

كرَّرت كلارك مُقطِّبةً جبينها: «آليون للخدمة؟ من الذي قال لكِ ذلك؟».

- هي حكايات يرويها الناس. نحن نعرف أن معظمها على الأرجح ليس حقيقيًّا، لكن من الطريف أن تفكري في ذلك.

ثمَّ أمسكت لسانها خجلاً، وبدأت تضع قدمَيْها في نعلها مجدَّدًا قائلةً: «هيا، لديَّ ما أُريكِ إياه».

وقفت كلارك ببطء قائلةً: «لقد أخبرتُ ويلز أننا سنبقى هنا».

- أهو المسؤول هنا؟

كان سؤالًا بريئًا من ساشا لكنه أزعج كلارك. نعم ، كان ويلز يعمل بجد من أجل ألا يتحول المخيم إلى فوضى، لكن هذا لا يعني أنه مخول بإعطاء الأوامر للجميع. وقالت: «لا سلطة له عليَّ، إلى أين سنذهب؟».

- لنجعلها مفاجأة.

وعندما رأت التردُّد على وجه كلارك، زفرت قائلةً: «ألا تثقين بي حتى الآن؟».

فكَّرَتْ كلارك في السؤال وقالت: «أظن أني أثق بكِ أكثر من أي شخص هنا. ففي النهاية، لم تهبطي إلى الأرض لارتكابكِ جريمة».

نظرت إليها ساشا في ارتباك، لكن قبل أن تستدرك لتسألها أي أسئلة، التفتت كلارك بسرعة لمرضاها. لم يتغير حال فيليكس ومولي، لكن ثمة شيء غريب بشأن شفَّة الفتاة الولدانية. فقد بدا أنها ملطخة بشيء، أهو دماء؟ شهقت كلارك وهي تتذكر أيام ليلي الأخيرة، عندما كانت لثّتها تنزف بشدة، لدرجة أنها وجدت صعوبة في الكلام. لكن عندما أمسكت كلارك قطعة من القماش لتمسح الدم من على فمها. أُزيل الدم بسهولة كما لو أنها...

قطعت ساشا حبل أفكارها قائلةً: «أأنتِ مستعدة؟».

التفتت إليها كلارك مومئةً. فمن المحتمل أن تُريها ساشا بعض النباتات الطبِّية التي يستعملها الأرضيّون، ففي هذا الوقت، كانت كلارك مستعدة لتجربة أي شيء. فتحت الباب وخطت إلى الساحة، قائلةً بلهجة آمرة إلى الفتى والفتاة اللذَيْن عيَّنهما ويلز لحراسة الكابينة: «لا بأس، سأصطحب السجينة لقضاء حاجتها».

نظرت الفتاة إليهما بحذر، لكن الصبي أوْمَأَ موافقًا، وقال: «حسنًا».



ورأته كلارك يقول شيئًا للفتاة التي لا تزال غير مقتنعة، لكن كلارك لم تلُمها. فلا يوجد حتى الآن دليلٌ يدعم ما تدعيه ساشا حول وجود جماعة شريرة من الأرضيِّين. وبينما تعبران صفَّ الأشجار، شعرت كلارك بوخز خفيف في مؤخرة رقبتها، وسألت نفسها هل هي فكرة جيِّدة أن تذهب مع ساشا وحدهما في رحلة إلى الغابة؟ وخطر لها خاطرٌ مُلِحٌّ. ماذا لو أن ساشا هي من قتلت كل الأرضيِّين الذين هبطوا من قبل؟

سارَتا جنبًا إلى جنب في صمت. وقفت ساشا لتفحص نباتًا يُزهر بجانب جذع شجرة، ولم تكن كلارك تفكر في أي شيء سوى مدى بُعدهما عن المخيم، وما إذا كان سيسمعها أحدٌ إذا صرخت، وظلَّ وجه بريا الأزرق والمنتفخ والكلمات المحفورة على قدميها يخطران على بالها.

نظرت ورأت كيف تنظر ساشا إليها فقالت: «عذرًا، ماذا كُنتِ تقولين؟».

- قلت إنه يجب عليكِ أن تنزعي هذا النبات الذي ينمو بكثرة في المخيم.

نظرت كلارك إلى الجذع، فعرفت على الفور ثمار التوت ساطعة اللون، وقالت: «هل هو نباتٌ مفيد؟».

وفجأةً بدت أنها لا تستطيع تذكُّر متى آخر مرَّة قد تناولت أي شيء.

قالت ساشا: «لا، بل هو نبات سام».

وأشارت لكلارك أن تتراجع عن لمسه رغم أنها لم تمد يدها تجاهه. مرَّ خاطر في رأس كلارك ثمَّ استقر في صدرها، وقالت: «ما أعراض التسمُّم؟».

هزَّت ساشا كتفيها: «أعتقد الكثير من التقيُّؤ. كما أن من يتناوله لن يكون قادرًا على ترك السرير لأسبوع».

دار في رأس كلارك أعراض المرض لدى الأطفال في الكابينة: الغثيان، والحمى، والإرهاق، فقالت: «يا إلهي». وتذكَّرت ما تلطخ به فم مولي.



قالت كلارك: «لقد عرفت الآن».

ثمَّ التفتت إلى ساشا قائلةً: «هذا النبات هو ما يتسبب في مرض الناس. لا بدَّ أن مَن في الكابينة قد تناولوه».

اتسعت عينا ساشا، وابتسمت لكلارك ابتسامةً صغيرة: «سيكونون بخير إذن، أهلنا يوصوننا بالابتعاد عن هذه الثمار، لكن تناولها ليس مُميتا».

زفرت كلارك في ارتياح ونظرت إلى ساشا وسألت: «هل هناك أي ترياق له؟».

قالت ساشا وهي تفكِّر: «لم ينمُ إلى علمي ذلك، لكن عندما كنت مع سبعة من أصدقائي، تحدّانا صديق أن يتناوله. كان عليكِ أن ترَيْ شكل أبوَيْه عندما علما بتناوله لهذه الثمار، يا إلهي، لكنه عاد إلى ممارسة حياته الطبيعية بعد أسبوع، وهو ما كان يعني بالنسبة إليَّ الكثير من المشكلات».

ابتسمت كلارك، وقبل أن تفكِّر في الجانب المضيء للمشكلة، أخذت ساشا إلى أحضانها. سألتها كلارك: «إذن إلى أين تصطحبينني».

وبدت سعيدة فجأةً وهي تسير في الغابة، إذ بدا أنه قد مرَّ عليها وقت طويل قبل أن تذهب إلى أي مكان سوى المكوث في كابينة المشفى.

- واصلي السير، كدنا نصل.

انطلقتا مجدَّدًا وبعد مُضي عشر دقائق، توقَّفت ساشا، ونظرت خلفها وخلف كلارك لتتأكد من أن أحدًا غير كلارك لا يراقبهما، ثمَّ نحَّتْ مجموعة من الأغصان كاشفةً عما يشبه النفق في منحدر التل، قالت: «من هذا الاتجاه، لا تخشي شيئًا، فهو آمن تمامًا».

مرَّةً أخرى شعرت كلارك بوخز أقلق راحتها وهي تفكِّر في المسافة التي قطعتها من المخيم. لكن عندما تطلَّعت إلى وجه ساشا المبتسم والحماسي تلاشى الشك من



صدرها. لقد كانوا هم من أسروا ساشا، وقيّدوها، ومنعوا عنها الطعام وأبعدوها عن أهلها. بعد كل هذا، إذا كانت تثق بكلارك، فإن كلارك في رقبتها جميل يجب أن تردَّه.

شاهدت ساشا وهي تنحني لتدخل إلى الكهف فأخذت نفسًا عميقًا وتبعتها للداخل ضاق صدر كلارك عندما حاوطَتها العتمة. مدَّت يدها بجانبها مُحاوِلةً أن تكتشف المساحة التي تتحرك فيها. لكن بعدما تكيَّفت عيناها على الضوء الخافت، رأت أن الكهف أكبر من غرفتها في المستوطنة. ولم يكن الجو خانقًا في الأسفل، واكتشفت أن لديها مساحة كافية لتسير واقفة.

كانت الأرض المُترَّبة ملأى بكثيرٍ من الأغراض. بعضها استطاعت كلارك أن تُميِّزَها، مثل المقاعد المكسورة التي تعود لسفينة الإنزال، وتابلت خَرِب، مُشابه لما كانوا يعطونه للأطفال ليلعبوا به في وطنها. على أن هناك العديد من الأغراض التي لم تُميِّزْها كلارك، مثل الحطام المعدني الذي يشبه ذلك الذي اكتشفته في الغابة، لكنه لا يماثله تمامًا.

سألتها كلارك: «ما كل هذه الأغراض؟». ثمَّ انحنت لتتفحَّصَ حاوية مياهٍ مكسورة.

قالت ساشا بهدوء: «وجدتُ هذه الأغراض بعد اصطدام سفينة الإنزال الأولى، لقد ترك المستوطنون معظمها وراءهم، لكني لم أستطع تركها في الغابة. إذ قضيتُ معظم حياتي أتخيَّل شكل الحياة في المستوطنة، والآن لديَّ أغراض حقيقيَّة من الفضاء، هناك.. عليَّ أن أكتشف المزيد». ثمَّ مدَّت يدها لتلتقط التابلت بضحكةٍ ساخرة، وقالت: «لا أظن أنكم تستخدمون ذلك لاستدعاء آليي الخدمة».

كانت كلارك على وشك أن تطلق مزحة عن إرسال آليي الخدمة لإعداد ما يأكلونه، عندما لفت انتباهها لمعة جسم فضيٍّ مصقول. تبعت ساشا نظرها، وقالت: «هذا من مفضلاتي». ثمَّ التقطته قائلةً: «أعتقد أن ذلك...».

قالت كلارك وهي فاقدة الإحساس: «ساعة».

نظرت إليها ساشا نظرةً مرحة وأعطتها الساعة قائلةً: «هل أنتِ بخير؟».



لم تَرُد كلارك، أو بالأحرى لم يكن بوسعها أن تَرُد. مرَّرَتْ أصابعها على وجه الساعة، وارتعشت عندما مرَّرَتْها على سوار الساعة الفضي. قالت ساشا: «كلارك».

لكن صوتها بدا بعيدًا.

- ما خطبك؟

قلبت كلارك الساعة ببطء، رغم أنها لم تكن تشك فيما ستراه. كانت هناك. ثلاثة أحرف محفورة على الظهر المعدني للساعة: د. ب. ج.

كانت ساعة أبيها، الساعة التي كانت تتوارثها عائلتها منذ أن حملها الجد الأكبر للعائلة ديفيد بيلي جريفين إلى فينيكس قبل النزوح الجماعي.

رمشت كلارك سريعًا. فلا يمكن لهذا أن يكون حقيقيًّا. من المؤكد أنها تُهلوِس. محال أن تجد الساعة طريقها إلى الأرض، فأبوها كان يرتديها آخر مرَّةٍ رأته فيها، قبل لحظاتٍ من موته. قبل أن يُحقن بالحقنة المُميتة ويطلقوه في الفضاء. مرَّرَتْ أصابعها عبر سوار الساعة، وارتعشت عندما سَرَتْ قشعريرة عبر جسدها كله. كما لو أنها تحمل شبحًا بيدها.

في النهاية، سمحوا لها أن تودِّع أباها. نظرًا إلى أن كلارك كانت مجرَّد مُتَّهمة لم يصدر بحقها أي حكم، فسمح المستشار للحرَّاس أن يخرجوها من زنزانتها لتذهب إلى المركز الطبي. للأسف جاء قرار المستشار مُتأخِّرًا للغاية فلم تتمكن من رؤية أمها. لكنها عرفت أن أمها ماتت قبل أن يخبرها الحرَّاس، فقد استطاعت رؤية ذلك في وجوههم.

قاد الحرَّاس كلارك إلى جزء لا تعرفه من المركز الطبي. فالأطباء المتدرِّبون لا يشاركون في عمليات الإعدام. كان أبوها يجلس على كرسي، ومن الوهلة الأولى، كانت الغرفة تبدو كغرفة فحص عادية، باستثناء أنها تخلو من خزائن تمتلئ بأدوية أو ضمادات أو



معدَّات فحص. لا يوجد أي شيء من شأنه أن ينقذ حياة إنسان، بل فقط الأدوات اللازمة لإنهائها.

قال أبوها بابتسامة متعبة، وعينَيْن مُضطربتَيْن: «كلارك، سيكون كل شيء على ما يرام». اهتزَّ صوته لكن ابتسامته لم تفارق مُحياه.

حرَّرت نفسها من الحرَّاس وارتمت بين أحضانه. لقد وعدت نفسها ألَّا تبكي، لكنها أخلفت وعدها، في اللحظة التي ارتمت بين أحضانه، كان نحيب بكائها يُمزِّق جسدها كله. وانهمرت دموعها على وجهها وعلى كتف أبيها.

جاء صوته مُتصدِّعًا، وقال: «عليَّ أن أكون شجاعًا. ستكونين بخير، فقط عليكِ أن تتحلي بالقوة. فعيد مولدكِ الثامن عشر قد اقترب، سيختبرونكِ، ثمَّ سيعفون عنكِ. عليكِ أن تعملي على هذا».

ثمَّ أخفض صوته لأدنى مستوى، وقال: «أعلم أنكِ ستكونين بخير، ابنتي الشجاعة».

انتحبت كلارك قائلةً: «أبي، أنا آسفة، آسفة، لم أقصد قط أن....».

قال أحد الحرَّاس بفظاظة: «انتهى الوقت».

- لا.

ثمَّ حفرت كلارك أظافرها في كتف أبيها، رافضةً أن تتركه، وقالت: «أبي، لا يمكنك ذلك، لا تجعلهم يفعلون ذلك».

طبع أبوها قبلةً أعلى جبينها. وقال: «ليس ذلك بوداعٍ يا حبيبتي، فأنا وأمُّكِ سنراقبكِ من الجنة».

الجنَّة؟ وتذكَّرت كلارك مرتبكةً أغنية قديمة تداعت إلى رأسها، تقول كلمات الأغنية: "الجنة مكان على الأرض". كيف يمكن لها أن تفكر في شيءٍ على هذه الدرجة من السخافة في مثل هذا الوقت؟



أخذ يدها بين يديه. كان لا يزال يرتدي ساعته، فَلَمْ يصادروها منه بعد. أيجب عليها أن تطلبها منه؟ ستكون هذه المرَّة الأخيرة التي يمكنها فيها أن تحتفظ بشيء من رائحة والدها يذكِّرها به. لكن الخاطر الذي قفز إلى رأسها هو أن خلعه للساعة بيده المُهتزَّة، سيترك معصمه عاريًا وهو مقيد في الطاولة، وهذا أمر أكبر من أن تتحمَّله كلارك.

جذبها الحارس من ذراعها قائلًا: «تعالي».

بكت كلارك كما لو أنها أُلقيت في النار، وصاحت: «لا». حاولت أن تُحرِّرَ نفسها من الحرَّاس مجدَّدًا: «اتركوني».

قال والدها بعينَيْن تملؤهما الدموع: «أحبكِ يا كلارك».

ثبَّتَتْ كلارك قدمَيْها في الأرض، لكن لم يفلح ذلك. فقد كانوا يجرُّونها إلى الخلف، فقالت بين نحيبها المُتقطِّع: «أحبك يا أبي، أحبك».

كانت كلارك تمسك الساعة بإحكام وتشعر بالخدر في راحة يدها. ظلَّت عيناها مُعلَّقتَيْن على عقرب الثواني، لكنه لم يكن يتحرك بالطبع، فالساعة توقَّفت عن العمل منذ عِدَّة سنوات. عندما سألت كلارك أباها عن سبب ارتدائه لها رغم توقفها عن العمل، أخبرها أن وظيفة الساعة لم تعد معرفة الوقت وإنما حفظ الماضي وتذكيرنا بكل تلك الأحداث التي تُعتَبر مُهمَّةً بالنسبة إلينا. قد لا تتحرك عقاربها، لكنها تحمل ذكرى كل حياة من حيوات عائلتنا. هذه الساعة تُردِّد صدى مليون دقَّة من دقَّات قلوبنا. والآن تحمل كلارك ساعة والدها.

سألتها ساشا: «أأنتِ بخير؟».

وضعت ساشا يدها على كتف كلارك فجفلت ودارت حول نفسها قائلةً: «مِن أين أتيتِ بهذه؟».



كانت الذكرى لا تزال تغمر كلارك، فاندهشت عندما سمعت تردُّد صوتها في الكهف.

- في الغابة، مثلها مثل كل تلك الأغراض. لا بدَّ أنَّ أحد المستوطنين قد فقدها في الاصطدام. كنت سأعيدها إلى صاحبها، لكن في الوقت الذي وجدتها فيه، كان جميعهم قد رحلوا.

هل يمكن هذا؟ أيمكن أن يكون أبوها قد أُرسل إلى الأرض عوضًا عن إعدامه ذلك اليوم؟ وماذا عن أُمِّها؟ تعرف أن ذلك ضرب من الجنون، لكنها غير قادرة على التقاط أي سبب لينتهي الحال بالساعة هنا. صحيح أن من حقوقها أن تؤول الساعة إليها بعد موت أبيها، لكن لأن سلطات المستوطنة تحجزها، ستوضع الساعة في الأرشيف مع بعض القطع الأثرية الأخرى، وهو جزء من التراث المشترك لكل من على السفينة. لكن الساعة لم تكن في المستوطنة، ولم توضع في صندوق الأرشيف المُترَّب، بل هي هنا، على الأرض.

استرجعت كلمات أبيها الوداعية، إذ أخبرها أنه سيراها في الجنَّة. ودائمًا ما تعجبت من الكلمة، فأبوها لم يكن مِمَّن يؤمنون بالحياة بعد الموت. أكانت رسالة؟ ربما أرادها أن تفكِّر في كلمات الأغنية، وتربطها بما قاله، نظرًا إلى أنه لا يستطيع أن يقول مثل هذا أمام الحرَّاس.

تحكَّمت كلارك في نفسها حتى لا تلقي بكل ما في جعبتها لساشا. لكنها كانت تستميت لتشارك رأيها حتى يؤكد لها أحدهم أنها ليست مجنونة. فهي تعتقد أن ساشا قابلت أبوَيْها.

نظرت إليها ساشا بتعبير ينم عن الارتباك والصدمة، تلعثمت كلارك قائلةً: «هذه الساعة... تبدو مألوفة».

امتلأت كلارك بالأمل الذي راح يُرمِّم حطام قلبها، لكنها تعرف أنها لن تكون قادرة على التمسك بأهدابه. ليس بعد. ليس قبل أن تكتشف ما الذي حدث للمستوطنين بالطبع. كلما تعمقت بتفكيرها في هذا الأمر، بدا ما تفكر فيه أقرب للخيال منه

للحقيقة. ربما كان أبواها جزءًا من البعثة الأولى التي جاءت إلى الأرض. وقد يكون صدر بحقهما حكم الإعدام، لكن أخذت الشفقة قلب والد ويلز، فلم يكن قادرًا على إعدامهما علنًا، لكن ماذا لو كان بوسعه أن يضعهما في البعثة السرية الأولى إلى الأرض؟ ففي النهاية، مَن يكون أفضل مِمَّن قضى عمره كله في إجراء الأبحاث حول كوكب الأرض.

استعانت كلارك بكل قوتها لتُبقي صوتها هادئًا، وقالت: «ساشا، أريد أن ألتقي والدك، ثمة أمور يجب أن أعرفها حول البعثة الأولى للأرض».

نظرت ساشا إليها وتعبير غامض يعلو وجهها. لكنها أَوْمأَتْ في النهاية وقالت: «أظن أنه لا بأس بهذا. لكني لا أستطيع أن أدخلك إلى مجمع السكن. سيكون عليكِ الانتظار في الغابة حتى أذهب للعثور عليه. فلن يسامحوني إذا أخبرتكِ بمكاننا».

- لا بأس، أتفهم ذلك.

- إذن، أتريدين أن نذهب فورًا؟

أَوْمأَتْ كلارك. وقد ضاق صدرها بجروح ظنونها. فلم تكن واثقة أن بإمكانها أن تتنفس لفترة أطول، ناهيك بالكلام.

- حسنًا، لنذهب.

تبعت كلارك رفيقتها إلى خارج الكهف، وانطلقتا بمجرد أن تكيَّفت أعينهما على ضوء الشمس. بدأت ساشا في شرح الطريق، لكن كلارك كانت تسمعها بالكاد. فَلَمْ تستطع التوقُّف عن تمرير أصابعها على مؤخرة الساعة المعدنية الباردة وهي تُقلِّب كل ما حدث للمستوطنين في رأسها.

لقد كانت مُشتَّتة للغاية، فعندما توقَّفت ساشا فجأةً، توقفت بجانبها وقالت: «ما الذي يحدث؟ هل وصلنا؟».

التفتت لها ساشا ووضعت إصبعًا على شفتَيْها، مشيرةً إلى كلارك بالصمت. لكن كان الأوان قد فات، فبعد لحظة، خرج خمسة أشخاص من بين الأشجار، ويلز، وجراهام، وثلاثة آخرون رأتهم كلارك مع جراهام من قبل. إذ كانوا يجمعون الحطب لصناعة المزيد من الرماح، وكانت العصيان التي يمسكونها في يدهم أكثر تهديدًا من تلك التي في المخيم.

زمجر جراهام قائلًا: «ما الذي تفعلينه؟».

أمسك أحد تابعيه ذراع كلارك. وعينا جراهام تنطقان بالشر وهو ينظر إلى كلارك، وقال: «هل تساعدينها على الهرب؟».

صاح ويلز، وهو يركض نحوهم: «جراهام، اتركها».

ركض جراهام نحو كلارك ولوى ذراعها خلفها. فيما انتشر اثنان من تابعيه خلفه ليحيطوها. وقال جراهام: «لقد حالفكِ الحظ هذه المرة أيتها الطبيبة، ستأتين معنا».

نظرت كلارك إلى الفتيان، ووزنت خياراتها، لم يكن خيار قتالهم مستحبًّا كما أنهم يقيِّدونها قيدًا شديدًا، فقالت: «اسمعوا».

حاولت كلارك إيجاد سبيل لشرح لماذا كانت تصطحب ساشا في عمق الغابة، لكن قبل أن تُنهي جملتها، كان جراهام قد ترك ذراعها. للحظة، لم تتبين كلارك ما حدث. لكنها رأت ساشا بعد ذلك تصارع صَبِيًّا يحملها، وأدركت أنها ركلت جراهام كي تسنح لها الفرصة للهرب. التقت عينا كلارك عينَيْ ساشا، فصاحت ساشا: «اهربي».

أَوْمأَتْ كلارك إيماءةً صغيرة وممتنة قبل أن تنطلق عدوًا، تاركةً البقية وراءها.



الفصل التاسع عشر

بيلامي

كان يحزم أغراضه مجدَّدًا. لقد فعل ذلك مرَّتين من قبل، لكن في كل مرَّة يحدث شيء يعطله عن الرحيل. أوكتافيا تختفي خلال الحريق. وكلارك تُلدغ من ثعبان. لكنه عازم على الرحيل إلى الأبد الآن. لقد اكتفى من التعامل مع حجج ويلز العقلانية، وتلك هي المرَّة الأخيرة التي يقبل فيها بغدر كلارك. بينما يملأ جيبه ببعض عبوات البروتين، ماج صدره بموجة جديدة من الغضب لكل ما ضحى من أجله حتى يعيد كلارك مرَّةً أخرى آمنة إلى المخيم. لقد فقد أثر أوكتافيا، وأضاع أيَّامًا ينتظر الفتاة الأرضيّة حتى تقول أي شيء من شأنه أن يدلَّه على أخته. كان يجب عليه أن يترك كلارك في الغابة حتى تنتفخ أطرافها ويُسدَّ مجرى تنفسها كي تكفَّ عن التلفُّظ بالأكاذيب مرَّةً أخرى. لقد عذَّبت ليلي مدعيةً أنها هي من رغبت في أن تموت.

لم يكن ثمة الكثير ليحمله معه. أخذ غطاءه، وقوسه. وبعض أقراص تنقية المياه. هو وأوكتافيا يمكنهما أن يتكفَّلا بحياتهما من دون مساعدة من أحد، فقبل أن يُسقطه ويلز على الأرض، همست له الفتاة الأرضيّة، وقالت: "أربعة أميال إلى الشمال الشرقي. في منتصف الجبل".

لم يكن بيلامي يعرف ما الذي يمكن أن يجده هناك، ربما كانت ساشا تخبره بالمكان الذي يعيش فيه الأرضيّون الآخرون، أو أن تلك المجموعة المارقة تعيش بالقرب من



هناك. أو ربما يكون ذلك فخًّا. لكن حتى الآن، هذا كل ما لديه، ولن يضيع المزيد من الوقت بعد ذلك.

غادر بيلامي من دون أن يودِّع أحدًا، كي يعتقدوا أنه ذهب للصيد. اختفى ويلز ولم يكن هناك أثر لكلارك، والشكر للرب. فَلَمْ يكن يعتقد أنه قادر على النظر إليها مرَّةً أخرى. ما يُؤرِّقه أن فكرة نومه مع الفتاة التي قتلت حبيبته كانت كافية لأن تجعله يتقيأ.

كلما ابتعد مسافة أكبر عن المخيم، بات تنفسه أكثر سهولة. فقد بدا أنَّ الهواء مختلف هنا عما كان عليه بالقرب من المخيم. ربما لتغيُّر فصائل الأشجار، أو لتغيُّر تركيبة التربة، لكن ثمة شيء مختلف هنا. فرائحة أوراق الشجر، والطين، والمطر اختلطت ببعضها بعضًا لقرون من دون تدخل الإنسان. لذلك بدت المنطقة أكثر نظافة هنا، وأكثر نقاءً، فقد وصل إلى مكان لم يتحدث فيه أحد إلى آخر ، ولم يبكِ فيه أحد من قبل.

بدأت الشمس تغرب، وحتى مع تسارع خطواته، أدرك بيلامي أنه لن يصل إلى الجبل قبل أن يعمَّ الظلام. لذلك من الأفضل أن يجد مكانًا ليُخيِّم فيه ليلًا وينطلق مرَّةً أخرى في الصباح. لقد كان من الحُمق، والخطورة أن يقدم على استكشاف منطقة جديدة في الليل، خاصَّةً بعدما وطأ منطقة الأرضيِّين.

من بعيد، سمع صوت مياهٍ جارية. فتبعها ووجد نفسه عند ضِفَّة جدول. كان صغيرًا للغاية لدرجة أن الأشجار المتقابلة في بعض الأماكن على ضِفَّتَيْه تتشابك أوراقها الخضراء والصفراء مُشكِّلةً قوسًا.

أزال بيلامي غطاء خزان مياهه، ومال إلى الجدول، ودسَّ الخزان فيه. ارتعش قليلًا عندما مرَّت المياه بين يديه. إذا كان قادرًا على احتمال المياه بالكاد الآن، فماذا سيفعل عندما يحل الشتاء؟ فَلَمْ يكن لديهم أي تجهيزات للشتاء بين إمداداتهم. إما أنها احترقت في الهبوط الاضطراري للسفينة، وإما على الأرجح، لم يتوقع المستشار أن ينجو المئة كل هذه المدة حتى يحتاجوا لتجهيزات الشتاء.



جلس بيلامي على ضِفَّة الجدول، يتساءل إذا ما كان الأمر يستحق استعمال أحد أقراص تنقية المياه، فلفتت انتباهه حركة سريعة. عندما التفت، استقرَّت عيناه على حيوان صغير، مائل للحمرة، ذي شعر طويل يحطُّ على الضِّفّة، ويمدُّ أنفه إلى المياه، لكن عندما شعر بوجود بيلامي، أدار رأسه لينظر إليه.

كان لدى الحيوان فراء أبيض حول عينيه الكبيرتَيْن، وأذنان كبيرتا الحجم تروحان وتجيئان وهو يتفحَّصُ بيلامي. تشبَّثت بعض قطرات المياه بشواربه الطويلة، ورغم تعبيرات الحيوان الحادَّة، فقد بدا أقرب لطفلٍ صغيرٍ لوَّثَ وجهه بعبوات البروتين من حيوان ضارٍ. ابتسم بيلامي، فقد رأى فصائل كثيرة من الحيوانات في الغابة، لكن لم تكن أيٌّ منها تتواصل مع الإنسان ببساطة. وقبل أن يُغيِّر رأيه، مدَّ يده قائلًا: «أهلًا بك».

أخرج الحيوان لسانه إلى نهاية فمه ليزيل عن شواربه قطرات الماء. توقَّعَ بيلامي أن يستدير هاربًا، لكن لدهشته، أخذ خطوات مُتردِّدة للأمام، وذيله الأحمر كثيف الشعر يتحرك من جانب إلى آخر، قال بيلامي مرَّةً أخرى: «أهلًا بك. لا بأس، لن أؤذيك».

كان بيلامي على يقين أنه ثعلب. نشق الثعلب مرَّةً أخرى في الهواء، ثمَّ هرول إلى الأمام ودفع يد بيلامي بوكزة ترحيب. ابتسم بيلامي لأنفه المُبلَّلِ وشواربه الرَّطبة عندما لمس بشرته.

- بيلامي؟

التفت فجأةً إلى الوراء عندما سمع اسمه، ففزع الثعلب وهرب. كانت كلارك تقف على بُعد عِدَّة أمتار ترتدي حقيبة على كتفها وترسم على وجهها تعبير الاندهاش. قالت وعيناها تتبعان الثعلب الهارب: «أوه، لم أقصد إخافته».

- هل تتبعينني؟

ثمَّ نهض بيلامي على قدمَيْه، لم يصدِّق أنها وجدته هنا، عندما سار مسافة كبيرة



للغاية عن المخيم. وعندما قرَّرَ أخيرًا أن يهرب. هزَّ رأسه قائلًا: «لا تهتمّي، لا أريد أن أعرف».

قالت بهدوء وتقدَّمت بضع خطوات للأمام: «لم أكن أتبعك، بل أنا في طريقي للعثور على الأرضيِّين».

حدَّقَ بيلامي إليها مدهوشًا للحظة، ثمَّ قال: «لماذا؟».

فأمسكت لسانها عن الكلام. مرَّ وقت كان بيلامي يعتقد فيه أنه قادر على قراءة أفكار كلارك، مع أنها كانت لا تفسر أفكارها بجلاء، لكنه أدرك الآن أن كل ذلك لم يكن إلَّا خيالات في رأسه. لقد أراد بشدَّة شخصًا يمكن أن يثق به على الأرض، أن يكون لديه شخص يحبه حبًّا جادًّا بعد ليلي، لكنه اكتشف أنه لم يعرف إلَّا القليل عن كلارك.

- أنا... أنا أعتقد أن أبويَّ كانا على الرحلة الأولى ضمن مجموعة المستوطنين الذين جاؤوا إلى الأرض. وعليَّ أن أعرف ما الذي حدث لهما.

حدَّقَ بيلامي إليها. فهو لم يتوقَّع بالتأكيد أن تقول ما تقوله، لكنه أجبر نفسه على قمع فضوله. فَلَمْ يكن ثمة سبيل لأن يدع كلارك تسحبه مرَّةً أخرى لجنونها.

- أخبرتني ساشا كيف أصل إلى حيث تسكن. قالت لي إن مسكنها على بُعد أقل من يوم من هنا.

- حسنًا، من الأفضل أن تتحركي الآن.

بدأ بيلامي بجمع الحطب من دون أن يتفوَّهَ بكلمة لكلارك، وضع الحطب فوق بعضه بعضًا في كومة واحدة، وأخرج كبريتًا من حقيبته فأشعل كمية صغيرة منه. وتركها حتى ترحل أوَّلًا.

عندما نظر إلى الأعلى أخيرًا، رأى كلارك لا تزال تقف في نفس مكانها. انعكاس ضوء النار على عينيها جعلها تبدو أصغر وأكثر براءة. وتحت سطح الغضب الذي كان يشعر



به تجاهها، شعر بموجة من التأثُّر، ليس للفتاة التي تقف أمامه، ولكن للفتاة التي تحاول أن تبدو عليها. هل كلارك التي يعرفها هي كلارك التي تقف أمامه بأي شكل؟ كلارك التي كانت تبدو جادَّةً للغاية في لحظة، وفي لحظةٍ تالية تنفجر في الضحك؟ كلارك التي كانت تجد كل شيء على الأرض خارقًا، وكلارك التي قبَّلته كما لو أنه الاكتشاف الأكثر جمالًا على الأرض؟

- تبدين غريبة بوقوفكِ هكذا، إما أن تجلسي وإما ترحلي.

خطت باتجاه النار، ثمَّ أنزلت حقيبتها ببطء. هبَّت رياح باردة عبر الأشجار، فرفعت ركبتَيْها إلى صدرها بعد ارتعاشها اتقاءً للبرد. لو حدث هذا منذ أيام، كان لبيلامي أن يحاوطها بذراعَيْه، لكن الآن، كانا بعيدين عن بعضهما بعضًا أشدَّ البُعد. لم يكن مُتأكِّدًا مما إذا كان يريدها أن تبقى، لكنه لم يحملها على الرحيل أيضًا.

قضيا الساعة التالية يشاهدان اللهب المتراقص في صمت، ويستمعان إلى صوت طقطقة الأغصان، والرياح التي تهبُّ عليهما.

الفصل العشرون

جلاس

كان الأمر أسوأ من أي كابوس. حتى في أشدِّ لحظات جلاس عتمةً، لم تتخيَّل قطُّ نفسها وهي تحاول دفع جيرانها التي تربَّت معهم من أجل أن تؤمِّن لنفسها مكانًا في السفينة. تجاوزت إحدى مُعلِّماتها القدامى، وهي تصارع في سحب حقيبتها الكبيرة عبر الردهة المزدحمة بالحشد. صرخت في المُعلِّمة وهي تمرُّ من جانبها سريعًا: «اتركيها».

لكن كلماتها لم تكن مسموعة في خضم فوضى الصيحات والنحيب وخطوات الأقدام.

في المقدمة، كان والد كورا يقف في منتصف الردهة ينظر بيأس من جانب إلى آخر في الحشد الفوضوي بحثًا عن زوجته وابنته، صاح باسميهما وهو يبحث عنهما بعينيه، وحاول أخيرًا أن يرسل إليهما رسالة من خلال شرائح القرنية. لكن لم تفلح جهوده. فقد توقَّفت الشبكة عن العمل، ولم تَعُد أجهزة شرائح القرنية ذات فائدة.

في الوقت الذي تمكنوا فيه من هبوط السلالم إلى الردهة التي تقود إلى منصة الإطلاق، زاد الحشد بكمية هائلة بحيث لم يعودوا قادرين على التحرك خطوةً إلى الأمام. بذل لوك أقصى ما يستطيع ليدفع نفسه عبر الناس التي تقف ملاصقةً



للجدار. جفلت جلاس عندما مرَّت بجانب شخص يحمل شيئًا بين ذراعيه. كان يحمله بحذر شديد، فافترضت جلاس أنه يحمل طفله، لكن عندما دقَّقت النظر أدركت أنه يحمل آلة الكمان. وتساءلت ما إذا كان الرجل موسيقيًّا حقيقيًّا أم أنه فقط محبٌّ للموسيقى ظنَّ أنه من الحسن حمل مثل هذه المقتنيات من غرفة الحفظ، وهو الشيء الوحيد الذي لم يتمكن من تركه وراءه كما يبدو.

كثير من الناس في الحشد لم يكونوا من فينيكس، لكن ذلك لم يعد أمرًا ذا أهمية الآن. فلم يعد الناس يُصنَّفون على أساس أنهم فينيكسيون أم ولدانيون أم آركاديون. لكنهم يائسون، ومرعوبون، يفعلون كل ما في وسعهم ليخرجوا من سفينتهم المنكوبة.

حتى وقت قريب، كان هاجس سقوط المستوطنة يشغل بال جلاس، وهو احتمال يعادل في ظنها انفجار الشمس، شيء كانت جلاس تعرف أنه سيحدث في النهاية، لكن بعد ذلك، تذكَّرت عندما كانت في السابعة من عمرها، العام الذي انضمَّت فيه إلى مجموعة تعليمية لدراسة طريقة العمل الداخلية للسفينة. قادهم عضو من المجموعة الهندسية المسؤولة عن الصيانة إلى غرفة المحرِّك في الأسفل، وعرض عليهم النِّظَامَ المُعقَّد من أنظمة التهوية وسلسلة من غرف معادلة الضغط. كل الآلات والمُوَلِّدات كانت تبدو صلبة ولامعة ومنيعة، كما لو أنها ستدوم إلى الأبد. فما الذي حدث في تلك الفترة؟

تردَّدت صيحة من الطرف الآخر للردهة فصمت الحشد، قال لوك بهدوء: «لا بد لشخص ما أن يتمكن من فتح الباب حتى نصل إلى منصة الإطلاق».

سألته جلاس: «أتعتقد أن نائب المستشار هو المسؤول؟».

لم يكن مِن الواضح مَن في موقع المسؤولية، أو مِن أيِّ شخصٍ يتلقى الحرَّاس أوامرهم. فالبقية القليلة منهم قد تخلوا عن مواقعهم، وانضموا إلى بحر الأجساد التي تحارب حتى تصل إلى سفن الإنزال. فالخوف في الهواء لا تخطئه عين.



تقدَّمَ الحشد خطوةً إلى الأمام فجأةً فتعثَّرت سونيا، وارتفع نحيبها عندما التوى كاحلها تحت جسدها قائلةً: «لا».

خطت خطواتٍ للأمام، لكن عيناها كانتا مملوءتَيْن بالخوف والرعب.

مسكت جلاس لوك من كُمَّي قميصه حتى ينتبه، وقالت: «لوك، أعتقد أنَّ أُمِّي أُصيبت».

قالت سونيا بصعوبة: «أنا بخير، واصِلا

السَّير، سألحق بكما».

غمر جلاس شعور اقشعرَّ له بدنها قائلةً: «لا».

عندما كانت في عمر التاسعة أو العاشرة، كان هناك تمرين على الإخلاء في فينيكس، من الواضح أنه خُطِّطَ له سابقًا. عندما يدق جرس الإنذار سيخرج الأطفال من فصولهم ويسيرون اثنين معًا جنبًا إلى جنب إلى منصة الإطلاق. كان معظم الأطفال في حالة مزاجية جيِّدة نظرًا إلى أنهم يُفوِّتون دروس المدرسة، لكن جلاس هي من رأت التدريب بالكامل مرعبًا. هل يرسل المستشار أطفال المستوطنة إلى الأرض من دون آبائهم حقًّا؟ وكيف يبدو الأمر لو أنهم رحلوا من دون أن يودِّعوا آباءهم؟ كان هذا كافيًا لتنهمر الدموع على وجنتَيْها، لكن لحسن الحظ، لم يلاحظ دموعها أحدٌ حينها سوى ويلز، الذي كان يأخذ بيدها متجاهلًا كل القهقهات والطنطنات، ويحملها حتى ينتهي التمرين.

انتحى بهما لوك إلى جانبٍ في القاعة، ومال حتى صار في نفس مستوى عينَيْ أُم جلاس. وقال مُؤكِّدًا: «كل شيء سيكون على ما يرام، والآن، أريني أين الألم».

وعندما أشارت بيدها عبس لوك ثمَّ التفت قائلًا: «سأحملكِ على ظهري».

تمتمت جلاس قائلةً: «يا إلهي».



وشعرت كأن أنفاسها ستتوقَّف. فقد كانوا بالفعل في مؤخرة الحشد ولن يكونوا قادرين على أن يتباطؤوا مجدَّدًا.

تردَّدَ صوتٌ آخر بينهم: «لوك».

التفتت جلاس فرأت كاميل تحدِّق إليهم، وجنتاها حمراوان، فقد ركضت لمسافة كبيرة، والعرق يتشبَّثُ بشعرها الذي ينزل على شكل ذيل حصان.

- أنتِ هنا، لقد تمكنتِ من الوصول إلى هنا.

تجاهلت جلاس واحتضنت لوك ومدَّت يدها لتمسك ذراعه قائلةً: «سفن الإنزال تمتلئ. علينا أن نواصل السير سريعًا، تعال معي».

بدا على وجه لوك بعض الاهتمام فابتسم في ارتياح لحبيبته السابقة، وصديقة طفولته التي طالت معرفته بها كما طالت معرفة كلارك بويلز. قال: «كاميل، حمدًا للرب أنَّكِ بخير. عندما أخبرتني جلاس بما فعلتِه....».

ثمَّ حوَّل الموضوع قائلًا: «أنسي الأمر. الوقت ينفد، عليكِ أن تذهبي. سنكون هناك خلال دقيقة».

تصلَّب وجه كاميل وهي تنظر بينه وبين جلاس وأمها، قالت وهي تنظر إلى لوك فقط: «عليك أن تتحرك، لن تتمكن من الوصول لو أنك اعتنيت بهما».

قال لوك فجأةً بصوتٍ مُتصلِّب: «لن أتركهما».

تردَّدت نظرة كاميل بينه وبين جلاس، لكن قبل أن تجيب، صدمها شخص ضخم يشقُّ طريقه عبر الردهة المزدحمة بالحشد فانتحت جانبًا. أمسك لوك ذراعها فاستعادت توازنها مرَّةً أخرى، ووضعت يدها أعلى يده.

- هل أنتَ جاد؟ لوك، هذه الفتاة لا تستحق الموت من أجلها.



حتى مع زئير الحشد، كان بوسع جلاس أن تتمكن من تمييز الحقد في صوت كاميل.

هزَّ لوك رأسه كما لو أنه يتفادى تأثير الكلمات فيه، لكن حتى بعدما نظر إلى كاميل نظرةَ يأسٍ، شعرت جلاس بالخوف، فكاميل تريد أن تصطحب لوك، ولا يبدو أنها ستذهب إلا بعد أن تنال مرادها.

أصرَّت كاميل قائلةً: «أنت لا تعرفها، ولا تعرف ما جنته يداها».

نظرت إليها جلاس مُحذِّرةً، فلن تجرؤ على كشف سرِّ جلاس، أليس كذلك؟ ليس هنا والآن. وليس بعدما ساعدتها جلاس على أن تصل إلى فينيكس بسلام. كما أنهما عقدتا اتِّفاقًا بينهما. لكن عَيْنا كاميل لا تكشفان عن شيء. بل كانتا قاسيتَيْن ومُعتمتَيْن.

- لا أعرف ما الذي تتحدَّثين بشأنه، لكني أحبها. ولن أذهب إلى مكان دونها.

ثمَّ أخذ لوك يد جلاس بين يديه وشدَّ عليها قبل أن يلتفت إلى كاميل مرَّةً أخرى قائلًا: «انظري، آسف لأنَّكِ مستاءة، لكني لم أقصد قطُّ أن أجرحك، لكني أعتقد بالكاد أن....».

قاطعته كاميل ضاحكةً بسخرية. وقالت: «أتعتقد أني أفعل ذلك لأنك تركتني من أجلها؟».

ثمَّ توقَّفت عن الكلام، في تلك اللحظة الوجيزة، شعرت جلاس أن قلبها سيقفز خارج صدرها.

- ألم تتساءل يومًا عمَّا حدث لكارتر؟ وما المخالفة الجسيمة التي اتُّهم بها فجأة؟

حدَّقَ لوك إليها قائلًا: «وما الذي تعرفينه عن ذلك؟».

- لقد اعتُقل لخرقه قوانين السكان بكل تأكيد، فقد اتهمته إحدى الفتيات أنه أبو طفلها غير الشرعي.



توقَّفت امرأة تحمل طفلًا لتحدِّقَ إلى كاميل، لكنها أشاحت بوجهها بعيدًا عنهم وواصلت طريقها.

همس لوك قائلًا: «لا».

أحكم لوك قبضته على ذراع جلاس. حولهم، كان الناس يتصايحون ويتدافعون للأمام للوصول إلى سفن الإنزال، لكن جلاس لم تجد في نفسها القدرة على حمل ذَرَّةٍ في جسدها على الحركة.

- ممَّا سمعته لم يُكلِّفوا أنفسهم عناء إجراء تحاليل الحمض النووي حتى. بل كانوا يثقون بكلام العاهرة الصغيرة. وأظن أنها كانت تحاول إبقاء الأب الحقيقي للطفل في أمان. لكن، لنكُن منصفين، أي شخص يمكنه أن يفعل شيئًا كهذا؟

التفت لوك لجلاس قائلًا: «ما تقوله كاميل هراء، أليس كذلك؟».

بدت كلمات لوك استجداءً أكثر منها سؤالًا.

- جلاس، لا يمكن لهذا أن يكون حقيقيًّا.

لم تقل جلاس شيئًا، فَلَمْ تكن مُضطرَّةً إلى أن تقول أي شيء. كان بوسعه أن يرى الحقيقة مكتوبةً على وجهها، وهمس قائلًا: «يا إلهي».

تراجع خطوتين إلى الوراء. وأغلق عينَيْه جافلًا: «لم تفعلي ذلك. هل اتَّهمتِ كارتر بذلك؟».

عندما فتح عينَيْه مجدَّدًا كانتا مشحونتَيْن بغضبٍ أسوأ مما تخيَّلت جلاس أن تراه. قالت: «لوك... أنا».

حاولت أن تتحدَّث، لكن الكلمات كانت تتلاشى من على شفتيها.

- أجعلتِهم يقتلون أعزَّ أصدقائي؟



صوته خفيض كما لو أنَّ مشاعره تحترق بداخله.

- هل مات بسببك؟

قبل أن تخرج الكلمات من فمها، عرفت أنها ستُخطئ عندما تقول هذا: «لم يكن لديَّ خيار. لقد فعلتُ ذلك لأُنقذك!».

قال بهدوء: «كنتُ لأفضِّل أن أموت عن أنْ يحمل ذنبي شخص بريء».

- لوك.

ثمَّ مدَّت يدها. لكن لوك كان قد انطلق بالفعل في اتجاه منصة الإطلاق، تاركًا أصابع جلاس تقبض على الهواء.

الفصل الحادي والعشرون

ويلز

أفلتَ ويلز ساشا زافرًا: «آسف لذلك».

لم يكن ويلز مدهوشًا عندما تعثَّر هو ورفاقه بكلارك وساشا في الغابة، متوجهين صوب مخيم الأرضيِّين بالطبع. كما أنه لم يستطع حمل نفسه على الغضب من كلارك، فقد كانت تفعل ما يجب أن يفعله منذ فترة. لقد أخذ الأمر منه الكثير من العزيمة ليلتفت إلى جراهام بنظرة متواضعة ويأمره بالعودة إلى المخيم. وقال: «سأتعامل مع هذا، لكن يجب أن تعود لتُضمِّد جراحك، يبدو أنها تؤلمك».

ونظر نظرةً ذات معنى إلى ساق جراهام حيث ركلته ساشا. ضحك أحد الفتيان ضحكةً مكبوتة. تبادلوا نظرات غامضة، لكنهم بدؤوا السير صوب الجدول. ومن دون أي كلمة، اصطحب ويلز رفيقته ساشا صوب المخيم، وظلَّا صامتَيْن حتى سارا مسافةً كافية عن الآخرين.

تابع ويلز حديثه قائلًا: «آسف على كل شيء».

لم يكن ذلك كافيًا لكن كان عليه أن يقول ذلك، قال: «كان من المفترض أن نُطلق سراحكِ منذ فترة كبيرة».



حبسُ ساشا كسجينة كان منطقيًّا حينذاك، لكن الآن، لم يكن ويلز قادرًا على النظر إلى العلامات على معصمها من دون أن يشعر بالضيق والندم. إنا هبطت السفينة الثانية على الأرض الآن، وخرج منها والده، ما الذي سيعتقده؟ وما الذي سيقوله لويلز عندما يكتشف أنه اختطف أوَّلَ إنسان أرضي التقاه بعد الهبوط؟ هل سينعت ولده بالبطل أم بالمُغفل؟ بالجبان أم بالمُجرم؟

قالت ساشا: «لا بأس». ثمَّ التفتت برأسها صوب ويلز، كما لو أنها تفحص وجهه من زاوية مختلفة. وتابعت: «رغم أني شعرتُ للحظة أنك غاضب بالفعل».

ثمَّ أخفضت صوتها وحاولت محاكاة صوته وهو يقول: «سأتعامل مع هذا».

- وما الذي يجعلني غاضبًا؟

تفحَّصته ساشا. كانت السماء قد اكتست بالبرتقالي المائل للحُمرة في وقت المساء المبكر، وتوهجت عيناها الخضراوان عندما انعكس عليهما ضوء الشمس الغارب المتسلِّل عبر أوراق الشجر.

- لأني سجينتك.

نظر ويلز بعيدًا، وقال خجِلًا: «أعتذر لأننا اعتبرناكِ سجينتنا كل ذلك الوقت. كنَّا جميعًا خائفين بعدما حدث لآشر وأوكتافيا، ولم يكن أمامي شيء آخر لأفعله».

قالت بنعومة: «أتفهَّمُ ذلك».

توقَّفَا عن السير، ورغم أنَّ ضوء النهار يتلاشى، لم يجد ويلز ما يستدعي العجلة للعودة إلى المخيَّم. قال مُشيرًا صوب جذع شجرة مغطى بالطحالب: «أتريدين أن تستريحي قليلًا؟».

-بالطبع.



جلسا بجانب بعضهما بعضًا، لكن لم يتكلَّم أحدهما. كان ويلز ينظر إلى الأمام، يشاهد الأشجار وهي تُشكِّل أمامه خيالات فيصعب التفرقة بينها وبين ظلالها، ثمَّ نظر إلى ساشا، فرأى على وجهها تعبيرًا لم يره منذ فترة طويلة. منذ الأيام التي كان يجلس فيها مع كلارك على منصة المشاهدة، يتشاركان معًا قبسًا من المعلومات التي ادَّخرها كلٌّ منهما للآخر طوال اليوم، لأنهما يعرفان أنَّ الآخر هو الشخص الوحيد في الكون الذي يريد أن يتشارك معه هذه المعلومات.

قالت ساشا لتكسر جدار الصمت: «هذا ليس خطأك. لقد كنتَ تفعل ما تعتقد أنه أفضل ما يمكن لحفظ أمنهم. وليس سهلًا أن تجد نفسك تَتَّخذ مثل هذا النوع من القرارات فجأةً. أعرف ذلك، وأعرف أيضًا الفارق بين محاولتك أن تكون قائدًا، وبين رغبتك في أن تكون مجرَّد صبيٍّ عادي».

قال مدهوشًا: «من الطَّريف أن تقولي هذا».

- أقول ماذا؟

- تذكرين الفارق بين كوني قائدًا وشخصًا عاديًّا.

صوَّبَتْ له الكلمة: «أعتقد أني قُلتُ صَبِيًّا».

كان بوسعه أن يسمع الضحكة في صوتها. أعلاهما، كانت الأزهار البيضاء تتوهج بلونها الأرجواني على غصون الأشجار الليلية الغريبة، كما لو أن بتلات الأزهار تتشبَّثُ ببقايا غروب الشمس.

- حسنًا، سأعتبر أني كبرت عِدَّةَ سنوات.

أَوْمأَتْ ساشا بضحكة ساخرة: «لو قلنا إنك شخص فذلك يعني أنك أكبر من أن تكون صَبِيًّا، رغم أني غير واثقة من أن الاثنين من نفس الفصيلة».



مدَّ يده وشدَّ حفنةً من خصلات شعرها الحريرية التي كانت تنسال على كتفَيْها بخفَّة، وقال: «لم أُقرِّر بعد ما إذا كنا أنا وأنتِ من نفس الفصيلة».

ضحكت وخبطته على كتفه بخفَّة، ثمَّ اعتدلت في جلستها لتُقرِّب المسافة بينهما، قالت: «لكن لماذا يُعَدُّ هذا مُضحِكًا؟».

نسي ويلز تقريبًا ما كان يتحدث فيه، وضاع في عينَيْها المُضيئتَيْن على وقع ضوء المساء، قال: «أوه، لقد اعتدتُ أن أفكِّر في والدي بهذه الطريقة. كانت له حياته كونه مستشارًا، وحياة أخرى باعتباره أَبًا لي. وفي بعض الأحيان، كنت أشعر أن ثمة شخصَيْن مُختلفَيْن عن بعضهما بعضًا أشدَّ الاختلاف».

- أعرف بالضبط ما تقوله، والدك سيكون فَخُورًا بك عندما يهبط على الأرض.

فكَّرَ ويلز: "ذلك إذا هبط". ثمَّ غرق في الصمت عندما لاحظ ألمًا مألوفًا يأكل احشاءه.

أشارت ساشا إلى السماء عندما بزغ أَوَّلُ نجم في عتمة السماء الباهرة: «أنظر، تَمَنَّ أُمنية».

- أُمنية؟

كرَّرَها ويلز مُتسائلًا ما إذا كان قد سمع الكلمة بشكل صحيح.

أشارت ساشا إلى السماء: «من المفترض أن تتمنى أُمنية عندما يبزغ أَوَّلُ نجم في السماء».

التفت ويلز لساشا ليرى ما إذا كانت تُلقي مزحة، لكن تعابير وجهها كانت جادَّة. وأدرك أنها عادة من عادات الأرضيِّين، لو أن النجوم تضمن تحقيق أمنيات الناس الذين يعيشون في الفضاء لاختلفت حياته اختلافًا جذريًّا. لم تكن أُمُّه قد ماتت، ولم يكن أبوه قد أُطلِقَ عليه الرصاص.



لم يكن لديه شيء ليخسره، فأغمض عينيه. وكانت أُمنيته أن يأتي أبوه إلى الأرض، لكنه أدرك كيف سيفكر أبوه لو علم بشأن هذه الأُمنية. 'نحن لم نولد فقط لنعيش لأنفسنا'. ثمَّ تَمَنَّى أُمنيةً أخرى، فكَّرَ، وقال في نفسه: "أتمنى أن يجد بيلامي أخته أوكتافيا، وأن يكون بوسعنا العيش مع الأرضيِّين في سلام".

نظر مجدَّدًا إلى ساشا، التي كانت تراقبه بابتسامة صغيرة، وقال ليستفزها: «ألا تريدين معرفة أُمنيتي؟».

لكنها هزَّت رأسها بقوَّة مُحتجَّةً: «لا، لا يمكنك أن تخبر أي شخص بأمنياتك، عليك أن تحفظ أسرارك».

كان ويلز يعرف الكثير عن حفظ الأسرار، ففي النهاية، لقد تعلَّمَ الكثير عنها وعن فوائدها.

لم يستطع ويلز أن ينسى كذبة والده. لذلك قضى الأسبوع التالي لعيد مولده يولي كامل انتباهه لكل ما يفعله المُستشار أو يقوله، مُتمنِّيًا أن تُفلت منه تفصيلة صغيرة تُفسِّر لماذا قال إنه فوَّتَ العشاء بسبب اجتماع عمل. لا يزال والد ويلز يغادر كل صباح في نفس الموعد، قبل أن تطارد أضواء الساعة البيولوجية في الرواق العتمة كي تتلاشى، ويعود في موعدٍ دقيق ليُقبِّلَ وجنتَيْ والدة ويلز قبل أن تخلد إلى النوم، فقد كانت مُتعَبةً للغاية في الفترة الأخيرة وهي تناقش ويلز في دروسه، كان يحلو لأُمِّه أن تُحاكي صوتَ والده هو يقول لويلز: «كيف كان أداؤك في اختبار التَّفاضُل والتَّكامُل»، أو وهو يقول: «أنا أحبك، وفخورٌ بإنجازاتك». كان ويلز يعرف أن والده يعمل بالفعل حتى ساعة مُتأخِّرة، لأنه يتحمَّل العديد من المسؤوليات، في بعض المرَّات، كان يهرع لمكتب والده ويضع أُذنه على الحائط. في كل مرَّة كانت دقَّات قلبه تتسارع وهو يسمع صوتَ أعضاء المجلس يتجادلون بنبراتٍ مختلفة، أو وهو يسمع طقطقة فنجان الشاي على المكتب بينما يرشف منه والده عِدَّةَ رشفاتٍ.

إذن لماذا لا يزال ينتابه شعور أنَّ أباه يخفي شيئًا ما، سِرًّا كبيرًا؟

مع اقتراب حلول عيد الوحدة، لم يكن بوسع ويلز أن ينظر إلى والده من دون أن يشعر بطعنة من القلق. لطالما كره ويلز يوم عيد الوحدة، عندما يضطر إلى قضاء صباح اليوم بكامله واقفًا بين والدَيْه، يبذل أقصى ما في وسعه حتى لا يبدو مُتضجِّرًا بزيارة الأطفال من والدن وآركاديا.

كلُّ ما كان يتذكره ويلز، أنه قضى الاحتفال بالكامل يختلس النظر إلى اغصان جنة عدن. وإذا نظر إليها من الزاوية المناسبة، كان يتخيَّل نفسه كمُستكشِف غابات. وفي بعض الأحيان كان يتخيَّل نفسه وهو يحارب نمرًا. وفي بعض الأحيان، بحَّارًا شيَّدَ مركبًا يُبحر به في بحرٍ هائج.

في احتفال هذا العام، لم يكن ويلز يستطيع أن يرفع عينَيْه عن والده. المُستشار الذي كان يُلاحِظ بالكاد الإجراءات الاحتفالية، لكنه كان ينظر إلى أحد أيتام مركز الرعاية التابع لوالدن باهتمام شديد. لكن ذلك لم يكن معروفًا عن والده، وجد ويلز نفسه يندفع إلى التحدُّث إليه قائلًا: «ما الذي يحدث؟».

نظر إليه المستشار نظرةً سريعة وغاضبة وقال: «ما الذي تتحدَّثُ عنه؟».

ثمَّ عاد مرَّةً أخرى إلى النَّظَرِ إلى الأطفال من مركز الرعاية، الذين بدؤوا إلقاء قصيدة أعدوها لهذه المناسبة خصوصًا.

تمكَّنَ الغضبُ في صدر ويلز، فقال لأبيه: «ما الذي تُخفيه؟».

نظر المُستشار إليه مباشرةً هذه المرَّة، وقال وهو يتحدَّث ببطء: «ليس لديَّ فكرة عما تتحدَّثُ عنه، والآن احفظ أدبك قبل أن تُحرجني أنا وأمُّك».

كانت نبرة صوتِهِ عاديّة وموجزة، لكن يبدو أنَّ هناك شيئًا مُختلِفًا في المُستشار، لمعةٌ في عينَيْه لم يرها ويلز من قبل. الخوف.



همست له ساشا قائلةً: «يمكنك أن تخبرني إذا تحقَّقت أُمنيتك».

كانت تجلس قريبةً للغاية منه. لدرجة أن ويلز كان بإمكانه أن يشعر بأنفاسها على وجنته.

- ماذا؟

- هل تحقَّقت أُمنيتك؟

قال مرتبكًا: «هل من المفترض أن تتحقَّق فورًا؟ لأن من المحتمل أن تستغرق أُمنيتي وقتًا».

- فهمت.

لكن صوتُها كان مَشوبًا بتلميح خافت بخيبة أمل، ممَّا أربكه.

- ماذا تمنَّيْتِ؟

مالت ساشا عليه وطبعت قبلةً على شفتَيْه. تردَّدَ ويلز للحظة، وهبَّ بخاطره مليون فكرة، بعد ذلك، حاوطت ساشا خصره بيدها، فتلاشت كل تلك الأفكار، فجذبها لتكون أكثر قربًا منه ونَسِيَ نفسه تمامًا وهو يُقبِّلها. أخيرًا، أفلتت نفسها منه وهمست له في أُذنه، بينما أنفاسها تُدغدِغه: «هذا ما تمنَّيته».

مدَّ يده وأزال خصلةً من خصلات شعرها عن وجهه. وقال: «سعيد لتحقُّق أُمنيتك».

وشعر أن بوسعه أن يمكث في الغابة مع ساشا للأبد. فلم يكن يريد شيئًا أكثر من قضاء الليل وهو يراقب بزوغ النجوم، مُستغِلًّا بزوغ كل نجم كعذر ليطبع قبلةً على شفتَيْها. لكن بالطبع لم يكن ذلك خيارًا حقيقيًّا. فَلَمْ نولد لنعيش لأنفسنا. لن يستطيع ويلز أن يهجر قومه بعد الرعب الذي شهدوه ذلك اليوم. كان عليه أن يعود



ليساعد في دفن بريا، وليكون عونًا لمن لا يجد مكانًا للنوم. وليردع كل من تُسوِّلُ له نفسه أن يكون الجشع أو الخوف دافعه للإنتقام.

قال ويلز بصوتٍ مُتصدِّع: «عليكِ أن تذهبي».

- أذهب؟

قال بحزم: «نعم، اذهبي إلى موطنك، كما كُنتِ تُخطِّطين أنتِ وكلارك. فالمكان لم يَعُد آمِنًا بالنسبة إليكِ، ترين ما فعله بيلامي، وأنا أعرف ما يقدر جراهام على فعله».

ثمَّ مدَّ يده في الظلام ليمسك يدها: «هل ستتمكَّنين من العودة بأمان وحدك؟».

قالت ساشا مبتسمةً، يبدو على وجهها قليل من الحزن: «موطني، نعم، سأكون بخير، شكرًا لك».

ثمَّ مالت عليه مرَّةً أخرى، وطبعت قبلةً على وجنته، قبل أن تختفي في الظلام. إذا لم يشعر بوخز خفيف على وجنته من أثر القبلة، لظنَّ أنها لم تكن هنا على الإطلاق.



الفصل الثاني والعشرون

بيلامي

حتى مع طقطقة اللهب، كان الصمت لا يُحتمل.

كان يريد أن يسألها لماذا فعلت ذلك. لماذا كذبت بشأن ليلي، لكن كلما أراد تحويل الأفكار في رأسه إلى كلمات تقف عند طرف لسانه.

لاحقا، حمل قوسه وبعض سهامه وذهب ليبحث عن صيد للعشاء. عندما عاد بأرنب على كتفه، كانت كلارك قد فردت فرشتَيْهما على الأرض. لكنه لاحظ بمزيج غريب من الراحة واليأس أنها قد فردتهما متباعدتَيْن.

استقرَّ الغسق خلف الأشجار، وتوهَّجت النار مُرحِّبةً. كانت كلارك تجلس على الأرض، تُقلِّب الساعة في يدَيْها. تساءل بيلامي من أين لها بمثل هذه الساعة هنا، وما الذي فعلته بشأن ما قالته سابقًا، بأن أبوَيْها كانا قد هبطا في المهمة الأولى إلى الأرض. انعكس ضوء اللهب على وجهها، فكشف عن دموع تنساب على وجنتَيْها. لكن صوتها كان حياديًّا عندما تحدَّثت، قالت: «شكرًا».

ثمَّ أومأت إلى الأرنب، وفركت عينَيْها سريعًا بظهر يدها. أومأ بيلامي لكنه لم يتحدَّث، بل راح يسلخ الأرنب ويقطع لحمه إلى قطع ودسَّها بانتظام في عصا مدبَّبة.



سألته كلارك عندما رأته يُقرفص بجانب النار: «أتريدني أن أفعل ذلك؟».

جفل بينما صعدت سحابة من الرماد من النار إلى وجهه، وقال: «أستطيع فعل كل شيء».

- اعتقدتُ كل تلك الفترة أنك تتمتَّع بأخلاق عالية.

التفت بيلامي ليواجه كلارك قائلًا: «ماذا؟».

وتجاهل دهن اللحم الذي يحترق الآن.

قالت كلارك سريعًا: «عذرًا، إنها مزحة، فالجميع يعرف أنه لولاك لما ظلَلْنا على قيد الحياة».

- لا، الأمر ليس كذلك.

ثمَّ أدار بيلامي لحم الأرنب قبل أن يتحوَّل إلى مقرمشات مُتفحمة. "اعتقدتُ كل تلك الفترة أنك تتمتع بأخلاق عالية".

قال بهدوء: «لقد ذكَّرتِني بشيءٍ ما».

على الأرجح لم تسمعه بسبب صوت طقطقة النار، لكنه لم يهتم، فقد كان يريد أن يتذكَّرَ ما يتذكَّره في سلام.

كان بيلامي يلهث وهو يقول: «تعالي».

ثمَّ سحب ليلي إلى الزاوية، وتوقَّفا ليلتقطا أنفاسهما، وقال: «هل أنتِ بخير؟».



أَوْمأَتْ وهي تلهث حتى إنها لم تستطع أن تجيبه. قال بيلامي بأنفاس متقطعة: «علينا... أن... نواصل... السير».

تحامق بيلامي عندما أدخل ليلي إلى فينيكس، لكنه سيكون أسوأ من ذلك إذا لم يخرجها من هنا. سيكون قاتلًا. كان يجب عليه أن يفكِّر في الأمر، كان يجب عليه أن يكون عمليًّا. لكن النظرة الحزينة التي تبدو على مُحيّاها في كل مرَّة تتحدَّث فيها عن القراءة أنسته التفكير في أي شيء. استماتت لتعود إلى مكتبة فينيكس منذ أن رأتها في تعليمها الابتدائي منذ سنوات.

سمعا وقع أقدام تتقدَّم نحوهما فقفزا من مكانهما، وقال: «لنترك الكتاب هنا». وسحبها إلى الردهة.

- هذا ما يريدونه. قد لا يتعقَّبوننا إذا استعادوا الكتاب.

احتضنت ليلي الكتاب. كان غلافه أخضر، وهو اللون الذي كان يبدو مُدهِشًا إزاء شعر ليلي الأحمر الداكن. قالت: «مستحيل، لقد كنتُ أبحث عنه منذ سنوات. أريد أن أعرف كيف سينتهي بها الحال مع الصبي الذي كان يدعوها جزرة».

- لو كان يعرف مصلحته، لراح يبحث عن الشقراوات، فالصهباوات لا يأتي من ورائهن غير المشكلات.

ابتسم بيلامي ومدَّ يده للكتاب قائلًا: «أعطيني إياه، هذا الكتاب يزن نصف وزنك... يا جزرة».

دفعته دفعةً خفيفة وابتسمت قائلةً: «الكتاب عن الزمن، وأنا لم آتِ بك إلى هنا حتى تُمثِّل عليَّ دور الفتى المُهذِّب».

ابتسم، لكن قبل أن يرد، سمعا صيحةً عالية من الزاوية تقول: «لقد ذهبا بهذا الاتجاه».



وانطلق بيلامي وليلي عدوًا.

- هناك.

قالت ليلي بأنفاس مُتقطِّعة: «يا إلهي، سيقبضون علينا».

شدَّ بيلامي على يد ليلي وأسرع خطواته ساحبًا إيّاها، وقال: «لا، لن يفعلوا».

ركضا حتى وصلا إلى زاوية أخرى، ثمَّ دخلا في كُوَّة أسفل الدرج. أفلت بيلامي الكتاب وحاوط ليلي المُرتعشة بذراعيه، وألصقا نفسَيْهما بالحائط، داعيَيْنِ الرب ألَّا يراهما أيٌّ من الحراس المارِّين. أغلقت ليلي عينَيْها بينما تتعالى أصوات وَقْع أقدام الحراس في اتجاههما، وبات صراخ الحرَّاس أكثر إلحاحًا. لكن الأصوات تلاشت بعد فترة. فالحرَّاس مرّوا بجانبَيْهما بسلام.

ظلَّ بيلامي صامتًا لدقيقة أخرى حتى يكونا في أمان، ثمَّ زفر عاليًا، وقال: «حسنًا».

ومسَّد على شعر ليلي الأحمر المُمَوَّج قائلًا: «سنكون بخير».

قالت بصوتٍ خافتٍ وهي لا تزال ترتعش: «لا يمكنني أن أُسجن».

- لن يحدث ذلك.

ثمَّ شدَّ بيلامي على يدها قائلًا: «لن أدعهم يفعلون ذلك».

- أُفضِّل أن أموت على أن أكون سجينة.

وبَّخها بيلامي مُبتسِمًا: «لا تتحدثي بهذا الحديث، لن أدع أي شيء يحدث لكِ. أعدكِ بذلك».

التفتت إليه وعيناها مملوءتان بالدموع، وأَوْمَأَت. مال رأسه على رأسها وطبع على جبينها المُحْمَرّ قبلةً وقال مجدَّدًا: «أعدكِ بذلك».

التفت ليواجه كلارك. كانت تجلس وركبتاها منثنيَّتان إلى صدرها، تعبث بالساعة.

- لقد جَعَلَتكِ تقطعين لها وعدًا، أليس كذلك؟

نظرت إليه كلارك، وسط اندهاشها وهي تسمعه يوجه لها الكلام. لكن بدت أنها قد فهمت ما يقول، فأَوْمَأَت ببطء.

- لقد حَمَلَتكِ على أن تقطعي لها وعدًا على أن... تُنهي مُعاناتها.

- نعم.

التقطت كلارك نفسًا عميقًا، ثمَّ تابعت حديثها قائلةً: «لم تستطع تَحمُّلَ الألم مجدَّدًا. لقد كرِهَت الألم، لكن أشدَّ ما كرِهَت كان عدم قدرتها على التحكُّم بحياتها. لم تكن تطيق أن تظلَّ سجينةً في المختبر».

دقَّت كلمة 'الألم' في قلب بيلامي عندما سمعها. أدرك بيلامي أن كلارك لا تكذب. فليلي التي كان يعرفها فتاة قوية، بل إن استجداء الرحمة من كلارك، على طريقة ليلي، كان فعل قوَّة، لا فعل ضعف، ليلي التي يعرفها كانت تُفضِّل الموت على أن تكون مريضة، أو أن تكون فأر تجارب لا حيلة له.

بالنسبة إلى بيلامي، فإنه لم يتوقَّف ليفكِّر للحظة كم كان ذلك مُريعًا بالنسبة إلى كلارك، أن تطلب منها صديقتها شيئًا كهذا. وقرَّرَ ألَّا يسامح نائب المستشار أو أي شخص مسؤول عن تلك التجارب المُريعة التي سرقت حياة ليلي، لكنه يعلم الآن أن الخطأ لم يكن خطأ كلارك. فقد أحبَّت ليلي بقدر ما أحبها هو. لقد أحبَّتها بما فيه الكفاية لتقدم على مثل هذا الفعل المُريع، والمؤلم الذي طلبته منها صديقتها.

سار بيلامي وجلس بجانب كلارك، وقال ناظرًا إلى النار: «آسف لأني نعتُّك بتلك الأوصاف».



هزَّت كلارك رأسها قائلةً: «لا تعتذر، فأنا أستحق أكثر من ذلك».

قال زافرًا بينما تمدُّ كلارك يدها لتضعها في يده، وتشبك أصابعها بأصابعه: «لا، لا تستحقِّين أيًّا من ذلك، بل أنا من لا أستحقُّ عفوكِ عني».

قالت بنبرةٍ جعلته ينظر إليها فورًا: «بيلامي، نحن جميعًا فعلنا أشياء لم نكن فخورين بها قط».

ثمَّ قطَّبت جبينها فتساءل بيلامي ما إذا كانت تفكِّر في ويلز.

- أعرف، لكن...

- أريدكَ أن تصمتَ الآن.

ثمَّ طبعت قبلةً على شفتَيْه. أغلق بيلامي عينَيْه، تاركًا شفتَيْه تُعبِّران عن كل ما لم يستطع التعبير عنه بالكلمات بسبب غبائه مرَّةً وتعنُّتِهِ مراتٍ. فقال: "آسف. لقد كنتُ أحمق. أريدكِ. أحبُّكِ".

لكن ذلك لم يكن كافيًا. لقد أرادها أن تسمع ذلك. لقد أراد أن يسمع نفسه وهو يقول ذلك. تراجع بيلامي وأخذ وجه كلارك بين يدَيْهِ وقال: «أحبُّكِ».

ثمَّ ظلَّ يحدِّق إلى عينَيْها اللّتَيْن توهَّجتا من ضوء النار... والرغبة.

- أنا أحبُّكَ أيضًا.

قبَّلها بيلامي مجدَّدًا، أقوى قليلًا هذه المرَّة، مُكرِّرًا كلمته في كل مرَّة يُقبِّلها. بينما يتراقص لهب النار بجانبهما، وضع يده على مؤخرة رأسها، ثمَّ أمال رأسها على الأرض.

الفصل الثالث والعشرون

كلارك

وضعت كلارك رأسها على صدر بيلامي، مُتعجِّبةً كيف يمكن أن تشعر بالرَّاحة وهي مُستلقية على أرض الغابة في منتصف الليل. كانت لترتعش تحت غطاء رقيق، لكن الدفء الذي انتشر في جسدها في الوقت الذي أخذها بيلامي فيه بين ذراعَيْه لم يتبدَّد.

قد أغلق بيلامي عينَيْه، لكنه كل بضع دقائق، يضمُّها لصدره، أو يقبِّل وجنتها، أو يُجري أصابعه عبر شعرها، كانت النار قد انطفأت، وخيط الضوء الوحيد يتسلَّل عبر ورق الشجر آتٍ من نجوم تضفي على الغابة القليل من الضوء.

تقلَّبت كلارك على الجانب الآخر فصار ظهرها يواجه صدر بيلامي. وكان رد فعل بيلامي أن ضمها لصدره مرَّةً أخرى، لكن هذه المرَّة، بدا رد فعله تلقائيًّا. فمن أصوات تنفسه المنتظمة والمتناغمة، كان بوسعها أن تعرف أنه نائم.

وسط الظَّلام الدامس، لفت انتباهها وميض خافت للضوء. ربما لم تنطفئ النار كليًّا؟ لكن يبدو أن الضوء يأتي من على بعد مئات الأمتار، بالقرب من الأشكال الصخرية التي تلتصق بالتل.

تسارعت نبضات قلبها. واستدارت مرَّةً أخرى لتواجه بيلامي. وهمست في أذنه: «بيلامي، استيقظ».



وعندما لم يُفلح ذلك، هزَّت كتفه قائلةً: «بيلامي».

فسقط رأسه، وصدر صوت شخير من أنفه. فجلست فورًا مُحرِّرةً نفسها من قبضته.

- بيلامي.

فتح بيلامي عينَيْه قائلًا: «ماذا؟ ما الذي يحدث؟».

عندما رأى تعبير وجهها، أزال قلقُه النومَ من عينَيْه فجلس. وقال: «أأنتِ بخير؟».

أشارت كلارك صوب الضوء قائلةً: «ماذا تعتقد في هذا؟».

كان بوسعها أن ترى بيلامي وهو يُدقِّق النظر، قال: «ليس لديَّ فكرة». ثمَّ مدَّ يده ليلتقط قوسه، المُلقى على الأرض بجانبه، ونهض على قدمَيْه قائلًا: «لكن دعينا نتفقَّد ذلك».

أمسكت كلارك يده وقالت: «انتظر، علينا أن نضع خطة».

ضحك بيلامي: «خطة؟ خطتنا أن نعرف ما هذا. تعالي».

تسلَّلا عبر الأشجار باتجاه الضوء، الذي كان يزداد ألقًا كلما تقدَّما باتجاهه. أدركت كلارك أنه ضوءٌ كهربائيٌّ، يُشكِّل توهُّجًا دائريًّا مثاليًّا، وينير الأشجار والصخور المجاورة بضوء أصفر دافئ.

قال بيلامي بصوتٍ بدا عليه القلق: «كلارك». ثمَّ أمسك يدها حتى تقف. وقال: «لستُ مُرتاحًا لهذا. أعتقد أنه يجب علينا أن ننتظر حتى الصباح».

- مستحيل.

كانا قريبَيْن للغاية الآن، ولم تستطع تَحمُّلَ ألَّا تكتشف ما هذا. شدَّدت قبضتها على يد بيلامي وتقدَّمت للأمام.



كان مصدر الضوء دافئًا ومصنوعًا من المعدن بكل تأكيد. وقفت كلارك على أطراف أصابعها لترى، وأدركت أن مصدر الضوء كان مصباح إنارة موضوعًا في شيء أشبه بالقفص له قضبان من الأمام، كما لو أن الضوء يمكن أن يتحوَّل إلى مخلوق ليهرب.

سمعت بيلامي يهمس بجانبها قائلًا: «ما هذا بحق الجحيم؟ لم نرَ مثل هذا المصباح منذ النزوح الجماعي، أليس كذلك؟».

هزَّت كلارك رأسها قائلةً: «مستحيل، لقد كان المصباح موجودًا منذ وقت طويل للغاية».

ثمَّ تراجعت خطوةً إلى الوراء. فقال بيلامي: «ماذا؟ ماذا هنالك؟».

لم يكن التكوين مجموعةً من الصخور. بل درجات منحوتة في الأرض، تُفضي إلى جانب التل. لم تتردَّد كلارك، فتقدَّمت باتجاهها.

على وَقْع الضوء الأصفر للمصباح، كان بوسعها أن ترى تخشُّب بيلامي، قال: «مستحيل يا كلارك. لن تذهبي إلى أي مكان حتى نعرف ما هذا».

دقَّقت النظر في شيء محفور على الدَّرَج لم تكن تراه جيِّدًا، وانحنت للأسفل لتلقي نظرةً أقرب. كانت لوحة معدنية محفور عليها كتابة ما، رغم أنها قديمة وباهتة، قالت بصوتٍ عالٍ: «ماونت ويذر».

- ماذا يعني ذلك؟

تذكَّرت ما يعنيه هذا، فقفزت على قدمَيْها قائلةً: «أعلم أين نحن! لقد أخبراني عن هذا المكان».

قال بيلامي بنفاد صبر: «من؟ من الذي أخبرك بشأن هذا المكان يا كلارك؟».

قالت بهدوء: «أبواي».



حدَّقَ إليها بيلامي بعينَيْن متسعتَيْن عندما أخبرته كلارك ما تذكَّرَتْهُ عن ماونت ويذر، وكيف كان من المفترض فيه أن يكون ملجأً للحكومة الأمريكية في أوقات الأزمات. قالت: «لكن أبواي أخبراني بعدم وصول أي شخص إلى هذا المكان في الوقت المناسب».

- حسنًا، لنفترض أنهم تمكنوا من الوصول إلى هنا، هل كانوا سينجون من الجائحة عندما يهبطون تحت سطح الأرض؟

أَوْمأَتْ كلارك قائلةً: «حدسي يخبرني أنهم لم يرحلوا قط. أعتقد أن الأرضيِّين يعيشون هنا».

نظر بيلامي إلى السَّلالم، ثمَّ إلى كلارك مرَّةً أخرى، وقال: «حسنا، ما الذي تنتظرينه؟».

وسألها عندما لم تأتِ على حركة: «دعينا نتحدَّث إليهم».

أمسكت كلارك يده، وهبطا السلالم معًا باتجاه العتمة.



الفصل الرابع والعشرون

ويلز

تقلَّبَ ويلز تجاه جذع الشجرة، وجفل عندما تقلَّصت عضلاته المُنهكة مُحتجَّةً، طلع الفجر، لكنه لم يكن قادرًا على النوم بأي شكل. فاستسلم في النهاية وتطوَّع لواجب الحراسة، وهو معروف قَبِله بامتنان شاب آركادي عيناه يشوبهما التعب.

انجرفت عيناه صوب موقع القبر، حيث شغلت كتلة أخرى من الأوساخ مكانها على القبر كندبة. قضى ويلز معظم ليلته جالسًا بجانب قبر بريا، يُزيِّنه بالزهور، رغم أنه لم يكن بمهارة مولي في تزيين القبور بالورود. لكنه فكر في ارتياح، أن الحُمَّى قد خَفَّتْ عن مولي أخيرًا، إذ طلبت كلارك من ساشا أن تبلغه بما قالت عن النباتات الليلية قبل أن تغادر، وظلَّ الخبر السعيد في يوم ويلز إخبار الجميع في مشفى الكابينة أن المرضى سيبرؤون من مرضهم متى ما غادر أثر النباتات الليلية أجسادهم.

نظر مجدَّدًا إلى شواهد القبور البدائيّة، التي لم يُحفر عليها سوى اسم بريا، لم يكن يعرف اسمها الأخير، أو لماذا سُجنت، أو ما إذا كانت واقعةً في الحب أم لا. هل اكتشف أبواها في أي وقت أن ابنتهما ماتت؟ إذا كانت الأساور لا تزال تعمل، سيكون لديهما الفرصة لأن يعرفا ذلك، أما إذا تضرَّرت، سيضطر ويلز أن ينتظر هبوطهما على الأرض حتى يُبلغهما. تخيَّلَ امرأةً تشبه بريا تنزل من السفينة، وتنظر حولها

بعينَيْها البُنِّيَّتَيْن المُتَّسعتَيْن بحثًا عن ابنتها التي أخذوها منها، وبينما يحتضن الآباء أبناءهم، سيكون على ويلز أن يقود أُمَّ بريا إلى شاهد قبرها.

سمع صوت طقطقة غصن شجرة، فقفز ويلز على قدمَيْه انتباهًا، يبحث عن إشارة في الغابة على أيِّ حركة، لكنه لم يجد إلَّا سنجابًا ضالًّا. ورغم أنه لن يعترف أبدًا، أملَ أن تكون ساشا. كان يدرك أنه مجرد أحمق. فلن تظهر ساشا مرَّةً أخرى بطريقة سحرية لمجرد أنه ظلَّ يفكِّر فيها. لكنه آمن أنه فعل الصواب، بأن تركها تذهب إلى موطنها. كل ما كان يتمنّاه هو سؤالها عن مكان قومها، أو إذا كانت تفكِّر في العودة في أيِّ وقت. ماذا لو لم يرها مرَّةً أخرى؟ ثمَّ خطر له خاطرٌ آخر، يرفض أن ينصرف من رأسه. ماذا لو أنَّ ساشا لم تكن تعني أيَّ شيءٍ مما قالته؟ وماذا لو كانت قُبلتها هي جزءٌ من خطَّةٍ مُعَدَّة للهرب؟

تعالت الصيحات في المخيم، فانتزعته من أفكاره. لم تكن الجدالات المعتادة التي اعتادها في صباحاته، والتي كانت من نوعية: -أبعِد يدك عن فطوري- أو -سأقتلك إذا تملصتَ من واجبك في جلب الماء-. نهض ويلز على قدمَيْه وتوجَّه نحو الصوت. ونما لديه شعور أنه يدرك ما الذي يحدث.

تجمَّعت مجموعة حول كابينة المشفى. تقدَّمَ ويلز نحوهم، فالتفت إليه الكثير منهم. بدا معظمهم مُرتبكًا، فيما نظر بعضٌ منهم بغضب.

قال جراهام مُهَرْوِلًا صوبَ ويلز: «لقد هرَبَتْ».

للحظة، فكَّرَ ويلز أن يدَّعي عدم معرفته بذلك، ويتظاهر أنَّ ساشا هرَبَتْ بطريقة ما. لكنه كان يعرف ماذا سيقول والده عن ذلك، القائد الحقيقي يتحمَّل مسؤولية أخطائه، لا يُلْقِي باللَّوم على الآخرين. لكن ويلز لا يرى أنَّ تحرير ساشا فعل يجانب الصواب.

نَظَرَ جراهام حوله ليتأكَّد مِنْ أنَّ كلماته مسموعة لأكبر عدد من الرفاق، وقال: «لقد تعهَّدْتَ بإرجاعها إلى المخيم، لكنك تركتَها تهرب».



سأله أنطونيو بعينَيْن مُتسعتَيْن من الاندهاش: «في ماذا كنت تفكِّر يا ويلز؟ لقد كانت هي النفوذ الوحيد الذي بأيدينا على الأرضيِّين الذين قتلوا آشر وبريا، ما الذي يردعهم الآن عن قتلنا جميعًا؟».

احتجَّ ويلز قائلًا: «نحن لا نعرف حتى أين يسكن قوم ساشا، ناهيك بأنهم يدركون أنها معنا، بجانب أنهم ليسوا من قتلوا آشر وبريا، لكنهم الفرع الآخر من الأرضيِّين، الذين يَتَّخِذُونَ العنف منهجًا».

تدخَّلت فتاة في النقاش قائلةً: «أهذا ما أخبَرَتْك به؟».

التفت ويلز ليرى كيندال تنظر إليه بمزيج من الحزن والشَّفقة، وقال: «لكننا لم نقع على دليل يُدينها، أليس كذلك؟».

ومن التعبير الذي بدا على وجهها، صار واضحًا أنها تعتقد أنَّ ويلز يتلاعب.

احتجَّ جراهام قائلًا: «فقط اعترِف بما فعلتَه، لقد تركتَها تهرب، أليس كذلك؟».

قال ويلز بصوتٍ هادئ: «نعم، لقد فعلت. ولقد كان هذا هو عين الصواب، فلم يكن لديها ما تعرفه عن أوكتافيا، ولم يكن لدينا أيُّ دليل يُدينها لنبقيها هنا. لا يمكن أن نحتجز الناس من دون سبب».

نظر أنطونيو إلى ويلز مصدومًا، وقال: «هل أنت جاد؟». واستحال وجهه دائم الابتهاج إلى الغضب وهو يومئ بدراماتيكيّة إلى الحشد المُتجمِّع حوله قائلًا: «لقد احتجزَنا والدك جميعًا من دون أن يكون لديه سبب واضح على الإطلاق».

رفع ويلز صوته في يأس، وقال: «إذن، ماذا بعد؟ هل سنكرِّر الأخطاء نفسها؟ لدينا الفرصة لنفعل الأمور بطريقة مختلفة، بطريقة أفضل».

اعترض جراهام قائلًا: «توقف عن الهراء يا ويلز، كلُّنا نعلم أنَّ الشيء الوحيد الذي تفعله هو أنك تنام مع الأرضيّة المُتحوِّلة».



ماج صدر ويلز بالغضب الذي كان يحاول أن يحتويه، ثمَّ اندفع بشراسة نحو جراهام، ورفع قبضتَيْه. لكن قبل أن يُزيل تلك الضحكة السَّمجة عن وجه جراهام الأحمق، تدخَّلَ صبيّان آركاديان وثبَّتا ذراعَيْ ويلز خلف ظهره، قال إريك: «جراهام، اتركه يذهب».

- أرأيتم؟

استدار جراهام إلى الوجوه المُتطلِّعة بسعادة واضحة، وردَّد: «أرأيتم؟ أظن أنه قد اتَّخَذَ قراره الواضح الآن حول أين يضع ولاءه».

لم يكن كلام جراهام ما جرح ويلز، لكن النَّظرة التي رآها في أعين الجميع. كان معظمهم يقفون مُحدِّقين إلى ويلز كما لو أنهم يُصدِّقون جراهام، ويشمئزُّون من ويلز.

شفتا كيندال ترتعشان، ووجه إريك مائل للحُمرة من الإحباط. وأنطونيو يغلي، نظر ويلز حوله بحثًا عن كلارك قبل أن يتذكَّر أنها ذهبت. لقد فعل عين الصواب، فلماذا لا يرى الجميع ذلك؟

قفز صوتٌ خفيض من مؤخرة رأسه يقول: "لكن ربما ما فعلتَه لم يكن هو عين الصواب". في النهاية، كان ويلز يعرف أن أعظم القادة يمكن أن يرتكِبوا أفدح الأخطاء.

عندما مرَّ الكولونيل من أمام وحدة ويلز، زفر وحلَّ زرّ سترته. لم يستغرق الكثير من الوقت ليُدرك أنَّ الأزياء الرَّسمية التي كان يعشقها كثيرًا كطفل ستكون بهذا السُّخف من الناحية العمليّة. فقط لأن الجنود يرتدون مثل هذه الأزياء على الأرض لا يعني أنهم مضطرون إلى فعل الشيء نفسه في الفضاء.

أطلق أحد زملائه صيحات استهجان، وقال: «تفقَّد هذا، ألا تعرف ما الذي حدث للضُّباط الذين اخترقوا قواعد اللباس؟».



تجاهله ويلز، بينما بدا زملاؤه الآخرون مُتحمِّسين للغاية بشأن التدريبات الجديدة. لكنه كان يُحِبُّ التدريب البدنيّ، مثل الركض على جهاز المشي، والملاكمة خلال تمارين القتال، لكن بقيّة التمرين كان يُشعره بالغثيان، مثل أداء عمليات المُداهمة على الوحدات السكنية، وتوقيف المُتسوِّقين المُسالمين في قسم المُعاملات لاستجوابهم. لماذا يفترضون أنَّ كل من على السفينة مجرمًا؟

- انتباه، المُستشار سيعبُر.

وبشكلٍ آليّ، شدَّ ويلز كتفَيْه للخلف، ورفع ذقنه، ووقف في مكانه وشكَّل زملاؤه صَفًّا واحدًا عبر الرواق.

- استرِح.

جاء صوت المُستشار عاليًا، وقال: «لستُ هنا لأتفقَّد الجنود».

كانت عيْنَا ويلز تتطلَّعان للأمام، لكنه كان يشعر بثقل نظرات أبيه.

- وهو أمرٌ جيِّد نظرًا إلى أنَّ بعضكم لا يهتمُّ بمظهره.

خجل ويلز، لأنه عرف بالتحديد من كان يقصد أبوه بكلامه.

قال الكولونيل بصوتٍ خفيض: «سيِّدي، مَن حرسك الشخصيّ اليوم؟».

- لستُ في مهمَّة رسميّة، لذلك جئتُ وحدي.

خاطَرَ ويلز ليُلقي نظرة على المُستشار الذي كان وحده بالفعل، مشهدٌ نادرٌ لمسؤول رفيع المستوى يزور والدن. بينما أعضاء المجلس الآخرون رفضوا عبور الجسر من دون أن يكون لدى كلٍّ منهم حارسان على الأقل.

- أيمكنني أن أُرسل جنديَّيْنِ معك على الأقل؟ لقد وقع حادث آخر في آركاديا صباح اليوم، وأظنُّ أن...



- أشكرك ولكنّي بِخَيْر أيها الكولونيل.

قال أبوه ذلك بلهجةِ من اتَّخَذَ قراره بالفعل: «طابَ مساؤك أيها الكولونيل».

- طاب مساؤك سيدي.

عندما تلاشى وَقْع أقدام المستشار عند الزَّاوية، صرفهم الكولونيل وأمرهم أن يعودوا إلى فينيكس، فاندفع الجنود مُهرولِين. تراجع ويلز وانحنى مُتظاهِرًا أنه يربط حذاءه. وعندما تأكَّدَ أنَّ أحدًا لا ينظر إليه، اندفع هابِطًا إلى الرواق مُتعقِّبًا والده. كان أبوه يُخفي شيئًا ما، وقد عقد ويلز عزمه على أن يعرف ما هو، اليوم.

أبطَأَ ويلز من خطواته عندما لمَحَ المُستشار عند الزَّاوية أمامه، ثمَّ رأى ما لم يخطر له على بال. كان والده يقف أمام حائط الذِّكرى، وهو حائط كبير في الجزء الأقدم من والدن، وقد صار بمرور القرون، نُصُبًا تذكاريًّا يشهد على كلِّ مَنْ مات من المُستوطنة. كانت الأسماء القديمة هي المكتوبة بخط كبير، محفورة بالسكاكين على الحائط من قِبَل أحبَّتِهم الذين تركوهم وراءهم. لكن مع مرور الوقت وتقلُّص المساحة على الحائط، نظرًا إلى أنه يستقبِل الجديد والجديد من الأسماء، صار الحائط مُزدحِمًا بالأسماء التي لم تَعُد صالحةً للقراءة.

لم يكن ويلز قادرًا على تخيُّلِ ما الذي يفعله والده هنا، إذ كان يراه عند الحائط أيَّامَ الاحتفالات الرسميَّة فقط، أو تكريم أعضاء المجلس الذين ماتوا. وعلى حدِّ علم ويلز، لم يَكُن يأتي إلى هنا وحده.

ثمَّ مدَّ المُستشار يده إلى أحدِ الأسماء المحفورة على الحائط، وتهدَّل رأسه، مُعبِّرًا عن حزنٍ لم يره ويلز من قبل قط. مالت وجنتا ويلز إلى الحُمرة. فلم يكن من المُفترض أن يأتي إلى هنا، فمن الواضح أنه دخيل على لحظة تخصُّ والده، لكنه عندما استدار، مُتحسِّبًا أن تكون خطواته أهدأ، رفع والده صوته قائلًا: «أعرف أنك هنا يا ويلز».

تجمَّدَ ويلز، وتقطَّعت أنفاسه في حلقه، قال: «آسف، لم يكن من المفترض بي أن أتبعك».

التفت المستشار لينظر إليه، لكن وسط دهشة ويلز، لم يكن غاضبًا أو مُكشِّرًا حتى، لكنه قال زافرًا: «لا بأس، لقد حان الوقت لأخبرك بالحقيقة على أيٍّ حال».

اقشعر جسد ويلز وقال: «حقيقة ماذا؟».

قال والده بصوتٍ مُرتعش: «الأمر ليس سهلًا بالنسبة إليَّ». ثم تنحنح قائلًا: «قبل وقتٍ طويل، قبل أن تولد، وقبل أن ألتقي أمك، وقعتُ في الحب... مع امرأة من والدن».

حدَّقَ ويلز إليه مدهوشًا. لم يكن على يقين أنه سمع والده يستخدم كلمة -حُب- من قبل. لقد كان عديم المشاعر، ومُنكبًّا على عمله طوال الوقت، هذا غير منطقي. لكن الألم الذي رآه ويلز في عينَيْ والده كان كافيًا لإقناعه بأنه جاد.

بدأ يحكي بصوتٍ مُتقطِّع، شرح المستشار أنه التقاها عندما كان حارسًا شابًّا في إحدى جولاته فوقع في حبها، رغم أنه طوى قلبه على حبها وحفظ سرَّه عن أصدقائه وعائلته، الذين كانوا سيُصدمون إذا عرفوا أنه يحب فتاة من والدن.

قال والده: «في النهاية، عرفتُ أن ما أفعله ليس سوى حماقة، إذا تزوَّجنا، فلن نُسبِّب لعائلاتنا سوى الألم. وخلال هذا الوقت، كان أحدهم قد خاطبني بصورة رسمية لأنضم إلى المجلس. حملتُ مسؤوليات الناس على كتفي بجانب مسؤوليَّاتي كشخص، فقرَّرت أن أُنهي قصَّةَ الحُبِّ هذه».

زفر قائلًا: «كانت ستكره هذه الحياة، أن تكون مُتزوِّجةً بالمُستشار. لقد كان ما فعلتُه هو عين الصواب».

لم يقل ويلز شيئًا بل انتظر والده ليتابع، فقال: «بعد ذلك، بعد عِدَّةِ أشهر، التقيتُ أمك، وأدركتُ أنها الشريك الذي أحتاجه. كنتُ في حاجةٍ إلى شخص يساعدني على أن أكون القائد الذي تحتاجه المُستوطنة».

سأله ويلز مدهوشًا من نبرة صوته الاتِّهاميّة بعض الشيء، قال: «وهل ظلَلْتَ تراها؟ تلك المرأة الوالدنية؟».

هزَّ والده رأسه بصورة قطعيّة قائلًا: «لا، بالطبع لا، لقد باتت أمك كل شيء بالنسبة إليَّ». ثمَّ تنحنح مُعدِّلًا كلامه: «صرتَ أنتَ وأمكَ كل شيء بالنسبة إليَّ».

- وما الذي حدث لها؟ للمرأة من والدن؟ هل وقعتْ في حبِّ شخص آخر؟

قال المُستشار ببساطة: «لقد ماتت. آتي إلى هنا من وقتٍ لآخر لأُعبِّرَ لها عن احترامي. هذا كل شيء، والآن أنت تعرف كل شيء».

أصرَّ ويلز: «لماذا يجب أن يظلَّ هذا أمرًا سِرِّيًا؟ لماذا تتصرف وكأنك لا تريد لأحدٍ أن يراك هنا؟».

تصلَّبَ وجه والده، وقال: «قد لا تعلم شيئًا في سِنِّكَ هذه عن الأمور التي تُقيِّدك باعتبارك قائدًا». نظر إلى حذائه، ثمَّ إلى الحائط، وقال: «والآن، هذه المحادثة تنتهي هنا».

شاهد ويلز والده وهو يخطو خطوات كبيرة للمغادرة، وعَلِم تمام العلم، أنه حين يجلس مع والده على العشاء هذه الليلة، سيتصرَّف كلٌّ منهما وكأنَّ شيئًا لم يحدث.

التفت إلى الحائط، ونظر إلى الاسم الذي مسَّه والده بحنان، ميلندا. حاول أن يعرف اسمها الأخير، لكنه كان قد تلاشى. لكن على حدِّ ما قرأ، كان اسمها الأخير يبدأ بحرف -ب-.



ميلندا ب. المرأة الميِّتة التي وقع أبوه في حُبِّها ذات مرَّة في حياته، والتي تُعيده ذكراها إلى الحائط مرَّاتٍ ومرَّات. وهي المرأة التي، إذا كانت الأقدار مختلفة قليلًا، كانت ستُصبح أُمَّ ويلز.

مدَّ ويلز يده وأغلق زرَّ سترته، ثمَّ استدار صوبَ فينيكس مرَّةً أخرى، تاركًا أشباح والده وراءه.

قال جراهام: «المُستشار الصَّغير تجاوزَ حدوده، ومن يعلم ما الذي يمكن أن يفعله بعد ذلك؟».

قالت ليلا: «لا أعلم، لكن لا يمكننا أن....».

قاطعهم ويلز قائلًا: «حسنا، سأُسهِّل الأمر عليكم، سأرحل».

قالت كيندال مدهوشةً: «ماذا؟ ويلز، لا، لم يكن هذا ما نريده».

قال جراهام: «تحدَّثي عن نفسك، هذا هو عين ما أريده. أظنُّ أنَّنا أفضلُ من دونه».

تساءل ويلز إذا كان جراهام على حق. هل كرَّرَ ويلز ما فعله أبوه قديمًا، وأخطأ في الحُكم بسبب فتاة؟ ما الذي كان سيقوله المُستشار لو أنه هنا الآن؟

قال ويلز: «أتمنَّى أن تكونوا كذلك».

واندهش بحجم الإخلاص في صوته وعدم استيائه منهم. ومن دون أن تلتقي عيناه عينَيْ أحدٍ منهم، استدار وانطلق حامِلًا حقيبته للمرَّة الأخيرة.



الفصل الخامس والعشرون

بيلامي

كان السُّلَّم يُفضي إلى باب معدني ضخم مُثبَّت في جدار صخري، وبالباب قفلٌ معدنيٌّ منيع، لكن الباب نفسه كان مفتوحًا.

أشار بيلامي إلى الفجوة بين الباب الثَّقيل والصَّخرة قائلًا: «هذا سَيَفي بالغرض، أليس كذلك؟».

- ليس حقًّا.

وتجاوزته لإلقاء نظرة أفضل. وقالت: «حتى الآن، هم البشر الوحيدون على الكوكب، ولهذا فلا فائدة من غلق الأبواب».

سألها بيلامي بنبرة تنمُّ عن الاهتمام: «هل ترَيْنَ أي شيء؟».

كان بيلامي يأمل أن يمسك من اختطف أوكتافيا في مكان مفتوح. ورغم استماتته في العثور على أخته، فإنه يعرف أن الدخول إلى بيت العدو في جنح الليل أمرٌ به مخاطرة كبيرة. لكن كلارك أصرَّت على الدخول، ولم تفلح معها أي حيلة لإيقافها، ولم يكن لدى بيلامي نية ليتركها تدخل بمفردها.



- ليس بعد.

ثمَّ استدارت كلارك، ولانت تعابير وجهها عندما رأت القلق في عينَيْه، وقالت بهدوء: «شكرًا لك، لأنك تفعل هذا، ولأنك هنا معي الآن».

أوْمَأ بيلامي، فسألته كلارك: «هل أنتَ بخير؟».

- نعم، لكني أواجه هذا الموقف للمرَّة الأولى.

مدَّت كلارك يدها وشدَّت على يده، وقالت: «ألستَ مُتحمِّسًا؟ ستلتقي أخيرًا القوم الذين يفهمون لكنتك الأرضيّة الغريبة».

أفلتت منه ابتسامة، لكن عندما تحدَّث، كانت نبرة صوته جادَّة، قال: «أتعتقدين أنهم يتوقَّعون قدومنا؟».

- لا، لا أتوقع أنهم يتوقَّعوننا تحديدًا، لكن ساشا أخبرتني أنهم سيكونون سعداء بمساعدتنا.

أوْمَأ بيلامي مُخفِيًا خوفه. فقد كان يعلم أنه إذا حدث مكروه له أو لكلارك الليلة، فلن يراهم أي شخص أبدًا بعد ذلك.

- لندخل إذن.

سحب بيلامي الباب، فجفل عندما أصدرت مفصلاته الصَّدئة صريرًا عاليًا في هواء الليل الصامت. انسلَّت كلارك من بين الفجوة وأشارت لبيلامي ليتبعها.

كان المكان مُظلِمًا في الداخل لكنه لم يكن مُعتمًا. وثمة ضوء خافت، لكن لم يستطع بيلامي أن يعرف مصدره. أخذ بيلامي يد كلارك، ودخلا إلى ما يبدو أنه نفق في الصخر. بعد عِدَّةِ خطوات، بدأت الأرض تنحدر انحدارًا شديدًا إلى الأسفل، فكان عليهما أن يُبطئا من خطواتهما حتى لا يفقدا توازنهما فيسقطا في القاع. كان الهواء ألطف كثيرًا من الخارج، كما أن رائحته كانت مختلفة أيضًا، رطبًا ومملوءًا بالمعادن، وليس نضرًا.

حمل نفسه على التقاط نفس عميق وحافظ على إيقاع خطواته البطيء. فالأسابيع التي قضاها في الصَّيد غَيَّرت الطريقة التي كان يتحرك بها، فقد بدا وكأنَّ قدمه تطفو من دون صوت على الأرض. وبدا أن كلارك تفعل ذلك بطريقة فطريّة. لكنها تعثَّرت، فجفلت، وسحبها بيلامي بالقرب من صدره، وقال: «هل أنتِ بخير؟».

كانت دقات قلب بيلامي تتسارع، وكما لو أنَّ قلبه يحاول أن يخونه لصالح الأرضيِّين.

همست كلارك: «أنا بخير».

لكنها لم تتحرَّر من قبضته.

- لقد تعثَّرتُ فقط.

أفسحت الأرضيّة الحجريّة مجالًا أمام سلالم معدنية شديدة الانحدار. شقَّا طريقهما ببطء، يتبعان السلالم وهي تنحدر بشدَّة إلى الأسفل. كان من الصَّعبِ أن يعرفا في ظلِّ الضَّوء الخفيف أين هما، لكن بدا وكأنهما يهبطان إلى كهف ضخم. كانت الحوائط رطبة ومصنوعة من الصخر، وكلما توَغَّلا في طريقهما، زادت برودة الجو.

بينما يهبطان السلالم، تذكَّرَ بيلامي ما قالته كلارك عن ملجأ ماونت ويذر. حاول أن يتخيَّل كيف يبدو المكان في الأسفل، وهو يركض من دون تفكير إلى الملجأ السري، مُوَدِّعًا الشَّمسَ والسَّماء والعالم كما يعرفه وهو يركض مُسرِعًا إلى الظَّلام. ماذا كان يدور في عقل الأوائل الذين خطوا أولى خطواتهم هنا؟ هل ارتاحوا لحسن حظهم، أم أخذتهم الشَّفقة على من تركوهم وراءهم؟

همست كلارك: «هل كان عليهم أن يهبطوا ويصعدوا السلالم في كل مرَّة يغادرون فيها المكان؟».

- قد يكون هناك مدخل آخر، وإلَّا لماذا لم نرَ أي شخص إلى الآن؟



غَرِقا في الصَّمت عندما وصلا إلى الأسفل، وكان الصدى الوحيد الذي يسمعانه هو صدى خطوات أقدامهما.

انتهت السلالم بمساحة فارغة ومُتَّسعة، بدت كهفًا وليست مكانًا يمكن أن يعيش فيه البشر لقرون. تجمَّدَ بيلامي في مكانه وأمسك ذراع كلارك عندما تردَّدَ صدى صوت عبر الظَّلام، قال: «ما كان هذا؟».

ثمَّ تلفَّت يمينًا وشمالًا قائلًا: «هل هناك شخص قادم؟».

شدَّت كلارك على يده بلطف وخطت خطوةً للأمام قائلةً: «لا». كان صوتها مشوبًا بنبرة اندهاش وليس خوفًا، وقالت: «إنها مياه، انظر إلى الرَّواسِب المُدلَّاة من الكهف»، وأشارت إلى الصُّخور المُتدلِّية من أعلاهما، «تتكثَّف المياه في الصُّخور وتهبط إلى شيء أشبه بالخزَّان. أظن أن هذه هي الطريقة التي كانوا يشربون بها الماء في أثناء الشتاء النَّووي».

- دعينا نواصل مسيرنا.

ظلَّ بيلامي يشدُّ على يد كلارك. أدخلها عبر فتحة في الصَّخر أفضت إلى رِواق به حوائط معدنية، يشبه الرِّواق الذي بُنِيَ في والدن. امتدَّت شرائط طويلة من الأضواء على طول السَّقف، وتناثرت الأسلاك من الصُّخور لتهبط في غطاء بلاستيكيّ.

قال بيلامي: «كلارك، انظري».

كانت هناك خزانة بلاستيكيّة على الحائط تُشبه الصَّناديق المُغلقة التي كانت تحوي لوحات التَّحكُّم في المُستوطنة، وبدلًا من وجود الشَّاشة وعِدَّةِ مفاتيح، كانت هناك لافتة. في أعلى الخزانة نسر داخل دائرة، يحمل نباتًا في مخلب، ومجموعة من السِّهام في المخلب الآخر. وأعلاه كُتبت جملة -ترتيب الرئاسة- على عمودين. يحتوي العمود الأيسر على قائمة طويلة من المناصب: رئيس الولايات المتحدة، ونائب رئيس الولايات المتحدة، والمتحدِّث باسم البيت الأبيض، وهكذا دواليك.



وبجانب كل منصب، كُتبت الكلمة، مُؤمَّن، ومفقود، وراحل. وضع شخص ما دائرة على كلمة راحل بحبر أسود على المناصب الستة الأولى، بينما وُضعت دائرة على كلمة مُؤمَّن أمام منصب وزير الخارجية، لكنه شطب عليها، ووضع دائرة على كلمة راحل بدلًا منها بحبر أزرق.

قال بيلامي وهو يُمرِّر أصابعه على اللافتة البلاستيكيّة: «أتعتقدين أن على أحدهم أن يُنزل هذه اللافتة الآن؟».

التفتت كلارك له وقالت بهدوء: «أيمكنك فعل ذلك؟».

هزَّ بيلامي رأسه سريعًا: «لا، لن أفعل ذلك».

ثمَّ واصلا السَّير في الباحة حتى وصلا إلى مُفترق طرق. فوجدا لافتة أخرى لكن لم يكن لها غطاء بلاستيكيّ.

المستشفى→

معالجة مياه الصَّرف الصِّحي.←

الاتصالات.←

مكتب رئاسة الوزراء.→

المُوَلِّدات.→

المحرقة.→

قال بيلامي وهو يهزُّ كتفَيْه: «المحرقة؟».

- أظن أن هذا منطقي، فالناس لن يستطيعوا دفن موتاهم لأنهم ليسوا على الأرض، كما لن يتمكنوا من دفن موتاهم في صخور قاسية.



- لكن أين يعيشون؟ وكيف لم نتمكن من رؤية أي شخص حتى الآن؟

- ربما يكون هذا هو موعد نومهم.

- أين؟ في المحرقة؟

قالت كلارك متجاهلةً مزحته: «لنواصل السير».

على اليمين، كان هناك ضوء أحمر يومض. قال بيلامي: «قد لا يكون هذا بشير خير». ثمَّ أمسك يد كلارك بإحكام مستعدًّا لينطلقا عدوًا.

قالت كلارك: «لا بأس».

لكنها بدأت السير في الاتجاه المعاكس قائلةً: «أُراهن أن هذا عدَّاد أو شيء من هذا القبيل».

سمعا أصوات صدى وَقْع أقدام فتجمَّدا، وقالت كلارك بينما تنظر بين بيلامي والممر الطويل: «أظن أن شخصًا ما قادمًا إلى هنا».

سحب كلارك وراءه، وسحب قوسه من على كتفه، ومدَّ يده ليأتي بأحد سهامه.

قالت كلارك وهي تقفز إلى جانبه: «لا تفعل ذلك، علينا أن نوضِّح لهم أننا جئنا مسالمين».

تعالت أصوات وَقْع الأقدام، فقال بيلامي وهو يقف أمامها مرَّةً أخرى: «أنا لا أضمن أي شيء».

ظهر أربعة أشخاص في آخر الممر، رجلان، وامرأتان. يرتدون ملابس مثل التي كانت ترتديها ساشا، كلهم في ملابس سوداء ورمادية، لكنهم لا يرتدون الفراء. كما أنهم كانوا يحملون مسدسات.



للحظةٍ بَدَتْ طويلةً للغاية، حدَّقَ الأربعة إلى كلارك وبيلامي وقد بَدَتْ عليهم الحيرة. ثمَّ صاحوا بكلمة ما وبدؤوا الركض باتجاههما.

قال بيلامي: «كلارك، اهربي».

ثمَّ شدَّ قوسه قائلًا: «سأُعطِّلهم».

- لا، لا تفعل ذلك، لا تُلقِ عليهم سهامك.

دفعها بكتفه قائلًا: «كلارك، تحركي».

قالت بصوتٍ جنوني: «بيلامي، ألقِ قوسك الآن، أرجوك عليك أن تثق بي».

تردَّدَ لوقتٍ بدا كافيًا لأن تمنعه كلارك من إطلاق سهمه فوقفت أمامه رافعةً يدها في الهواء قائلةً بصوتٍ عالٍ: «نحن نحمل إليكم رسالةً من ساشا»، كان صوتها عاليًا وحازمًا، رغم أن جسدها كان يرتعش بالكامل، «هي من أرسلتنا إلى هنا».

لم يُمهَلا ليَرَيا وَقْع الاسم على وجوه الأرضيِّين، بل ملأ الجو رنين غريب، وشعر بيلامي بوخزةٍ في أعلى ذراعه. ثمَّ عَمَّ المكان ظلام دامس.



الفصل السادس والعشرون

جلاس

مئات الأجساد كانت تكتظُّ أمام منصة الإطلاق، مع وجود مئات غيرها يدفعونها من الممر الخارجي. وبشكل إجمالي، كان هناك أكثر من ألف شخص مُتكدِّسين في قاع السفينة، يملؤون الهواء بمزيج خانق من العرق، والدم، والخوف.

تمكَّنت جلاس وسونيا من الوصول إلى المنصة، لكن بصعوبة. كانتا تقفان في الخلف عند بداية الممر الخارجي. لكن سونيا لم تكن قادرةً على أن تخطو بقدمَيْها، فحاوطتها جلاس بذراعها، رغم أنه لا فائدة من ذلك. كان الحشد كثيفًا بحيث كانت سونيا تفقد توازنها لكنها لا تقع.

بين لحظة وأخرى، كان بحر الأجساد يتمايل في اتجاه أو آخر حتى بدا الفينيكسيون والآركاديون والوالدنيون كتيار من اللحم.

وقفت جلاس على أطراف قدمَيْها فبات بوسعها رؤية الناس يحاولون شقَّ طريقهم إلى واحدة من سفن الإنزال الستة الباقية. امتلأت السفن الستة بأكثر مما تحتمل، وخرجت الأجساد الزائدة عن الحاجة إلى الخارج.

حاولت جلاس أن تمسح الدموع التي تُشوِّش رؤيتها، وأحصتها من جديد. ست. كان من المفترض أن يكون هناك سبع سفن. السفينة التي هربت منها، والتي من المُفترض



أن تكون قد حملت ويلز والسُّجناء الآخرين إلى الأرض، وهذه غير محسوبة بالطبع، لكن ماذا حدث للسفينة السابعة.

حتى لو كان هناك عشرات السفن، لن تتمكن جلاس وأُمُّها من الوصول لواحدة إلا مع دفع الناس يمينًا وشمالًا لشقِّ الطريق إلى الأمام. شعرت جلاس بالضعف وعدم القدرة على الحركة. في كل خطوة تخطوها، تشعر بوخز الألم في جسدها كله وهي تتذكَّر نظرة الاشمئزاز في عينَيْ لوك، وأشلاء قلبها التي حاولت بصعوبة أن تُلملِمها قبل أن تنفرط منها.

عندما عادت للنظر إلى أُمِّها، أدركت جلاس أنها لا تملك خيارًا آخر. فالتفكير فيما حدث مع لوك الآن يُعتبر ترفًا. وقد انكسر قلب سونيا منذ وقت طويل، لكن الفارق أنها لم تُكلِّف نفسها عناء لملمة أشلائه. فقد فعلت جلاس ذلك بالنيابة عنها، فمن دون جلاس، لن تهتم أُمُّها بإيجاد مكان لها على السفينة، وجلاس لن تجعل ذلك يحدث لأُمِّها أبدًا.

أحكمت قبضتها على خصر أمها، وقالت: «هيا، لنتقدَّم إلى الأمام، خطوةً واحدة في كل مرَّة».

لم تكن هناك مساحة تتحركان فيها، لكنهما تمكَّنتا بشكل ما من شقِّ طريقهما عبر الأكتاف وحول مرافق الرجال، جفلت جلاس عندما خطت على شيء مُكتنز أسفلها، لكن لم تُواتِها جرأة النظر. فقد ظلَّت مُثبِّتةً عينَيْها على منصة الإطلاق في المقدمة، تمسك يد أُمِّها بإحكام وهما تشقَّان طريقهما عبر حائط الأجساد.

مرَّا بجانب امرأة ترتدي فستانًا مُلوَّثًا بالدِّماء. ومن الطَّريقة التي تلطَّخت بها ذراعها، ظنَّت جلاس أن أحد الحراس قد أطلق عليها رصاصةً من سلاحه. كان وجهها شاحبًا، تتمايل جيئة وذهابًا إذ لم يكن ثمة مكان لها لتسقط.

واصلي السير.



كان هناك رجل يحمل فتاة صغيرة في يد، وفي اليد الأخرى حقيبة ملابس، الأمر الذي جعله ضخمًا للغاية ليشقَّ طريقه عبر الحشد، "ألقِ بالحقيبة"، ودَّت جلاس لو قالت له ذلك، لكنها لم تقل شيئًا. فوظيفتها الأولى الآن هي توصيل أُمِّها إلى سفينة الإنزال. كان هذا كل ما يمكنها تحمُّله.

واصلي السير.

وبجانب الحائط، وجدت فتًى صغيرًا يكاد يكون أكبر من الطفل بقليل، مصدومًا وخائفًا، غير قادر على فعل شيء سوى النحيب والتلويح بذراعَيْه في الهواء، هل ضاع من أبويه؟ أم تركه أبواه في لحظة ذعر؟

شعرت بهزَّة في أعماق نفسها، وبوخز الألم في المساحة الفارغة خلف قلبها، التي لم تُشفَ منه أبدًا. أحكمت جلاس قبضتها على يد أُمِّها، ومدت ذراعها الأخرى صوب الصبي الصغير. لكن قبل أن تلمس أطرافها يده الممدودة، دُفعت دفعةً، فوجدت جلاس نفسها منجرفة إلى الاتجاه الآخر.

صرخت ثمَّ تعثَّرت لتجد لها موطئ قدم. عندما التفتت لتنظر إلى الصبي لم تجده، اختفى خلف موجةٍ من الأجساد.

واصلي السير.

في الوقت الذي تمكَّنتا فيه من الوصول إلى منتصف الطريق إلى منصة الإطلاق، كانت أقرب سفينة تفيض بالأجساد، وتحمل أكثر مما تحتمل. الناس يقفون في كل سنتيمتر يمكن الوقوف فيه، مُتكدِّسين معًا كما لو أن المقاعد متاحة لهم جميعًا، كانت جلاس تعرف أن تكدُّس الناس معًا بهذه الطريقة أمر خطير للغاية، لأن أي شخص لا يربط حزام الأمان سينجرف بعنف بين الجدران خلال هبوط السفينة. يمكن أن يموت، أو ينتهي به الأمر بقتل أحد المسافرين الجالسين على المقاعد. لكن لم يكن هناك أحد يردعهم، أو يجبر المسافرين الزائدين عن حاجة السفينة بالعودة. فلم يكن هناك مسؤولٌ.



انضمَّ صوتٌ جديد إلى جوقة النُّواح والصِّياح. في البداية، اعتقدت جلاس أنها تتخيَّل ذلك، لكن عندما نظرت خلفها، وقعت عيناها على الموسيقي الذي يقف عند مدخل الممر. كان يحمل الكمان تحت ذقنه ويمرِّر عصاه على أوتار آلته. لا بدَّ أنه أدرك أنه لن يتمكَّن من النجاة، مع وجود ألف جسد بينه وبين أقرب سفينة، وبدلًا من الاستسلام للذعر، اختار أن يُنهي حياته بفعل أكثر ما كان يحبه.

كان الرجل يُغلق عينَيْه، مما يعني أنه كان غَافِلًا عن النَّظرات المُرتبكة، وصيحات الاستهجان التي تصدر من كلِّ مَنْ حوله. لكن كلما انغمس في اللَّحن وارتفع صوته، كانت وجوههم تلين. نغمات الكمان تُخرج الألم من صدورهم وتُطلقه في الهواء، وصار الفزع الرَّهيب عبئًا يتشاركه الجميع، وللحظة، بدا ما يواجهه الناس شيئًا يمكن أن يهزموه معًا.

التفتت جلاس من جهة إلى أخرى بحثًا عن لوك. لقد تربَّى في والدن، ولم يتمكن من حضور حفل يوم إحياء الذكرى، ولقد أرادت أن يسمع الموسيقى. فإذا كان سيموت لوك الليلة، كان عليها أن تعرف أن آخر لحظاته ستنتهي بشيء آخر غير وجع القلب.

تردَّدَ صوت صفير آلي عبر الغرفة، فغطَّى على صوت الموسيقى، وأُغلق باب السفينة الأبعد. قِلَّة من الناس الذين كانوا يحاولون شقَّ طريقهم إلى الداخل بدؤوا التقدُّم إلى الأمام مسعورين، مُستَميتين للدخول إلى السفينة قبل أن تنطلق.

صرخت سيِّدة قائلةً: «انتظر». وحرَّرَتْ نفسها من الحشد وركضت باتجاه الباب وقالت: «ابني بالداخل».

صدر صوتٌ يقول: «أوقفوها!».

تقدَّمَ بعضهم إلى الأمام ليلحقوا بها، لكن كان الأوان قد فات، فقد انزلقت إلى غرفة معادلة الضَّغط، لكنها لم تتمكَّن من الوصول إلى السفينة. عندما أدركت ما حدث، استدارت وأسرعت خطواتها لتعود قبل أن يُغلَق باب غرفة معادلة الضغط. وصدر صوت رنين آخر، ثمَّ صمت.



خلفها، كانت السفينة تُقلع من المستوطنة وتتَّجه باتجاه الكرة الأرضية ذات اللون الأزرق الرمادي، ثمَّ صدر من الحشد صوت صيحات مرعوبة.

كانت المرأة تطفو بجانب النافذة، يتلوى وجهها بصرخات لم يَعُد أحدٌ بقادرٍ على سماعها. تخبط بيدَيْها وقدمَيْها بعنف، كما لو أنها تُحَاوِلُ أن تُمسك جسم السفينة لتعود للداخل. وفي غضون ثوانٍ، توقَّفت عن الحركة، واستحال وجهها إلى اللون الأرجواني. أشاحت جلاس بوجهها، لكن لم يكن ذلك سريعًا بما فيه الكفاية. فمن خلال زاوية عينها رأت جلاس لمحةً من قدمٍ أرجوانيّة مُتورِّمة قبل أن تنجرف السَّيدة من المشهد تمامًا.

صدر رنين آخر عندما استعدَّت السفينة الأخرى للانطلاق. لا يتبقَّى مكان فيها إلَّا لأربعة أشخاص. جنون الحشد وصل إلى ذروته، ومنصة الإطلاق تُردِّد أصوات الموت والحقد.

وهي تُصرُّ على أسنانها، سحبت جلاس أُمَّها للأمام عندما جرفهما بحر الأجساد إلى أقرب مكان إلى الممر. انفصلت السفينة الثالثة عن المستوطنة وانطلقت. مرَّت بجانبهما فتاة ذات شعر أحمر، ولم تدرك جلاس أنها يمكن أن تكون كاميل إلا بعد أن عبرت. أهذا يعني أن لوك قريبٌ منها؟ بدأت تصيح باسمه باكيةً، لكن الصِّياح كان ينكتم قبل أن يخرج من حلقها.

- جلاس.

جاء صوت أُمِّها من الخلف. وقد بدا أن دهرًا قد مرَّ منذ أن تحدَّثَت أُمُّها بأي شيء.

- لن نتمكَّن من النَّجاة يا جلاس. ليس معًا على الأقل، عليكِ أن...

قالت جلاس باكيةً: «لا».

رأت ثغرةً عبر الحشد فحاولت التسلُّلَ من خلالها، لكن وهي في طريقها، رأت كاميل تدفع صبيًّا نحيلًا وتأخذ مكانه على السفينة. تردَّدَ نواح أُمِّها المُتألِّم عبر الرواق بينما تُصدِر الأبواب أصوات إغلاقها.

صاح صوتٌ صارم: «تنحوا جانبًا».

استدارت جلاس للخلف لترى رتلًا من الحرَّاس يهبطون إلى الممر، يخطون خطواتهم في تناغم وانسجام وهم يُحاوِطون مجموعةً من المدنيّين إلى منصة الإطلاق. أحد هؤلاء المدنيّين كان رودس، نائب المُستشار.

لم يسمع أحدٌ أوامر الحرَّاس، وواصلت فوضى الأجساد تدافُعها للفوز بمكان في السُّفن. لكن الحرَّاس واصلوا التقدُّم دافعين الناس جانبًا بمؤخِّرات بنادقهم ليفسحوا الطريق.

- «تنحوا جانبًا!».

مَرُّوا بجانب جلاس وسونيا ساحبين حمولتهم وسطهم. وبينما يمرُّون، وقعت عَيْنا نائب المُستشار على سونيا، وبدا على وجهه نظرة لم تُميِّزها جلاس. توقَّفَ وهمس لأحد الحراس بكلمة، ثمَّ أشار صوْبَ أُمِّ جلاس.

تفرَّقَ الحشد لأن الحرَّاس الثلاثة كانوا يتقدَّمون عاصفين بكلِّ من يقف أمامهم. وقبل أن تُبدي جلاس أيَّ ردِّ فعل، كان الحرَّاس قد حملوها هي وأُمَّها وتوجَّهوا بهما إلى آخر سفينة.

تتبعهم الصَّيحات العنيفة والغاضبة التي بدت بعيدةً للغاية. كانت جلاس بالكاد تسمع أي شيء سوى صوت دقات قلبها المُتوتِّرة وتشعر بيد أُمِّها تشدُّ على يدها. هل ستتمكَّنان من النجاة حقًّا؟ وهل أنقذ نائب المُستشار حياتهما لتوِّه؟

وضع الحرَّاس جلاس وسونيا في آخر سفينة إنزال مع نائب المُستشار. كل المقاعد المئة قد مُلئت بالناس إلَّا ثلاثة مقاعد في المُقدِّمة. أوْمَأَ لهما رودس، فتقدَّمت



جلاس كما لو أنها في حلم وأجلست سونيا في المقعد الذي يُجاور نائب المُستشار، ثمَّ جلست في المقعد الأخير.

لكن الرَّاحة التي شعرت بها جلاس كانت مَشُوبةً بكدرٍ حادٍّ ومؤلم من فكرة أن لوك ربما لم يتمكَّن من النَّجاة والهبوط إلى الأرض معها. لم تَكُن مُتأكِّدةً ما إذا كان قد لحق بإحدى السفن أم لا، لكنها لا تعتقد ذلك. فلوك لن يسمح له ضميره بأن يُخرج أحدهم من السفينة ليحجز مكانًا لنفسه، كما أنه لا يسمح لنفسه أن يموت صديق له بسبب جريمة ارتكبها هو.

عندما بدأ العدُّ العكسي، شدَّت سونيا على يد جلاس. وكان الناس حولهما يبكون، ويُتمتِمون بالأدعية، ويهمسون بالوداعات والاعتذارات لمن تركوهم وراءهم، كان رودس يساعد سونيا في ربط حزامها، بينما بدأت جلاس تتلو أدعيتها الخاصَّة، لكن قبل أن تتمكَّن يدها المُرتعشة من ربط حزام أمانها، ظهر حارس على الباب، وعيناه مُتَّسعتان تدوران على الجالسين بجنون وهو يُمسك سلاحه ويرفعه في الهواء.

صاح رودس: «ما الذي تفعله هنا بحقِّ الجحيم؟ اخرج، ستقتلنا جميعًا».

أطلق الحارس طلقةً في الهواء، فغرق الجميع في الصَّمت. قال الحارس وهو ينظر حوله: «والآن، اسمعوا، سيخرج أحدكم من السفينة أو يموت جميع من عليها».

واستقرَّت عيناه المفزوعتان على جلاس التي لم تتمكَّن بعد من ربط حزام الأمان، تقدَّمَ خطوات نحوها ووجَّهَ البندقية لرأسها قائلًا: «أنتِ، اخرجي من السفينة».

كانت ذراعه تهتزُّ بعنف، وفوهة البندقية على وجنة جلاس تقريبًا.

جاء صوتٌ مجهول: «دقيقة واحدة حتى الإقلاع».

عبث رودس بحزام أمانه وأمره بصوتٍ عسكريٍّ حازم: «أيها الجندي. انتباه».

تجاهله الجندي ومسك ذراع جلاس قائلًا: «انهضي وإلّا سأُفجِّر رأسك، أُقسم بالرب سأفعل هذا».

«ثمان وخمسون... سبع وخمسون».

تجمَّدت جلاس وهي تهزُّ رأسها: «لا، أرجوك».

«ثلاث وخمسون... اثنتان وخمسون».

وضع الحارس فوهة البندقية على صدغها، وقال: «انهضي وإلا سأطلق النار على جميع من على السفينة».

لم تكن قادرةً على التَّنفس، ولا الرُّؤية، لكن بطريقة ما، نهضت على قدمَيْها وهمست: «الوداع يا أُمِّي». ثمَّ اتَّجهت نحو الباب.

«تسع وأربعون... ثمان وأربعون».

صرخت أُمُّها: «لا». وقفزت فجأةً إلى جانب ابنتها قائلةً: «خذني مكانها».

- لا.

حاولت جلاس أن تدفع أُمَّها إلى مكانها مرَّةً أخرى، قائلةً: «توقَّفي عن هذا يا أُمِّي».

راوح الحارس بندقيته جيئةً وذهابًا بينهما وقال: «من الأفضل أن تخرج إحداكما وإلّا سأطلق النار عليكما».

- سأخرج أنا، من فضلك لا تطلق النار.

دفعت جلاس أُمَّها واتَّجهت نحو الباب.

جاء صوتٌ مألوف من المُقدِّمة وهو يقفز إلى السفينة في اللحظة الأخيرة: «توقَّف».



لوك.

«خمس وثلاثون... أربع وثلاثون».

صاح لوك: «ألقِ سلاحك واتركهما لحال سبيلهما».

- عُدْ من حيث جئت.

حاول الحارس أن يدفع لوك جانبًا. وفي لحظة، قفز لوك على ظهر الرجل من الخلف، وقيَّد يدَيْهِ حول عنق الرجل، ودفعه على الأرض. وصدر صوتٌ يصمُّ الآذان ويُرجف العظام، عَمَّ السفينة. انطلقت رصاصة من البندقية. صرخ الجميع، جميع من على السفينة إلَّا شخصًا واحدًا.

«ثلاثون... تسع وعشرون».

كانت أُمُّها تجلس مُتهدِّلة على الأرض، وبقعة كبيرة من الدَّم تنسدل مُلطِّخةً مُقدِّمة فستانها.

الفصل السابع والعشرون

كلارك

لم تستطع أن تتذكَّر مكانها في اللحظات القليلة الأولى. فقد استيقظت كلارك في أماكن مختلفة للغاية في الأسابيع القليلة الماضية، مثل زنزانتها خلال الأيام الأخيرة للحبس، والكابينة المُزدحمة التي لفظت فيها تاليا أنفاسها الأخيرة، والاستلقاء بجانب بيلامي تحت السماء المُرصَّعة بالنجوم. رمشت وسمعت بانتباه شديد، مُنتظرةً ما يمكن أن تسمعه. حفيف أوراق الأشجار، أو صوت أنفاس بيلامي. لكن كلارك لم تسمع شيئا، لا تحس إلا بالظلام والصمت.

حاولت الجلوس، لكنها جفلت عندما تسبَّبت حركة صغيرة في ألم شديد برأسها. أين هي؟ ثمَّ تذكَّرت ما حدث. لقد حاولت هي وبيلامي الهبوط إلى ماونت ويذر. وقبض عليهما الحرَّاس. ثمَّ...

قالت بصوتٍ أجشّ: «بيلامي».

تجاهلت الألم وهي تُحرِّك رأسها يَمنةً ويَسرة. عندما تكيَّفت عيناها على الظلام، بدأت ترى ملامح الأشياء. كانت في غرفة صغيرة وفارغة. زنزانة.

- بيلامي!



صوَّبَ بيلامي نحو الحرَّاس سهمه. هل اعتبروا ذلك تهديدًا؟ ثمَّ تعكَّرت معدتها عندما تذكَّرت السِّلاح الذي كانوا يحملونه.

سمعت صوت أنين ما على بُعد أمتار منها. زحفت على يدها وركبتَيْها وتقدَّمت صوْبَ الصوت. رأت شخصًا طويلًا ونحيلًا يتمدَّد على الأرض الصَّخرية. قالت مجدَّدًا: «بيلامي».

هدأت نبرة صوتها وغشتها الراحة. تراجعت فجلست على الأرض ووضعت رأسها بين ركبتَيْها. حدَّقَ بيلامي إلى وجه كلارك، عاجزًا عن فهم أي شيء، ثمَّ قفز بسرعة على قدمَيْه، فاصطدم تقريبًا بكلارك وهو يركض. وصاح ناظرًا حوله: «أين هم؟».

- ماذا تقصد؟

وتعجَّبت كلارك من ردِّ فعله، هل لا يزال بيلامي تحت تأثير كابوس ما؟

- هؤلاء الأرضيّون الملاعين ضربونا بشيء ما.

ثمَّ خبط على عنقه قائلًا: «لقد حقنونا بمُنوِّم».

وضعت كلارك يدها على عنقها. واستحال الغباء التي شعرت به لعدم فهمها لما حدث إلى رعب عندما أدركت ما يعنيه ذلك. الأرضيّون المُتمدِّنون، الذين من المفترض فيهم أنهم مُسالمون، قوم ساشا، قد أفقدوا كلارك وبيلامي وعيهما وسحبوهما إلى زنزانة مُعتمة.

- هل أنتِ بخير؟

رأت كلارك عبر الضوء الخافت أن وجه بيلامي يلين، وحلَّ محلَّه هاجس الخروج من الزنزانة. احتضنها بيلامي وقبَّل جبينها. قال: «لا تقلقي، سنخرج من هنا».

لم تقل كلارك شيئًا، فكل ذلك كان خطأها، فهي من أصرَّت على أن تهبط للأسفل، وهي من ترجَّت بيلامي ليأتي معها، لا تستطيع أن تُصدِّق أنها بهذا الغباء.



ساشا كذبت بشأن آشر. وكذبت بشأن أوكتافيا. والأسوأ من ذلك كله، أنها قد تكون على معرفة بما كان سيحدث لبريا. لا يوجد "فصيل" آخر شرير من الأرضيِّين. لا بدَّ أنها اخترعت هذا كي تجعلهم يثقون بها، وحتى تستدرج كلارك وبقية المئة لفخ.

لقد كانت ساشا غامضةً للغاية عندما تحدَّثَت عن المُستوطنين الأوائل، وعن "الحادث" الذي أجبر الأرضيِّين على أن يطردوهم.

أغمضت عينَيْها وفكَّرت في شواهد القبور التي عثرت عليها من قبل.

هل هذا هو المكان الذي ستُدفن فيه جثَّتها هي وبيلامي بعد أن يقتلهما الأرضيّون؟ أم أن جثَّتَيْهما ستظلَّان في هذا الملجأ الموحش للأبد.

للحظة، كان كل ما بوسعها سماعه هو أصوات أنفاس بيلامي ودقَّات قلبها المذعورة، لكنها سمعت صوتًا آخر فجأةً، وَقْع أقدام لا تُخطئه أُذن، همست كلارك: «إنهم قادمون».

سمعت قرقعة معدن، ثمَّ تدفُّق ضوء ساطع للداخل، فغشى عينَيْها. رفعت كلارك يدها على عينَيْها لتقي نفسها الضوء، فرأت ظِلًّا غامضًا لشخصٍ يقف على الباب. تقدَّمَ الشخص، ولاحت ملامح وجهه، إنها ساشا. تلاشى خوف كلارك، وحلَّ محلَّه الغضب والاشمئزاز فقط، قالت: «كاذبة»، ثمَّ هجمت عليها، «لقد وثقتُ بكِ، ما الذي تريدينه منا؟».

- ماذا؟ كلارك، لا.

كان لدى ساشا الجرأة لتبدو مجروحة من كلام كلارك.

- لقد فكَّ ويلز وثاقي، وجئتُ بأسرعِ ما استطعت. كنتُ أريد أن أكون هنا عندما تأتين.

- حسنًا، قد تحقَّقَ كل ما خطَّطتِ له، خدَّرونا وألقوا بنا في زنزانة.



هزَّت ساشا كتفَيْها بتردُّد. وقالت: «آسفة بشأن ذلك، لكني أظنُّ أنه لم يكن يجدر بكما تصويب السهام إليهم».

تقدَّمَتْ مُحاوِلةً وضع يدها على ذراع كلارك، لكنها جفلت عندما سحبت كلارك يدها. قالت: «الحرَّاس لم يؤدوا إلَّا واجبهم. وبمجرد أن سمعتُ ما حدث جئتُ لأنقذكم. كل شيء سيكون بخير الآن».

قال بيلامي: «إذا كانت هذه فكرتك عن الخير، فيؤسفني أن أقول إن فكرتك سيئة».

كان صوته أكثر برودةً من الهواء البارد من حوله.

زفرت ساشا، وفتحت الباب قائلةً: «تعالا معي، سأصطحبكما لمُلاقاة والدي، وأظن أن كل شيء سيبدو منطقيًّا بعدما تتحدَّثان إليه».

تبادل بيلامي وكلارك النَّظرات. عرفت كلارك أن بيلامي لم يَعُد يثق بها، لكن الفرصة الوحيدة للهروب كانت في الخروج من الزنزانة، قالت كلارك وهي تُمسك يده: «حسنًا، سنذهب، لكنك ستُرييننا طريق الخروج بعد ذلك».

أَوْمأَتْ ساشا قائلةً: «بالتأكيد، أعدك بذلك».

تبعاها كلارك وبيلامي فخرجا من الزنزانة. كانت معظم الأبواب التي مرَّا عليها مغلقة، لكن عندما وجدت كلارك بابًا مفتوحًا، توقَّفت للحظة لتنظر بداخله. أدركت كلارك أن الغرفة عبارة عن مشفى، أو شيء يشبهها. فقد كانت المُعدَّات قريبة لما كانت لديهم في فينيكس، واستطاعت أن تُميِّز جهاز ضربات القلب، وجهاز التنفس الصناعي، وجهاز الأشعة السينية. لكن الأسِرَّة المُتكدِّسة بجانب بعضها بعضًا كانت مغطاة بأغطية رثَّة وغير مُتطابقة، إذ بدت لكلارك أنها فراء حيوانات. لكن المدهش، أنها كانت فارغة، فلا يوجد بها أطباء، أو مُمرضات، أو مرضى. في الواقع، لم تَرَ كلارك شخصًا واحدًا في أي مكان بعدما قادتهما ساشا عبر العديد من الأروِقة.



سألت كلارك لتتغلَّبَ على حذرها: «أظن أنَّكِ قُلتِ إنَّ هناك المئات منكم هنا، أين الجميع؟».

لم يكن بيلامي مُشتَّتًا، فقال: «في الخارج على الأرجح لاختطاف قومنا».

توقَّفت ساشا والتفتت لكلارك قائلةً: «في الواقع، لم يَعُد أحدٌ يعيش هنا منذ خمسين عامًا. ووظيفة الملجأ الأساسية الآن هي تخزين كل المُوَلِّدات والأجهزة الطبِّية، والأغراض التي لا يمكن نقلها إلى سطح الأرض».

- إذن أين تعيشون؟

- سأُريكِ. تعالي.

قادتهما ساشا إلى زاوية، فمرَّا بجانب غرفة مفتوحة مملوءة بالأقفاص المعدنية الفارغة التي تمنَّت كلارك أن يكون بداخل أيٍّ منها حيوانات، ثمَّ توقفت أمام سُلَّم يُفضي إلى الأعلى عبر فتحة في السقف.

أشارت ساشا صوْبَ السُّلَّم قائلةً: «من بعدك».

قال بيلامي وهو يُمسك يد كلارك: «وهل نحن مُغفَّلان لنصعد أوَّلًا؟».

نظرت ساشا بين بيلامي وكلارك، ثمَّ ضغطت على شفتَيْها ووضعت يدها بخفَّة على أوَّلِ الدَّرجات وأخفضِها. ثمَّ صعدت السُّلَّمَ سريعًا واختفت تقريبًا عبر الفتحة عندما دعتهما ليتبعاها.

قال بيلامي: «أنتِ أوَّلًا، سأكون خلفكِ».

كان الصعود على السُّلَّم أصعب ممَّا بدا مع ساشا. أو ربما كان عَسِيرًا فقط لأن كلارك كانت ترتعش بشدَّة، فكان عليها أن تستغل كل قوَّتها لتقي يدها شَرَّ الانزلاق.



كان السُّلَّم بداخل عمود تهوية، أو ما يبدو أنه نفق عمودي. ضيِّق لدرجة أن كلارك شعرت أن مؤخرة قميصها تنخدش في الحائط الصخري. أغلقت عينَيْها وواصلت الصعود، مُتخيِّلةً أنها تصعد في المُستوطنة، وليس أسفل مئات الأطنان من الصخر التي تشعر أنه يمكن أن يخنقها، أو ينهار عليها حتى تلفظ أنفاسها الأخيرة. يداها مُتعرِّقتان، فحاولت أن تُجفِّفهما في قميصها وهي مُرتعبة من أنها قد تنزلق في أيِّ لحظة وتسقط على بيلامي، فأجبرت نفسها على أن تتنفَّسَ بانتظام.

وأخيرًا، بعد ما بدا أنه دهر، لمحت كلارك ضوء النهار فوقها. عندما أمسكت آخر درجة من درجات السُّلَّم، مدَّت ساشا يدها نحوها. كانت كلارك منهكةً لدرجة أنها مسكت يد ساشا من دون تردُّد، فسحبتها ساشا على العشب. بينما تلتقط كلارك أنفاسها، وتنهض مهزوزةً على قدمَيْها، مدَّت ساشا يدها لبيلامي لتُخرجه.

قال بيلامي: «هل تصعدين هذا السُّلَّم يوميًّا؟».

ثمَّ وضع يدَيْهِ على فخذَيْه، والتقط نفسًا عميقًا من هواء الصباح العليل.

قالت ساشا مبتسمةً: «هناك طريق أيسر للخروج والدُّخول، لكني اعتقدتُ أنكما ستُقدِّران المنظر من هنا».

كانوا يقفون أعلى تبَّة تطلُّ على قرية ملأى بالبيوت الخشبيّة. عشرات البيوت، تنفثُ مداخنها الضيِّقة موجاتٍ من الدُّخان إلى الهواء، ومبنى أكبر يُحتمل أن يكون قاعة اجتماعات، وبعض الباحات المُسيَّجة التي تمتلئ بحيوانات الرَّعي.

لم تستطع كلارك أن تشيح بوجهها عن الناس، كانوا في كل مكان: يحملون سِلالًا ملأى بالخضروات والفاكهة، ويدفعون مجموعات ضخمة من الحطب على عرباتٍ بعجلات، ويُلقون على بعض التحيَّة وهم يسيرون في الشوارع. والأطفال تتضاحك وهم يلعبون مع بعضهم بعضًا.

التفتت كلارك لبيلامي فوجدت في عينَيْه نفس نظرات الدَّهشة. لمرَّةٍ واحدة، لم يجد بيلامي كلماتٍ يقولها.



قالت ساشا وهي تبدأ الهبوط من التبَّة: «تعاليا، أبي ينتظرنا».

لم يعترض أحدٌ منهما هذه المرَّة، مسك بيلامي يد كلارك، وتبعا ساشا عبر المنحدر. قبل أن يهبطا إلى الأرض، توقَّفَ عشراتٌ من الناس ليُحدِّقوا إليهما. وعندما انطلقا على إحدى الطُّرُق الطِّينية، بدا أن القرية بكاملها قد تجمَّعت لترى كلارك وبيلامي.

بدا معظم الأرضيِّين تقريبًا مدهوشين وفُضوليِّين، رغم أن قِلَّةً منهم كانوا ينظرون إليهما نظرات شكٍّ وغضب.

- لا تقلقوا منهم، سيلتفُّون حولكم لاحقًا.

إلى الأمام، يقف رجلٌ طويل بين امرأتَيْن، يتحدَّثون بحماسة، ويتجادلون فيما بينهم. استمع لهما، وأوْمَأَ بمهابة ولم يقل إلَّا القليل. شعره محلوق، ولحيته رمادية، تُبرِز وجنتاه. لكن رغم مظهره النحيف، كان يشعُّ بالقوَّة. عندما وقعت عيناه على ساشا وكلارك وبيلامي، استأذن من السيِّدتَيْن وتوجَّه نحوهم، بخطوات قويَّة ووئيدة.

توقَّفت ساشا أمامه قائلةً: «أبي، المُستوطِنان اللذان أخبرتك عنهما».

تقدَّمَتْ كلارك خطوةً، ومدَّت يدها من دون تفكير. صحيح أنها لا تزال لا تعرف إن كان بوسعها الوثوق بقوم ساشا أم لا، لكن وقار الرجل أجبرها على أن تكون مُهذَّبة، قالت: «أنا كلارك، وهذا بيلامي».

- ماكس والجروف.

ثمَّ صافحها، وفعل الشيء نفسه مع بيلامي.

قال بيلامي من دون تردُّد: «أنا أبحث عن أختي، أتعرف أين هي؟».

أوْمَأَ ماكس، لكنه قطَّبَ جبينه، وقال: «منذ أكثر من عام بقليل، انفصل عنَّا بعض أعضاء مجتمعنا، لأنهم آمنوا أن حياتهم ستكون أفضل إذا عاشوا وفقًا لقوانينهم الخاصة، هؤلاء هم من اختطفوا أختك، ولسوء الحظ، هم من قتلوا الطفلين».



كانت كلارك تشعر ببيلامي يشتعل غضبًا من الداخل بجانبها. كان يشدُّ قبضته ويُرخيها، وعندما تحدَّث أخيرًا، جاهد حتى يبقى صوته طبيعيًّا. قال: «ظلَّت ساشا تشير إلى ذلك 'الفصيل' الذي تتحدَّث عنه. لكن إلى الآن، لم يشرح لي أي شخص كيف من المفترض أن أجد أختي». ثمَّ وضع يده بشكل متقاطع وتطلَّع إلى قائد الأرضيِّين بعينَيْه، وقال: «وكيف أعرف أنك لست الشخص الذي اختطفها؟».

توتَّرت كلارك فنظرت إلى بيلامي نظرةً تحذيريّة. لكن والد ساشا بدا مُستمتِعًا وليس مُهانًا من نبرة بيلامي الاتِّهامية. التفت ونظر إلى الخلف، إلى حقل مُسيَّج بسياج خشبي. وفي الزاوية الأبعد من الحقل، كانت مجموعة من الأطفال تلعب لعبة المطاردة. رفع ماكس يده في الهواء مُشيرًا إليهم، فبدأ الأطفال بالركض نحوه. بينما يقتربون، لاحظت كلارك أن جميعهم لم يكونوا أطفالًا. فقد كانت وسطهم فتاة كبيرة، تركض ويتطاير خلفها شعرها الأسود الطويل، وتضحك وهي تعبر الحقل.

"أوكتافيا". انطلق بيلامي بأقصى سرعته، وفي لحظة، أخذها في أحضانه. كان بعيدًا عن مجال سماع كلارك، لكن من الطريقة التي كانت تتحرك بها كتفاه، ظنَّت أنه إما يضحك وإما يبكي، وعلى الأرجح يفعل هذا وذاك. مزيج غريب من المشاعر شعرت به كلارك عندما شاهدت جمع شمل الأخ وأخته مرَّةً أخرى. لقد كانت سعيدةً للغاية أن أوكتافيا بخير، لكن جزء منها كان يتألَّم عندما ظنَّت أن جمع الشَّمل قد لا يتم أبدًا.

مع انهمار دموعه، عاد إلى ماكس وساشا، وقال: «شكرًا لك، كيف وجدتها؟».

شرح ماكس كيف أنه أرسل فريق من عنده ليراقب المُتمرِّدين. وعندما علم أنهم اختطفوا إحدى المُستوطنات، شنُّوا عليهم هجمة ليسترجعوها، وقال: «لقد أنقذناها ليلة أمس فقط، وكنتُ قادمًا لأعيدها لمُخيَّمكم بنفسي اليوم، لكنكم وجدتمونا أوَّلًا».

كان هناك ارتعاش طفيف في زاوية فمه، كما لو أنه يحاول تجنُّبَ الابتسام.



قال بيلامي وهو يذهب باتجاه أوكتافيا: «أنا لا أعرف كيف أشكرك، لقد أنقذتها».

- يمكنك شكري بأن تُبقي جماعتك تحت السيطرة في تلك الفترة، وبأن تحافظوا على أنفسكم، لقد أخبرتني ساشا أنكم قوم صالحون وعاملتموها خير معاملة، لكني لا أستطيع المجازفة بكارثة أخرى.

سألت كلارك: «ما الذي حدث في المرَّة السَّابقة بالتحديد؟».

كانت كلارك تستميت للسؤال عن أبوَيْها لكن كان عليها أن تسمع القِصَّة بالكامل أوَّلًا.

- منذ أكثر من عام بقليل، اصطدمت إحدى سفنكم بالأرض على بعد عشرة كيلومترات من هنا. كنا نعلم دائمًا عن المُستوطنة، لكن لم يكن هناك وسيلة للتواصل بيننا قط، لذا كان اللقاء بغرباء قادمين من الفضاء مُفاجِئًا قليلًا. لكنهم كانوا في حالة يرثى لها، فحاولنا مساعدة الناجين. منحناهم الطعام، والملجأ، وحقَّ الدخول إلى المستشفى متى ما احتاجوا إلى ذلك، لقد جاؤوا إلى هنا لأنهم كانوا يعرفون عن ماونت ويذر، وقد أملوا أن يجدوا في المكان ملجأً وملاذًا. وبالطبع لم يكونوا يتوقعوا أن هناك بشرًا يعيشون هنا.

سألته كلارك: «أتعلم ما الذي أعادهم إلى الأرض؟ فالمهمة كانت سرية ولم نعرف عنها إلا بعدما أخبرتنا ساشا».

أوْمَأَ ماكس قائلًا: «عادوا إلى الأرض لقياس مستويات الإشعاع، وليعرفوا ما إذا كان الكوكب صالحًا للحياة الإنسانية، ولقد يسَّرنا عليهم مهمتهم بالتأكيد».

قاطعته كلارك قائلةً: «ومن كانوا؟ هل كانوا مُتطوِّعين، أم علماء، أم سجناء مثلنا؟».

عبس ماكس، لكن لمصلحته، أجاب عن سؤالها من دون أن يغفل نقطة واحدة، قال: «بدا معظمهم مُتردِّدًا للحديث عن الماضي، لكني ظننت أنهم لم يكونوا مواطنين نموذجيّين، ولم يكونوا مجرمين أيضًا، وإلا لافترضت أنهم قد أُعدموا في

المستوطنة، أو حُكِم عليهم بالطفو في الفضاء، كما سمعت». تجهَّم قليلًا وتابع كلامه: «كان معظمهم من عيِّنة الناس الذين يختفون من دون أن يلفتوا الكثير من الانتباه».

أَوْمأَتْ كلارك مُحاوِلةً أن تستخرج منه المزيد من المعلومات، فحثَّته قائلةً: «وما الذي حدث بعدما وصلوا هنا؟».

- لقد فقدوا القدرة على إرسال الرسائل بسبب اصطدام السفينة، ولم يتخيَّل أحدٌ منهم أن ينفصل انفصالًا تامًّا عن السفينة الأم بالطبع. لذا حدستُ بحدوث بعض التوتُّرات. لم نكن قد خطَّطنا بعدُ أن يكونوا أعضاء دائمين في مجتمعنا، ولم يكونوا قد خطَّطوا للبقاء هنا للأبد.

توقف للحظة وتصلَّبَ وجهه، ثمَّ قال: «لا أزال أعتقد أن ما حدث ليس إلَّا حادثة، أقصد ما حدث مع الصبيّ. لكن لم يكن الجميع قد رآه على هذا النحو. كل ما فهموه أنه أحد أطفالنا، صبيٌّ صغير، كان قد اصطحب قِلَّة من المُستوطنين للصيد. مُتطوِّعًا لإرشادهم إلى أفضل مكان للصيد، ومُفتخِرًا بأنه يمكن أن يكون مُفيدًا، لكن عندما عادوا إلى بيوتهم في الغسق....».

جفل ماكس عندما تذكَّرَ الحادثة. ثمَّ تابع: «كانوا يحملون الصبيَّ الصَّغير بينهم، لقد غرق، الطفل المسكين»، وزفر قائلًا: «لن أنسى ما حييت صراخ وعويل أُمِّه عندما رأته».

قالت ساشا بصوتٍ أجوَف: «لقد كانت حادثة، أنا متأكدة من ذلك، لقد انزلق تومي من أعلى الصخرة، لكن لم يكن أيٌّ من المُستوطنين يعرف كيف يسبح. لقد حاولوا إنقاذه. أتذكر كيف كانوا مُبلَّلين؟ لقد قالوا إن المرأة الشقراء كانت على وشك أن تُغرق نفسها لتُنقذه».

تابع ماكس: «ربما، لكنهم أخذوا موقفًا دفاعيًّا بدلًا من الاعتذار. وهذا ما تسبَّبَ في القتال. رفضت مجموعةٌ من قومنا، وهم أهل الصبيّ، وهم نفس المجموعة التي



طاردَتْكم بمجرد أن هبطتم إلى الأرض، أن يمنحوهم المزيد من الطعام، مُتحجِّجينَ بأنَّ عليهم أن يُطعموا أنفسهم. اعتقدت حينها أنَّ المُستوطنين قد خافوا من ردِّ فعلهم، لكنهم تصرَّفوا على نحو خاطئ. فبدؤوا بالسَّرقة، والتَّخزين، بل وتهديد الناس بالعنف، وفي النهاية، لم يكن لديَّ خيار. كان يجب أن يُعاقبوا».

ثمَّ أضاف: «لقد كانت... مهمَّة ثقيلة مُلقاة على كتفي. كنتُ أعرف أن مُعظمهم صالحون. وعرفت أن ليس لديهم فرصة للنجاة لو تُركوا في العراء. لكني لم أفكِّر قط، أنهم سيردُّون الأذى عندما أُنفِّذ العقوبة عليهم. وبالطبع، بعد ذلك، كان عليَّ أن أُدافع عن قومي. ولم يكن لديَّ خيار آخر».

سألته كلارك بهدوء قائلةً: «إذن لقد مات الجميع؟».

- عدا الزَّوجين، الطَّبيبَيْن. لقد غادرا قبل أن تسوء الأمور، وقالا إنهما يرفضان أسلوب المُستوطنين الآخرين. وأرادا أن يهيما في الأرض وحدهما، لرؤية كل ما تتطلَّع إليه عيونهما من كوكب الأرض.

كرَّرت كلارك: «طبيبان؟».

قالت كلارك الكلمة كما لو أن الهواء قد نفد من رئتَيْها، مدَّت يدها إلى أي شيء لتستند عليه، وشعرت ببيلامي بجانبها، فأسندها بذراعَيْه القويتَيْن.

- كلارك، هل أنتِ بخير؟

- هل هما... هل تتذكَّر اسمَيْهما؟

أغلقت عينَيْها فجأةً، خائفةً من تعبير وجه والد ساشا بعد أن يسمع السؤال، قالت: «هل هما الزَّوجان جريفين؟».

لكن كان عليها أن تنظر إليه، عندما فتحت عينَيْها، كان قائد الأرضيِّين يومئ برأسه قائلًا: «نعم، ديفيد وماري جريفين، أنا أتذكَّرهما».



ضحكت كلارك، ثمَّ شعرت بأنها تخلَّصت من الهمِّ الذي ظلَّ يجثم على صدرها في الأشهر السِّتّة الأخيرة. كان وجهها مُبلَّلًا، فمدَّت يدها إلى وجنتَيْها وأدركت أنها تبكي. لم تكن وحدها على الأرض. كان أبواها على قيدِ الحياة.

الفصل الثامن والعشرون

جلاس

لم تَعُد قادرة على سماع العدِّ العكسيّ. ولم تَعُد قادرة على سماع الصَّرخات. كل ما كانت قادرة على سماعه هو صوت نفس أُمِّها الثقيل.

كانت جلاس تجلس على الأرض، مُحتضِنةً رأس أُمِّها بينما يهبط الدَّم على صدرها، مُحيلًا قميصها إلى اللون الأحمر القاني، الذي حاولت جلاس طويلًا أن تُلوِّنه بالأصباغ لكنها فشلت.

الحارس المُختل يصيح بكلمات إلى جلاس لكنها لم تتمكَّن من سماعه، حركته مضطربة خاصَّةً بعدما قيَّده لوك ووضع ذراعه حول عنقه، وجرَّه إلى خارج السفينة.

- لا بأس.

قالت جلاس لنفسها بينما تنهمر الدموع على وجنتَيْها.

- ستكونين بِخَيْر يا أُمَّاه. سنتمكَّن من العودة للأرض وسيكون كل شيء على ما يرام.

صاح أحدهم: «الوقت ينفد منا».



في خلدها، اعتقدت جلاس أن الباب كان على وشك أن يُغلق، لأن العدَّ العكسي كان يتبقى له ثلاثون ثانية فقط، لكنها لم تقدر على المتابعة.

قالت أُمُّها بصوتٍ أجش: «جلاس، أنا فخورةٌ بكِ».

كانت تلفظ آخر أنفاسها، ولم تكن قادرة على الكلام.

- أحبكِ يا أُمِّي.

ثمَّ شدَّت على قبضتها وقالت: «أنا أحبكِ بشدَّة».

شدَّت سونيا هي الأخرى على يد ابنتها للحظة، قبل أن تزفر، ويرتخي جسدها.

قالت جلاس والنَّحيب يُمزِّق قلبها: «أمي، أرجوكِ لا تذهبي....».

ثمَّ عاد لوك مرَّةً أخرى إلى جانبها، وكل ما حدث بعد ذلك كان ضبابيًّا.

تردَّدت كلمات أُمِّها الأخيرة في رأسها. كانت أعلى من الصَّرخات والصَّيحات التي سمعتها من خارج السفينة. وأعلى من كلِّ أصوات أجهزة الإنذار. وأعلى من صوت قلبها وهو يرتطم مُتحطِّمًا.

أنتِ شُجاعة، وقويَّة.

أنا فخورة بكِ.

قال ويلز: «أتُريدينني أن أعود إليك مرَّةً أخرى؟»، وصوَّبَ نظرةً مُتوتِّرة نحو الساعة، «لم أدرك أن الوقت تأخَّرَ إلى هذا الحد».



نظرت جلاس إلى السماء، كان الوقت قرب منتصف الليل. وحتى إذا ركضت، لن تتمكن من العودة قبل موعد حظر التجوُّل. خاصَّةً أنها إذا ركضت، ستُلفت انتباه الحرس، قالت: «سأكون بخير، لا يهتمُّ الحرَّاس بمسألة حظر التَّجوال تلك، إلَّا إذا ارتابوا بك».

ابتسم ويلز قائلًا: «أنتِ مدعاة للشك دائمًا».

قالت جلاس وهي تضع التابلت في حقيبتها وتقف على قدمَيْها: «ليس هذه المرَّة، كل ما حدث أني استُنزِفتُ في العمل، سأكون الفتاة المجتهدة التي فقدت الإحساس بالوقت لأنها تدرس الرياضيات».

في الأيام الخوالي، قبل أن يغادر والدها عنها، لم تكن جلاس تهتمُّ بالدِّراسة تمامًا. لكن الآن قد باتت الدِّراسة فرصتها الوحيدة لرؤية ويلز، وللغرابة، لقد كانت الدِّراسة معه نوعًا من المرح.

- تقصدين أنَّكِ ستكونين الفتاة التي فقدت الإحساس بالوقت وهي تتطلَّع إليَّ وأنا أؤدِّي واجب الرياضيات.

- أرأيت؟ لهذا أنا في حاجة لمساعدتك، لأنكَ تأخذ بالأسباب.

كانا يجلسان في غرفة ويلز، التي كانت أكثر أناقة من المُعتاد. أُمُّه في المستشفى مجدَّدًا، وجلاس أدركت أنه يريد أن تكون الشقَّة في حالة مثالية متى ما تعود إلى المنزل ثانيةً.

سار مع جلاس إلى الباب، ثمَّ توقَّفَ قبل أن يفتحه وقال: «أأنتِ متأكدة من أنَّكِ لا تريدينني أن أُعيدك؟».

هزَّت رأسها. إذا قُبِض على جلاس لمخالفة موعد حظر التجوال، كل ما ستتلقَّاه هو إنذار لا معنى له، لكن إذا قُبِض على ويلز بالتُّهمة نفسها، سيعني هذا أسابيع من المُعاملة السَّيئة من والده، وهو لا يحتاج لهذا في الوقت الحالي.



ودَّعته وانسلَّت إلى الرواق الفارغ المُعتم. كانت جلاس سعيدة أنها تمكنت من قضاء بعض الوقت مع أعزِّ أصدقائها، حتى لو كانا قد قضيا الوقت في الدِّراسة. فلم تَعُد تراه كالسابق. وعندما لا يكون في المدرسة، يكون بصحبة أُمِّه في المستشفى، أو في تدريب الضُّباط. قد باتت تراه أقل بعدما أنهيا المدرسة وصار ويلز جنديًّا بدوام كامل.

تحرَّكت جلاس بسرعة وهدوء هابطةً السَّلالم إلى المنصة «ب»، التي يجب أن تعبر منها لتصل إلى وحدتها السكنية. توقَّفت للحظة وهي تعبر مدخل إيدن هول. يوم إحياء الذكرى على الأبواب. بينما قضت الأسابيع القليلة الماضية تتحسَّر على فستانها، سيكون عليها أن تعمل بجهد أكبر لتجد فستانًا آخر، فهي وأُمُّها تعيشان على الكفاف الآن، كما أنها لم تُصادق أحدًا منذ فترة. سيفترض الجميع أنها ستذهب هذا اليوم مع ويلز. إذا لم يجد أيٌّ منهما صديقًا، سيذهبان إلى يوم إحياء الذكرى معًا، لكن على أساس أنهما صديقَيْن فقط، فبالنسبة إليها، لا يمكنها أن تتخيَّلَ مرَّةً أنها تُقبِّله أو تنتقل للعيش في والدن.

ومرَّة أخرى، لم تقضِ جلاس الكثير من الوقت تفكِّر في تقبيل أحدهم. المزحة في أن الفتيان هم من يريدون تقبيلها، كان من المؤكد أن ارتداء جلاس لفستان سهرة سيجعل قلوب الفتيان تتسارع، وسيكون ذلك أكثر طرافة من وقوع الفتيان على وجوههم، كما حدث ذات مرَّة لجراهام عندما أعلن اهتمامه بها في حفلة عيد مولد هكسلي.

كانت جلاس مستغرقةً في التَّفكير حول ملابسها في يوم إحياء الذكرى حتى إنها لم تكن قد رأت الحارسَيْن إلَّا بعدما وقفا أمامها. حارسان، أحدهما في منتصف العمر، أصلع، وآخر شاب، صبيّ أكبر من جلاس بعدَّة أعوام فقط.

قال الرجل الأكبر: «هل كل شيء بخير يا آنسة؟».

قالت جلاس في مزيج من الأدب واللَّامبالاة الذي تدرَّبت عليه جيِّدًا: «نعم». وكما لو أنها ليس لديها فكرة لماذا أوقفوها ولا تريد أن تُزعج نفسها لتكتشف السبب.

- لقد فات موعد حظر التجوُّل.

ونظر إليها من أعلى لأسفل. لم تكن نظرته مُريحة لكنها أدركت أنه من الأفضل أن تتركه يعتقد ذلك.

- حقًّا؟

وابتسمت ابتسامتها الدَّافئة المُشرقة: «آسفة، لقد فقدت الإحساس بالوقت وأنا أدرس بشقة أحد الزملاء، لكني في طريقي إلى البيت الآن».

سخر منها الرجل الكبير قائلًا: «تدرسين، ماذا كُنتِ تدرسين؟ تشريح جسد المرأة مع أحد أصدقائك الفتيان؟».

قال الحارس الأصغر: «هول، توقَّف عن ذلك».

تجاهله زميله وقال: «أنتِ واحدة من هؤلاء الفتيات اللاتي لا يعتقدن أن القوانين تُطبَّق عليهن، أليس كذلك؟ حسنًا، فكِّري ثانية. كل ما عليَّ فعله أن أنفرد بكِ قليلًا، وستجدين نفسك في ظروف مختلفة».

سارعت جلاس بالقول: «هذا ما لا أفكر فيه على الإطلاق، آسفة، أعدك أني لن أخرق حظر التجوال مجدَّدًا، بغض النظر عن مدى صعوبة دراستي».

- أتمنى أن أُصدِّقكِ، لكنكِ تبدين لي من نوع الفتيات اللواتي يفقدن الإحساس بالوقت كلما خلعن ملابسهن.

قال الشاب الصَّغير بلهجة آمرة: «هذا يكفي».

وسط دهشة جلاس، غرق الحارس الأصلع في الصمت. ثمَّ ضيَّقَ عينَيْه وقال: «تحت أمرك يا سيدي. لكن هذا هو سبب عدم مرور الدوريات في أقسام المهندسين، قد تعرف الكثير عن السير في الفضاء، لكنك لا تعرف الكثير عن حفظ الأمن».



- إذن سيكون عليك أن تتأكَّد ألَّا تُزاملني في إحدى دورياتي بعد ذلك.

كان صوت الشَّاب خفيضًا لكن نظرته كانت حادَّة: «أظن أنَّنا يمكن أن نتركها تذهب بعد أن نُحذِّرها هذه المرَّة، أليس كذلك؟».

التفَّ فم الحارس الأكبر في سخرية قائلًا: «كما تريد أيها الملازم».

كانت المناصب لها دور هنا، فمن الواضح أن الشاب الأصغر قد تفوَّقَ عليه لأن رتبته أعلى.

التفت الشاب الأصغر إلى جلاس قائلًا: «سأُعيدك إلى المنزل».

قالت جلاس، غير متأكدة ما الذي جعل وجنتَيْها تحمرَّان خجلًا: «أنا بخير».

- أظن سيكون من الأفضل لو أفعل ذلك. لا نريد أن تقعي في نفس المشكلات بعد خمس دقائق من الآن.

أوْمَأَ لزميله، ثمَّ انطلق مع جلاس. ربما لأنه كان حارسًا. لكن جلاس كانت واعية تمامًا لحركاته وهما يسيران نحو الرواق. كيف كان يُقصِّر خطواته لتتوافق مع خطواتها. وكيف أثنى كُمَّيْ سترته عندما انحدرا عند الزاوية.

قالت جلاس بحماس لتنهي فترة الصمت: «هل تحب السير في الفضاء حقًّا؟».

أوْمَأَ قائلًا: «كل فترة. هذا النوع من الإصلاحات لا يحدث عادةً، لكن رغم ذلك، يستدعي الكثير من التحضيرات».

- ما شعورك وأنت هناك؟

لطالما أحبَّت جلاس التَّحديق من خلال نوافذ السفينة الصغيرة، متسائلةً كيف يبدو الأمر لو كانت بجانب النجوم.



توقَّفَ ونظر إلى جلاس نظرةً مُتفحِّصة، وليست نظرة سريعة كالتي يُلقيها عليها الفتيان، لكن وكما لو أنه يرى ما تفكر فيه، ثمَّ أجاب: «الراحة والرعب في آن، كما لو أنَّكِ وجدتِ إجابات لكل الأسئلة التي لم تفكِّري فيها».

وصلا إلى باب شقة جلاس، لكنها اكتشفت أن آخر ما تودُّ فعله أن تدلف إلى الداخل. فخبطت بإبهامها على الماسح الضوئي بشكل أخرق.

سألته والباب ينفتح: «ما اسمك؟».

ابتسمَ، فأدركت جلاس حقيقة أن كونه حارسًا لم يكن السبب الذي جعل قلبها يُرفرف.

- اسمي لوك.

لم يترك لوك يدها قط، خاصَّةً مع انزلاق السفينة من منصة الإطلاق مُصدِرةً هزَّةً عنيفة أطلقت صراخ الركاب. وليس عندما عَمَّ الصَّمت بعد انطلاق صوت جهاز الإنذار وقرقعة أجهزة الدفع. وليس عندما باتت الأرض تقترب رويدًا رويدًا، حتى امتلأت النوافذ بالسماوات الرمادية.

- آسف للغاية.

ورفع أيديهما المُتشابكة وقبَّل يدها وقال: «أعرف كم كُنتِ تُحبِّينها، كما أعرف كم كانت تحبك».

أَوْمأَتْ جلاس، قلقةً من أنها لو تحدَّثَت قد تنهمر دموعها مرَّةً أخرى. لقد كان الألم طازجًا وطريًّا، إلى درجة أنها لم تَعُد تعرف أيَّ شكلٍ سيأخذ وما الندوب التي سيتركها. وما إذا كان صدرها سيحرقها هكذا طوال حياتها. لكن أمامها الحياة، حياة ملآنة بالأشجار والأزهار، وأوقات الغروب وعواصف الأمطار، والأفضل من ذلك كله، لديها

لوك. لا تعرف ما الذي يمكن أن يحدث لهما عندما يهبطان إلى الأرض، لكن مهما حدث، سيقدران على مواجهته، طالما ظَلَّا معًا.

بدأت السفينة تهتزُّ، فشدَّ لوك على يدها أقوى قليلًا. ثمَّ انقلبت السفينة على أحد جوانبها، وبدأت تنجرف سريعًا، فانطلقت صرخات الرُّكاب.

قالت جلاس: «أحبك».

لم تكن تهتمُّ بما إذا كان لوك سمعها أم لا. فهو يعرف ذلك، بغضِّ النَّظَرِ عما حدث، فهو دائمًا يعرف ذلك.

الفصل التاسع والعشرون

ويلز

حاملًا حقيبته، سار ويلز بهدوء صوب شواهد القبور للتعبير عن احترامه للموتى. جَنَّ الليل، فتوهَّجت الأزهار التي وُضعت على شواهد القبور. كان ويلز سعيدًا لأن بريا تذكَّرت تزيين القبور بورود حية. فقد نشؤوا على السفينة لا يعرف أيٌّ منهم معنى العتمة، وبهذه الطريقة، سيكون في قلب موتاهم بعض الضوء الذي يتوهَّج في صدورهم.

لكنه عندما جلس بجانب شاهد قبر بريا، ارتعش. هل شعرت بريا أنها ستنضمُّ إلى الآخرين قريبًا؟ نهض، وسار حتى شاهد قبر آشر، ومرَّرَ أصابعه على الحروف الكبيرة المنحوتة باسمه على الخشب. توقَّفَ، وفكَّرَ لماذا تبدو الحروف مألوفة للغاية. كانت الكتابة على شواهد القبور مختلفة، لكنه كان على يقين من أنه شاهد كتابة الحروف بأحرف منفصلة من قبل.

قال ويلز قبل أن يحزم حقيبته مرَّةً أخرى على كتفه، ويدخل إلى الغابة: «وداعًا».

عبَرَ صف الأشجار والتقط نفسًا عميقًا من هواء الغابة المنعش. ولِدهشته، أحبَّ الجلوس وحده لأنه كان أكثر هدوءًا في الغابة مما كان عليه في صباحات المخيم. وظنَّ أن صوت حفيف الأشجار كان إشارة للتخلص من همز ولمز الخبثاء.



انغمس في خيالاته السابقة التي كان يتخيَّل نفسه فيها رحالةً وحيدًا، رغم أنه عندما كان يضع مثل هذه السيناريوهات، كانت كلارك دائمًا ما تكون معه. أو ساشا مؤخَّرًا. ارتجَّ قلبه في صدره عندما فكَّر في عودتها إلى المخيم لتعرف أنه رحل. في ماذا ستفكِّر عندما يخبرها الآخرون أنه رحل؟ هل سيراها مجدَّدًا؟ وما الذي سيحدث إذا هبط أبوه إلى الأرض؟ هل سيحاول البحث عن ابنه، أم سيتجاهله وكأنه وصمة عار؟

جاء صوتٌ عبر العتمة: «ويلز».

التفت ليجد جسد كيندال النحيف يسير في العتمة، قالت: «أين تظنُّ نفسك ذاهبًا؟».

- لستُ أعرف، لكني سأرحل بعيدًا.

سألته: «هل يمكنكَ أن تصطحبني معك؟».

سألته بمزيج من الحماس واللَّهفة، وكأنها تشعر كيف سيكون جوابه.

قال بحرص: «لا أعتقد أن تلك فكرة جيِّدة، ستكونين أكثر أمانًا مع الرِّفاق».

خطت كيندال عِدَّةَ خطوات للأمام. لا تكاد خطوط الضوء تمرُّ عبر أوراق الشجر الكثيفة، لكن عيناها اللَّامعتان كانتا تنظران إليه باهتمام، لدرجة أنه ارتعش تقريبًا، قالت: «هل ستبحث عن ساشا؟».

- لا، أنا أعلم أين هي.

رأى كيندال تومئ في الظلام، وقالت: «هذا جيِّد، لكن أنت تعلم أنها خطيرة، فقط انظر إلى ما فعلوه ببريا».

قال ويلز وهو لا يعلم لماذا يدافع عنها: «لكن هذا لا علاقة له بساشا».



تابعت كيندال حديثها وكأنها لا تسمعه: «أيُّ إنسانٍ يمكنه أن يفعل ذلك في شخصٍ آخر؟ يُعلِّقه في الشجرة؟ ويحفر رسالة على قدمه؟ عليك أن تُوضِّح وجهة نظرك».

جاءت نغمة صوتها رتيبة، فأحسَّ بخوف شديد.

- لا يمكنكَ أن تثق في الأرضيّين، تذكَّر هذا.

ثمَّ خطت عِدَّةَ خطواتٍ أخرى إلى الأمام، حتى باتت تقف على بعد مترٍ واحد منه، وقالت: «أعرف أنها فتاة جميلة. لكنها ليست واحدة منَّا. وليست قادرة على فهمك، كما أنها لن تفعل ما يتطلَّبه الأمر منها لتُبقيك بأمان».

تباطأت أنفاس ويلز عندما قفز إلى ذهنه شيء غير قابل للتفسير، وهو أنَّ الكتابة التي بَدَتْ مألوفة على شاهد قبر آشر، هي نفسها كتابة الأحرف المُتباعدة التي وجدها محفورة على قدمَيْ بريا.

وماذا لو لَمْ يقتلها الأرضيّون؟ ماذا لو...

قالت كيندال بابتسامة وهي عائدة إلى المُخيم: «أراك على خير».

تجمَّدَ ويلز. أعليه أن يتبعها؟ أعليه أن يحذر الآخرين؟ هل الرهبة التي شعر بها في أعماقه حقيقية، أم أنه جنون الارتياب؟

سمع صوت طقطقة غصن شجرة، فجفل مُتَلَفِّتًا حوله، وتسارعت دقات قلبه. ظنَّ أن من المحتمل أنه ليس أكثر من مجرد حيوان، مُتمنِّيًا لو أنه ابتلع كبرياءه وطلب من بيلامي أن يُعلِّمه إطلاق السهام. لكنه لم يكن قد أحضر رُمحًا معه حتى.

لكن بعد ذلك تحوَّلَ الصَّوت إلى ثلاثة أشخاص يقفون أمامه، توتَّر ويلز، ومسح الأرض بعينَيْه سريعًا مُحاوِلًا إيجاد شيء يستعمله كسلاح، عصا كبيرة، أو حتى صخرة. يمكنه أن يتعارك وجهًا لوجه إذا اضطرَّه الأمر، فقد أكمل مستوى القتال عندما كان



مُلتحِقًا بتدريب الضُّباط، لكنه لم يكن على يقين ما إذا كان قادرًا على التَّعامل مع ثلاثة أشخاص مرَّةً واحدة.

رأى شخصًا يحمل صخرة حادَّة يجلس القرفصاء مُستعِدًّا خلف شجرة. ثمَّ اقترب الغرباء أكثر، ورنَّت ضحكة عبر الأشجار.

صاح في صدمة: «كلارك؟».

ألقى الشخص الصخرة من يده فأصدرت صوتًا مكتومًا. أضفى ضوء القمر على شعرها هالة، فأنار ضحكتها العريضة المُبتهجة. كان بيلامي معها أيضًا... وأوكتافيا؟

عندما رأوا ويلز، ضحك الثلاثة وركضوا إليه وتحدَّثوا جميعًا في الوقت نفسه. وببطء، حاولوا تجميع كل ما حدث معًا: اختطاف أوكتافيا، وزيارة بيلامي وكلارك لماونت ويذر، وكل ما أخبرهم به والد ساشا.

رقَّ قلب ويلز عندما سمع اسمها: «إذن لقد رأيتموها، هل هي بخير؟».

التقت عيناه بعينَيْ كلارك كما لو أن سرًّا تبدَّى على مُحيَّاه. لقد كانت كلارك ماهرة في ملاحظة التفاصيل الصغيرة قبل أن يلحظها أي شخص آخر، وقد ظنَّ ويلز أن هذا ما جعلها طبيبة ماهرة. ابتسمت كلارك ابتسامةً مُتفهِّمة، فأدرك ويلز أنها فهمت ما تعنيه ساشا له، وعرف أنه لا يمثل لها مشكلة.

قالت كلارك: «ساشا بخير، ستأتي لزيارتنا قريبًا، بعد أن تُقنع الأرضيِّين أننا لا نُكِنُّ لهم أي أذى».

وتوقفت كما لو أنها تبحث عن المعلومات المناسبة لمشاركتها، وقالت: «أظن أنها تريد رؤيتك».

قالت أوكتافيا: «هل أنت ذاهب إلى مكان ما؟».

ومدَّت يدها لتلمس حقيبة ويلز.



تبادل كلارك وبيلامي النَّظرات عندما أخبرهما ويلز بما حدث في الصباح بالمُخيم، وكيف أن الجميع كان غاضبًا لأنه أطلق سراح ساشا، وكيف أنه قرَّرَ أن يرحل قبل أن يطرده أحدهم.

- هذا سخيف.

قال بيلامي ذلك وهو يحشد سخطه الذي لم يعهده ويلز في سلوك صبيٍّ ولداني من قبل.

- لا يمكنك أن ترحل لأن جراهام وبعض رفاقه قالوا كلمةً في ثورة غضبهم، هم في حاجة إليك، نحن في حاجة إليك.

تدخلت كلارك: «من فضلك يا ويلز، سيكون كل شيء على ما يرام خاصَّةً بعدما تخبرهم بأنك كنت على حقٍّ بشأن ساشا. إذا لم تكن قد أطلقتَ سراحها، لم نكن لنستعيد أوكتافيا قط».

ثمَّ نظرت إلى الفتاة الصغيرة التي كانت تجلس على منحدر صغير، مُتحمِّسةً بعودتها إلى المُخيم.

- أعتقد ذلك.

حمل ويلز حقيبته على كتفه الأخرى، والتفت إلى بيلامي قائلًا: «مُباركٌ لك يا رجل. أنا سعيد حقًّا لأنك وجدتها. لم تيأس قط، ولقد حصدتَ ثمار ذلك». ثمَّ نظر إلى بيلامي وكلارك وقال: «أظنُّ أنَّنا جميعًا يمكننا أن نتعلَّم منكما الكثير».

هزَّ بيلامي كتفَيْه قائلًا: «لا أعرف العيش بطريقة أخرى. دائمًا ما كانت أوكتافيا تحت رعايتي. الأمر يبدو... كما لو أنَّنا لم نولد لأنفسنا فقط. عليك أن تُظلِّلَ بجناحك على الآخرين».

نظر إليه ويلز بحِدَّة قائلًا: «ما الذي قلته لتوِّك؟».



كان بيلامي يتحدَّث بعفويَّة، وكما لو أنها جملة مُتكرِّرة على ألسِنة الناس طوال الوقت. لكن ويلز لم يَرَ مَن يقول هذه الجملة على الأرض مِن قبل، وفي الواقع، لقد مضت سنوات منذ أن سمع أي شخص يقولها بصوتٍ عالٍ، لكن ذلك لا يعني أنه لا يفكِّر فيها يوميًّا. ثمة أشياء لن تسمح لك نفسك بأن تنساها.

الفصل الثلاثون

بيلامي

نظر بيلامي إلى ويلز، مُتسائلًا ما إذا كان الفتى قد تصدَّعت مشاعره تحت الضَّغط الذي يواجهه. لماذا ينظر له هكذا؟

هزَّ بيلامي كتفَيْه قائلًا: «إنها مقولة اعتادت أُمِّي أن تُردِّدها لي ولأوكتافيا عندما كنَّا صغارًا. وكيف نحن محظوظان لأنها أختي وأنا أخوها، ولتوصيني بأن تكون أوكتافيا مسؤوليَّتي وأن أرعاها ما استطعت إلى ذلك سبيلًا»، ثمَّ زفَرَ عندما تذكَّرَ الذكريات المُرَّة بداخله، «مسؤوليَّتي، لأن أوكتافيا بكلِّ تأكيد لن تكون مسؤوليَّتها».

غرق ويلز في الصَّمت للحظة، وقال: «أظن أنها جملة اعتاد والدي أن يقولها، رغم أنه كان يستخدمها ليشرح لنا لماذا لا يتمكَّن من رؤيتنا أبدًا».

شحب وجه ويلز بعدها، فسأله بيلامي: «هل أنتَ بخير؟».

ونظر إلى كلارك ليرى ما إذا كانت تلاحظ سلوك ويلز الغريب. لكن قبل أن يكون لديها الوقت لترد، تابع ويلز: «هل تُدعى والدتك ميلندا؟».

وقعت الكلمة كالجبل على صدر بيلامي، لم يسمع أحدهم يلفظ اسم أُمِّه لسنوات. ليس بعدما اقتحم الحرَّاس شقتهم فوجدوها مُلقاة على الأرض.

سأله بيلامي بصوتٍ أجش: «من أين لك أن تعرف هذا؟».



واندهش للغاية من أن نبرة صوته تحوَّلت للعدائيّة أو الشك.

بنبرة صوتٍ لم يعهدها ويلز في نفسه من قبل، أخبر بيلامي بسرِّ ماضي أبيه، وعلاقته بالمرأة الولدانية التي التزم والده تجاهها التزامًا طويل الأمد، وقال: «إننا لا نعيش فقط لأنفسنا.. هذه هي المقولة التي كان والدي يقولها دائمًا ليبرِّر التَّضحيات التي يُضطرُّ إلى تقديمها، مثل عدم قضاء وقتٍ كافٍ معي أنا وأمي... أو عدم زواجه بالمرأة التي أحبَّها. لكني لم أعرف من قبل أنهما حظيا بطفل».

دارت الدنيا حول بيلامي، وتشوَّش كل ما كان يراه كما لو أن أصابه الدوار. الشيء الوحيد الذي منعه من السقوط على الأرض كان شعوره بيد كلارك على ذراعه. المُستشار، الرجل الذي أطلق النار عليه، هو نفسه والده؟ لم يستطع الحديث، ولم يستطع التنفس. لكنه شعر بذراعَيْ كلارك تُحاوِطانه، فالتقط نفسًا عميقًا. وهو يزفر، عاد لطبيعته مرَّةً أخرى. فرأى الأشجار المُعتمة ومواقع النجوم التي تملأ السماء، واندهاش كلارك، وقد ارتسم على وجهها تعبير التوتُّر الذي ظنَّ بيلامي أنه كرهه ذات مرَّة، لكنه بدا الآن مُختلِفًا، شيئًا مُختلِفًا تمامًا. قال بيلامي: «إذن هذا يجعلك....».

- أخاك غير الشقيق.

وترك ويلز كلمته الأخيرة معلقة في الهواء، كما لو أنه يمنحهما الفرصة ليستوعباها ويفهماها.

- أظنُّ أنك أنت وأوكتافيا لم تعودا آخر شقيقَيْن على المُستوطنة بعد الآن.

أفلتت ضحكة من فَمِ بيلامي قبل أن يقمعها، وقال: «أخي غير الشقيق، هذا جنون».

هزَّ رأسه مُبتسِمًا، ومدَّ ذراعه ليحتضن ويلز قائلًا: «بل أشِقَّاء».

الفصل الحادي والثلاثون

كلارك

- إخوة غير أشقاء.

قالت كلارك ذلك للمرة التاسعة والعشرين هذه الليلة تقريبًا. ومدَّت يدها لتُمرِّر إصبعها على وجنة بيلامي، كما لو أنها يمكن أن تجد أيَّ علامة على التشابه بينه وبين ويلز.

ابتسم بيلامي بلطف وهو يزيل يدها، ويرفعها إلى شفاهه ليُقبِّلها. وقالت: «أعرف أنه لا يمكن استيعاب ذلك».

ثمَّ تلاشت ضحكتها قائلةً: «هل هذا غريب بالنسبة إليكما؟».

التفتت كلارك لويلز وساشا، بعد عودتهما إلى المخيم أسرع من المتوقع. كانا يجلسان على الجهة الأخرى من نار المخيم، بعيدًا عن بقية المجموعة. عبر اللَّهب الوامض، كان بوسعها أن ترى ويلز يضحك إلى الفتاة الأرضيّة، التي بدت خجلى قليلًا. كان القليل من الفتية ينظر إليها بحذر، لكن الآن، بعد عودة أوكتافيا، بات من السهل إقناع المجموعة أن كل ما قالته عن المجموعة الأخرى حقيقي، وأن تصرَّفَ ويلز عندما أطلق سراحها كان صحيحًا.



زفرت كلارك وأراحت رأسها على كتف بيلامي، قائلةً: «أتعرف، أن كونك الأخ غير الشقيق لحبيبي السابق ليس هو أغرب شيء بك».

وضع بيلامي ذراعه حول خصر كلارك ودغدغها. ضحكت، وردَّت عليه بالمثل. لكن بيلامي وقف فجأةً، بشكل سريع وحاد، كما لو أن شيئًا قد لفت انتباهه على الجانب الآخر من نار المخيم.

سمعا أوكتافيا تقول باكيةً: «ما حدث حقيقيٌّ».

كانت أوكتافيا قد فردت شعرها على كتفَيْها. وقضت الساعة السابقة تحكي لأصدقائها في المخيم حكاياتها في ماونت ويذر.

سألها أحدهم: «وكيف لنا أن نعرف أنَّكِ لم تعودي لتتجسَّسي علينا؟».

توتَّرت عضلات كلارك عندما وقف بيلامي وتوجَّه صوْبَ أوكتافيا، والنار تعكس ضوءها الوامض على ابتسامته. جاءت نبرة صوته مزيجًا من التعالي المرِح والعداء، لكن أوكتافيا لم تترك له الفرصة ليتغلَّبَ عليها. التفتت إلى الجهة الأخرى، لتنظر إلى جراهام نظرةً ذات مغزى.

- قد تجد الأمر غير قابل للتصديق يا جراهام، لكن هناك أشياء كثيرة أكثر إثارة يمكن أن تراها على الأرض من سهامك القليلة. إذا كنتُ مكلفةً بالتجسُّس عليك، لكنتُ قد غططتُ في النوم مللًا.

ضحك كلُّ من جلس حول أوكتافيا، ووسط دهشة كلارك، ضحك جراهام أيضًا، إلَّا أن كلارك عندما نظرت إليه في الظلام، لم تشعر بأنها ضحكة صافية.

قال جراهام مُحتجًّا: «عليكِ أن تثقي بي، رماحي كبيرة بحيث يمكن لأي فرد أن يحملها».

فضحكت أوكتافيا.



دَمْدَمَ بيلامي: «أيجب عليَّ أن أضرب هذا الصبيَّ الآن أم لاحقًا؟».

- لاحقًا، أنا مرتاحة هنا.

لقد انضمَّت إلى المجموعة التي تتحلَّق حول نار المخيم منذ دقائق، وقضت الساعة الفائتة كلها في كابينة المشفى، لتكون على بيِّنة من أن مولي وفيليكس في طريقهما لِيَبْرآ تمامًا من المرض عندما يخرج أثر التسمُّم من جسدَيْهما. عندما رأت الراحة على وجه إريك وهي تساعد رفيقها فيليكس ليقف للمرَّة الأولى منذ أن أصيب بالمرض، نسِيَت الإجهاد التي شعرت به عندما سارت لنحو عشرين كيلومترًا في يوم واحد.

انتقلت كلارك لتقف إلى جانب بيلامي. حاوط خصرها بذراعَيْه ومال عليها حتى صار كلاهما ينظران إلى السماء. طقطقة النار كانت كافية لتكتم أصوات من حولهما، وعندما رفعت عينيها إلى الأعلى، شعرت وكأنهما البشريَّان الوحيدان على الأرض.

تساءلت لو أن أباها وأمها ينظران إلى السماوات، ويشعران بنفس شعورهما. في وقت مُبكِّر من هذا اليوم، أخبرها بيلامي أنه بعد تجاوز أوكتافيا لمحنتها، سيذهبان معها لمساعدتها على البحث عن أبوَيْها. لقد هبطت عائلتها على الأرض منذ سنة، لكن هذا لم يكن مهمًّا. فقد وعدها بيلامي أنهم لن يتوقَّفوا حتى يجدوهما.

لقد كان هذا الخاطر مثيرًا ومرعبًا بالنسبة إليها، لدرجة أنها شعرت بالدوار عندما فكَّرت فيه. في هذه اللحظة، أمالت رأسها على صدر بيلامي، وتركت صوت دقات قلبه المُنتظمة تُريحها من أفكارها.

همس بيلامي في أذنها: «انظري».

- ماذا؟

أخذ يدها، ومدَّ إحدى أصابعها بلطف صوْبَ خطٍّ مُحدَّد يجري عبر السماء سريعًا، وقال: «هل تمنَّيتِ أمنيات من قبل عندما رأيتِ الشهب؟ أم أن ذلك عادة والدنية؟».



انتظام أنفاسه كان يُدفئها، قال: «لقد كان لديكِ كل ما تحتاجين إليه».

ضربته كلارك في صدره قائلةً: «لم يكن لديَّ كل ما أحتاج إليه، رغم أني أظن أن هذا قد يتحقَّق حاليًّا».

- ألا تريدين تمنّي أُمنية إذن؟

نظرت كلارك إلى السماء مرَّةً أخرى. فكان خطُّ الضوء يجري بسرعة مذهلة على شهاب. جلست قليلًا، وقالت: «لا أظنُّه نجمًا ساقطًا».

ولم تكن كلارك قادرةً على أن تفصِل نبرة القلق عن صوتها.

- ماذا تعنين؟ وماذا قد يكون غير ذلك؟

لكنها شعرت به يتصلَّب فجأةً وراءها، ثمَّ استقر في ذهنه خاطر لم يستوعبه.

- أنتِ لا تعتقدين أنه...

ثمَّ أمسك لسانه وشدَّ قبضته على خصرها. لكنهما لم يُعلنا ذلك. وبينما كانت بقيَّة المجموعة تتحلَّق حول النار في لا مبالاة هانئة، كان بيلامي وكلارك يعرفان الحقيقة. فخطُّ الضَّوء الذي عبَرَ السماء لم يَكُن نجمًا، بل كان إحدى سفن الإنزال. لن تكون المجموعة مئةَ شخصٍ فقط. لأن بقيَّةَ المُستوطنة ستهبط إلى الأرض.

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

تحرير وتدقيق:

▪ ميساء طه ▪

▪ mohamed ▪

ترتيب وتصميم:

▪ أشرف غالب ▪







كاس مورجان

مؤلفة ومحـــررة أمريكيـــة، متخصصـــة في أدب الخيـــال للشباب، وصاحبـــة السلسلة الديسـتوبية الأكثـــر مبيعًا في نيويـــورك تايمـــز "المئـــة"، المستوحى منها أحداث مسلسل تليفزيوني شـهير بالاسـم نفسـه. كمـا صـدرت لهـا سلسـلة روائية ناجحة بعنـوان "سـنوات ضوئية"، ومؤخـرًا سلسـلة أخـرى بعنـوان "الغريـان". حصلت كاس على درجة البكالوريـوس مـن جامعـة براون، ودرجـة الماجسـتير مـن جامعـة أوكسـفورد، فـي مجـال الأدب الفيكتـوري، وتعيـش حاليًّـا فـي بروكلين، نيويورك.

المئة
اليوم 21

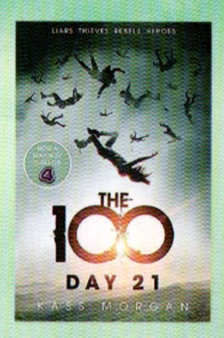
لقد اعتقدوا أنهم وحدهم، لكنهم كانوا على خطأ.

لقد مرّ 21 يومًا منذ أن وطأت أقدام المئة كوكب الأرض.

كانوا أول من داسوا بأقدامهم الأرض منذ قرون، أو هكذا اعتقدوا.

مواجهًا عدوًّا غير معروف، حاول ويلز أن يؤمّن المجموعة بعد آخر هجوم مفاجئ، وبينما ذهبت كلارك للبحث عن مستوطنين آخرين، كان بيلامي قد عقد العزم على إنقاذ أخته مهما كان الثمن، والعودة إلى السفينة مرة أخرى، ووجدت جلاس نفسها تواجه اختيارًا غير متوقع بين حب حياتها، وبين حياتها نفسها.

في الجزء الثاني من أجزاء المئة، تتكشف الأسرار، وتوضع العلاقات موضع اختبار، وتنهار الكثير من المعتقدات، الأمر الذي سيجعل المئة يصارعون للنجاة بأي طريقة - معًا.



تصميم الغلاف: محمود هشام







www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb

